

وشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وأبن باجة وأبن رشد (الذى هو أعظم ميلسوف أنجيبيه الاندلس) وبني زهر الذين توارثوا الطب طوال ثلاثة قرون وأعظمهم هو أبو مروان عبد الملك الذى يعتبره بعض المؤرخين أكبر طبيب تخرج من الدراسة العربية ، يضاف إلى مؤلأء الفانقى (11) وأبو الصلت أمينة ابن عبد العزيز الدائى اللذان السا فى تاريخ الطب الطبيعي وأبن الموسام (12) مؤلف «كتاب الفلاحة» الذى لا يوجد له نظير في الأدب العربى لما يحتوى عليه من معارف تطبيقية ووثائق تديمة ثمينة (13) بل هو أعظم ما انتجه ، لا العرب وحدهم، بل حتى المصور التديبة (من 110 ) .

وأصبحت هذه المصنفات أساسا دراسيا لرجال القرن المتقدى أمثال ابن البيطار (14) المالقى واستاذه ابن العباس النبطى وهما أعظم العلماء النباتيين العرب الذين سلطنا عليهم ولذاتهم ولم ينجب الشرق في هذه الاتجاه من أعاظم العلماء سوى فخر الدين الراري فاستطاع الاندلس بفضل شبكة علماته أن يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الإسلامي (15) .

الأندلس عام 360 هـ (5) وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى (6) .

ويظهر أن هذه العلوم بدأت تزدهر في المغرب الاندلسي منذ هذا العصر حيث كانت جامعة القرويين وملحقها جامع الاندلس بفاس تدرسان الطب من الكتب المقررة وقد أشار لوكلير إلى هذا الأزدهار (7) ولاحظ (8) أن المغرب أشد اقطار الإسلام عمقاً من الناحية العلمية وهو يتصد المغارب الثلاثة وخاصة إفريقية ، وقد لاحظ القنطرى (9) أن المغاربة الفاطميون نقلوا إلى مصر كثيراً من الأطباء المغاربة واستئثر تسلطين التونسي آنذاك كطبيب ماهر وأسسوا بفاس مدرسة طبية منذ القرن الرابع (10) وكان الفنان الخامس وال السادس المجريان أبرز المصور العلمية في الاندلس المسلمة رغم الاضطراب الذي تمضى من تدخل المرابطين ثم الموحدين وذلك بفضل المنابة التي أولاها مؤلأء الخلفاء للعلم والعلماء، الذين كانوا يؤكدون أن تحرر كثما وقع في هذا العصر (ج 2 من 72) .

(5) يوجد الجزء الأول من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية بالرباط وكذلك مختصر كتاب «الامتداد» في الأدوية المفردة لابن الجزار ومختصر الطب لابن حبيب المداوى .

(6) (التنج 1 من 444) والزهراوي هو صاحب ( التعريف لمن هجز من التاليف ) وهو أ女神 جراح عربي ( لوكلير - الطب العربي ج 1 من 334 ) امتدده مؤلفو الجراحة في المصور الوسطى وهو أول من ربط الشريانين ووصف عملية تثبيت حمام المثانة وعالج الشلل واستعمل خيوط الحرير في الجراحة ويوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط جزء من هذا الكتاب (( عدد 1427 د ) الذي طبع بالمند وتد مات بعد الأربعين كما عند حاجي خليلة والحسن الوزان الذي أرخ وفاته بـ 104 هـ ( موافق 1013 م ) ووهم كازيري Casiri الذي أكد في المجلد الاول من مهنته ( من 137 ) أنه مسام 500 هـ ( لوكلير ج 1 من 437 ) .

(7) نفس المصدر ( ج 1 من 334 ) .

(8) ( ج 1 من 407 ) .

(9) في ( أخبار العلماء بأخبار الحكماء ) ص 75 .

(10) ( شهيرات المغرب ) للكانوني وهو مخطوط نقل من كتاب حول ( الاسنان بالغرب الاقصى ) لعالم مرنسي لم يتم اسمه بوضوح في المخطوط المذكور .

(11) هو أبو جعفر أحمد بن محمد وهو غير محمد بن قسوم الفانقى صاحب « المرشد » في طب العيون ويوجد « كتاب الامشاف » للفانقى في دار الآثار العربية وهو يحتوى على 380 رسمًا ملونًا لنباتات وحيوانات مختلفة الرسم .

(12) هو أبو زكريا يحيى بن محمد الذي لا نعرفه الا من خلال مصنفاته ويزعم كازيري أنه عاش في القرن السادس المجري .

(13) ( لوكلير ج 2 من 11 ) .

(14) ابن البيطار توفي عام 646 وكل متارا قاتلا بيات من ساعته ( نفع الطب ج 2 من 874 ) .

(15) ( لوكلير ج 2 من 72 ) .

والموحدين وسار معظمهم في ركب مؤلام الملك إلى المغرب حيث قضوا بقية حياتهم في العلاج وتدریس الطب — فأناد المغرب كثيراً من نكبة الاندلس.

ويظهر أن علوم الحكمة تقلص ظلها مؤقتاً في مهد النصور عندما حورب الفلسفة حتى اضطر ابن رشد إلى التخلّي عن الخوض في ذلك ، والتصور هذا وإن كان لم يقصد اضطهاد رجال الطب حيث أثابه يابن زهر نفسه مأمورية تعيّب الفلسفة ثقته به إلا أنه مهد إلى تدوين الأحاديث وترتيب الجرایات لحفظها ناتجة الناس إليها انجذاباً للبادرة نقل المعتقدون بالحكمة والطب ، على أن امتنال النصور لابن رشد وأبن جعفر الذهبي زاد الناس ريبة في مصير الفلسفة والعلماء ولعل النصور شعر بخطورة هذه التدابير فأعاد الحظوة إلى الرجلين وكلف إبا جعفر بالشهر على صالح الأطباء وطلبة الطب ، وتلك من النصور محاولة لا يأس بها لتنظيم المنهج الطبي.

وقد أكد الدكتور Reinaud أن المغرب لم يتم على وجه العموم بدور يذكر في مصر الذي كان الطب وبقية العلوم يتالق نورها في سوريا والعراق ومصر وحتى في إسبانيا المجاورة ، ولكن منذ أوّل القرن الحادي عشر وخاصة الثاني عشر الميلاديين — وهو أبرز عصور إسبانيا المسلمة — امتنج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين « تكيد يمكن اذن ان نفصل بين دراسة الطب بال المغرب ودراسة حياة العلماء الذين انجبتهم الاندلس او الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في اعتاب ملوك المغرب من اشبيلية او قرطبة الى ملائكة او مراكش او اهتمات ، فللمغرب الحق اذن ان يتبين ابن باجة وابن طفيل وابن رشد » الخ (18) وكانت الحكمة تشمل آنذاك جميع

وبنضل الانبعاث العربي في الاندلس (16) سارت أوروبا تنفس منها اردية الركود وأصبح المسيحيون يتواجهون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استجد ريموند *Raimonde* استقى المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني وأذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية ، ثم ورد جيرار دوكريمسون على طليطلة حيث استقر نحوه من نصف قرن نقل خالله من العربية إلى اللاتينية ستة وسبعين كتاباً هربياً أو أفريقياً مغرياً .

وقد بدأت حركة الترجمة في البرتغال منذ القرن الرابع لهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد أسس مدرسة سالرنة وهي أول مدرسة من نوعها في أوروبا وكانت مبعث أنوار الطب الحديث في العالم الغربي ، ولد حوالي عام 400 بتونس وحمل مخطوطات طبية إلى سالرنة *Salerne* بقيت خذاء أوروبا مدة ترون وترجم إلى اللاتينية أهم كتب الطب العربي منها « زاد المسافر » لابن الجزار وكتب للرازي وأسحق ابن سليمان الإسرائيلي والنحو من 24 كتاباً في الطب منها قانون الطب في 12 مجلداً و « فیاتیکوم » في الطب العام في سبعة أجزاء ومات عام 475 .

وكان القرن السابع في الشرق مصر ازدهار ثم انبار نسبي للعلوم كما كان قبله القرن السادس في الاندلس ولكن لم يكدد يعني العقد الأول من القرن السابع (17) حتى بدا صرح العلم بنهر وطمانت الاستطارات ذلك الرواد الذي تالق نجمه منذ محمد الناصر الاموي طوال ثلاثة ترون .

نعم في المهد الذي كانت الاندلس خاضعة لسلطان مراكش تكونت — كما يقول لوكلير ( ج 2 من 340 ) جماعة من الأطباء التلت حول ملوك المرابطين

(16) وقد نبغ في القرن السابع أمثال السويدي صاحب التذكرة المتوفى عام 691 هـ ( يوجد بالكتبة الوطنية بالرباط مختصر للتذكرة لعبد الوهاب الشعراي المتوفى عام 973 هـ في 141 ورقة ) وابن أبي اصيبيعة وجمال الدين القنطي ( على بن يوسف المصري الوزير الملقب بالقاضي الراكم المتوفى في عام 646 ) ومبد اللطيف البغدادي ( المتوفى عام 629 هـ والذي امتاز في وقت امتحانه بمصر ) وابن النفيس المصري المتوفى عام 687 هـ والذي كان امظن اطباء مصر وهو صاحب « كتاب الشامل » الذي لم يكمل المؤلف منه سوى 80 مجلداً من بين 300 ( يوجد بالكتبة الوطنية بالرباط موجز قانون ابن النفيس لعلي بن أبي الحزم القرشي المتوفى عام 687 في 38 ورقة ) .

(17) أي بعد غزوة العocab التي انهزم فيها الموحدون عام 609 « وكانت السبب في هلاك الاندلس » كما يقول ابن عذاري في « البيان المغربي » ( ج 4 من 240 ) .

(18) الطب التقديم بالمغرب — رينو *Reinaud* نشرة مهد الدروس العليا عدد 1 من 72 ابن القاضي ( درة العجائب من 117 ) .

الاتصال (23) وهو اعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى البراز في الشرق .

وقد ترا عليه أبو الحكم ابن فلاندو الاشبيلي الشامر عام 535 كتاب «الاقتصاد» في سجن مراكش حيث مكت ابن زهر نحو العشر سنين . وكان ابن رشد يفضل ابن زهر على غيره من أهل مصره (24) . وقد نهج ابن زهر في كتاب «التسير» أسلوباً جديداً في الحكمة السياسية مستخدماً التبييض العلني للوصول إلى أحسن النتائج فهو طبيب التجربة والتمبيح العلمي وليس من صناع اليد كما يقول في «التسير» ولذلك توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية إلى الكشف عن أمراض جديدة لم تدرس قبله تند أهتم بالأمراض الرئوية وأجرى عملية التصبة المؤدية إلى الرئة وتمكن هو بعد ذلك من تشريح الصببة في مرض النوبة لمنعوج الريفي وقد اختص في أمراض الجهاز الهضمي واستعمل أنبوية مجولة من الت Cedir لتغذية المصابين بعسر البلع واستعمل الحقن المغذي وأكتشف طفليلة العرب وسيماها صوابية كما سط طرق العلاج التقديمة وأوضح أن الطبيعة — إذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر

شعب الفلسفة والعلوم وان كان مفهومها سبقت فـ  
القرون الاخيرة عندما يضمن الفكر العلمي بالقرب  
ليحصر على جزء من الطب هو الكمالية او مرض العيون.  
ويظهر ان ابا العلاء زهر بن زهر هو اول طبيب  
اندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على  
الأندلس وقد كان طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين بعد  
ان كان طبيب المعتمد بن عباد باشبيلية (19) ووالد ابي  
العلاء هو ابو مروان عبد الملك ابن ابي بكر محمد بن  
مروان بن زهر الذي تولى رئاسة الطب ببغداد ثم  
ببصر ثم بالقيروان (20) وكانت له اراء شاذة في الطب  
منها منه من الحمام اعتقدوا منه بأنه يعنن الاجسام  
ويقصد تركيب الامزجة (21) وقد تخضعت تجارب ابي  
العلاء في المغرب من تأليهه لكتاب «الذكرة» (الذى ترجمه  
وطبعه كولان عام 1911 بباريس ) وهو مجموعة من  
الملاحظات سجلها لولده ابن زهر للتعرية بالادواء  
الفالية في مراکش والادوية المناسبة .

وبعدما توفي أبو العلاء أمر علي بن يوسف بجمع ملاحظات طيبة أخرى كان أبو العلاء سجلها في أوراق وهي «الجربات» (22) وولده هو أبو مروان عبد الملك بن زهر خدم المرابطين مثل أبيه والـ كتاب

- (19) ذكر المراكش في « الموجب » ان المعتمد استدعاها العلامة لمعالجة « الرميكة » عندما كان أسيراً باغمات .

(20) ( النفع ج 1 ص 445 ) .

(21) الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبيعة ج 2 ص 64 - 66 .

(22) جمعت ببراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط منها في الاسكوريا ( 844 ) وقد ترجم جان دوكابسو التذكرة من العبرية الى اللاتينية ( نسخة من مكتبة كلية الطب بباريس ) ثم توالى الترجم مام 1280 والطبعومات ( عشر مرات بين 1490 و 1554 ) .  
وتوجد الان نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرطية بباريس يرجع تاريخ طبعها الى 1531 وهي تحتوي أيضاً على كليات ابن رشد .  
وهناك رسالة في امراض الكلي كتبها ابو العلاء لعلي بن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام 1497 كما يوجد مخطوط له حول الفوائم بمكتبة باريس ومنه استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات ، ولابن العلاء مثالية في شرح رسالة يعقوب بن اسحق الكندي حول تركيب الادوية .  
وتوجد نسخة من ( جامع اسرار الطب ) لابن العلاء في المكتبة الوطنية بالرباط وهي تحتوي على 185 ورقة .

(23) لابراهيم بن يوسف أخي علي ( يوجد منه مخطوط بباريس رقم 2959 ) وكذلك نسخة في الاسكوريا حسب رينو محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية وفروع من الكتابة عام 515 هـ .

(24) ابن عبد الملك في « الذيل والتكميلة » .

شان الجهاز البشري – تكni وحدها في الغالب لعلاج الأدواء (25) .

والحنيد أبو بكر بن مروان كان طبيباً شامراً متين الدين خدم الدولتين الممتنية والموحدة ( مبد المون ويوسف ويمتوب والناصر ) توفي عام 596 هـ بمراكيش الـ « الترياق الخمسيني » ليمعنوب المنصور ويس إليه ابن يوجان وزير المنصور السـمـ هو والبنـةـ اختـهـ وكانتـ هيـ وأمـهـ مـالـتـيـنـ بالـطـلـبـ لـاسـيـماـ فـيـ اـمـرـاـضـ الشـسـاءـ وـتـدـخـلـاـنـ إـلـىـ نـسـاءـ الـمـنـصـورـ (26) وكانـ أبوـ بـكـرـ يـحـفـظـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ (27) وـلـمـ يـكـنـ فـيـ زـمـانـهـ أـهـلـهـ مـنـهـ بـالـلـفـةـ وـكـانـ يـحـفـظـ شـعـرـ ذـيـ الرـمـةـ وـهـوـ ثـلـثـ لـلـهـ الـعـربـ (28)

اما ابو بكر محمد بن يحيى ابن الصائغ المعروف بابن باجة (29) فهو شيخ ابن رشد ، وقد استوزره أبو بكر يحيى بن ناشئين مدة عشرين سنة وكان يشارك الأطباء في صناعتهم محسدوه وتقلوه مسموماً عام 533 هـ (30) . ولم يصلنا شيء من المؤلفات الطبية النسوية لابن باجة ولا يعرف إلا من طريق ابن البيطار

(25) ( حضارة العرب ) جوستاك لوبيون من 530 من الطبعة الفرنسية . وقد وهم كودار نزعم في كتابه حول تاريخ المغرب ( من 452 ) أن ابا مروان ابن زهر يهودي ثم أكد أن ابن زهر استعراض بالمنهج التجريبي والطريقة المعتلية من التقليد في ممارسة من الطب وكانت له عبقرية مذلة تطورت بفضلها شعب ثلاثة حاول توحيدها وهي الصيدلة والجراحة والطب العام .

(26) ( ابن أبي اصيبيعة من 67 ) .

(27) ( الانيس المطربي ) ( ج 2 من 180 )

(28) ( المطربي لابن دحية ) .

(29) ( المتوفى بناس ) ( ابن أبي اصيبيعة ج 2 من 63 )

(30) وقد زعم مونك أن ابن رشد لم يتمدد لابن باجة الذي مات عام 1138 ( 525 هـ ) اي عندما كان لابن رشد 12 سنة وابن ابي اصيبيعة كتب تاريخه بعد وفاة ابن رشد باربعين سنة .

( مزيج من الفلسفة اليهودية والمعربية من 420 ) .

ويذكرون ان وفاته كانت سنة 533 هـ بناس نيكون قد اتبع بذلك لابن رشد ان يتتمدد له . كما خطأ عمر فروخ في كتابه « ابن طفيل وقصة حي بن يقطان » من 31 « المراكيش » حينما زعم أن ابن طفيل ترا على ابن باجة » .

واضطرب الفتاح بن خاثان في ابن باجة حيث نسبه في القلائد للتعطيل وانحلال المقيدة وحله في « مطعم الاننس في ذكر رجال الاندلس » بالخير والدين والاستقامة ( والسلوة ج 3 من 262 ) .

(31) ( لوكليبر ) ( تاريخ الطب العربي ) ( ج 2 من 79 )

(32) ابن ابي اصيبيعة ( ج 2 من 75 ) وذكر ابن عذاري في « البيان المغرب » ( ج 4 من 49 ) ان الخليفة ابا يعقوب اُعدِّلَ عام 573 مـونـدتـ عـلـيـهـ الـأـطـبـاءـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ لـلـمـعـالـجـةـ إـلـىـ أـنـ وـجـدـ الرـاحـةـ » .

(33) وذكر ايضاً ان ابا يعقوب لما خرج في الغزوـةـ التيـ مـاتـ اـثـرـهـاـ بالـانـدـلـسـ كانـ الـأـطـبـاءـ الـحـاضـرـونـ لـدـيهـ هـمـ اـبـنـ زـهـرـ وـابـنـ مـتـبـلـ وـابـنـ قـاسـمـ ( ج 4 من 70 ) .

(34) ( حضارة العرب جوستاك لوبيون من 531 من الطبعة الفرنسية ) .

بوقة مع مصطلحات الشرق العربي عدا غرفة ترجع إلى اللون المحلي كالنباتات والازهار والأعشاب المقاقدية التي تحمل أسماء خاصة متأثرة بالعقاقير الدهنية ونضرب مثلاً لذلك بالجوزة الصحراوية التي مررت في المغرب بهذا الاسم بينما مررت في كل من الشرق والجزائر بجوزة الشرك (41) وقد استعمل الطبيب هرون بن اسحاق ابن مزرون في ارجوزته التي استدرك فيها على الحبيبات الوراددة في ارجوزة ابن سينا ( وهو من رجال القرن الرابع ماش في مهد عبد الرحمن الثالث ) نحو ثلاثين كلمة مغربية اندلسية بدل مقابلتها الصحيحة منها :

تين مكة ( ادخر )

والحلحال ( = اسطوخودوس )

(Scolofendre) والعنبران ( = استولوندرزيون )

والناسوخ ( = اشق )

(Gomme Ammoniaque)

وشيبة المجوز ( = المسندين )

(Absinthe) (Meillot) والمجيبة ( = اكليل الملك )

(Anis) وجبة حلاوة ( = انيسون )

(Pourpier) والرجلة ( = بقلة حمة )

ويوريوز ( = بقلة يمانية )

وحبق الاترج ( = ترنجان Basilic citronnelle )

(Scule ou Peuplier) والصلصال ( = خلاف )

(Carotte sauvage) والجزر البري ( = دوتو )

(Graine de fenouil) والناعم ( = بذر الرازيانج )

والبرستم المكور ( زراوند مدرج Aristoloche ronde )

والمنديا ( = سريس Chicorée )

(Scammonée) والمحمودة ( = سلمونيا )

وابن رشد هو أول (35) من اشار الى الدورة الدموية وعلوها في كتابه « الكليات » الذي استمد منه ويليام هارفي William Harvey معلم نظرياته . وهناك طباء آخرون ينبع عدد البارزين منهم على العرشرين ، ازدهر بابحاثهم القطاع العلمي في عهد الرا بطين والموحدين (36) نفس بالذكرا منهم هالين الذين من سبعة هما على بن يقطان الطبيب الشامي الذي زار مصر عام 544 هـ ثم اليمن وال العراق ، وابن سمعون أبو الحاج يوسف بن يحيى (37) الذي كان طبيباً لميمون أمير حلب وملك مصر الظاهر ، وذلك علاؤة على ابن الرومية النبطي الاشتبيلى أحمد بن محمد بن مدرج المرور بابن العشاب الذي رحل الى الشرق عام 614 هـ (38) بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخامس وعلمه الواسع ، وكان لرحلة ابن البيطار الى المغرب اثر قوي في نقل المصطلحات البربرية الى الشرق وخاصة الجديد الذي أصبح المرجع الاساسي في الشرق وخاصة بمصر حيث مين ابن البيطار رئيس المتابعين (39) .

ومن أبرز من ظهر في هذا مصر ايضاً الشريف الادريسي الذي صنف كتابه « الترفة » في الجغرافية عام 548 هـ (1154 م) ووضع كرة مضية للعالم جعلت منه استاذ اوروبا كما شحن كتابه في الاندوية بنتائج تجاربه الشخصية القوية ، حيث الطبائعي الشرقي الكبير ابن البيطار الى الاقتباس منه في مائتي موضع من كتابه في الاعشاب (40) والامتناد عليه وحده في ثلاثة موضعًا مع الاشارة الى أسمائها بالبربرية . ويتجلى من هذا العرض ان العلوم ازدهرت في المغرب الاقصى الى القرن السابع وانصهرت معطياتها ومفرداتها في

(35) ابن النفيس المصري ، اكتشف الدورة الدموية الصفرى وهي الدورة الرئيسية قبل الغربيين بثلاثة قرون (نشرة المهد المصري ج 26 عام 1934) - بحث بظم ماكس مايرهوف من 33 ) وقد اشار ابن النفيس الى ذلك في « الكتاب الشامل في الطب » الذي كان يحتوي على 300 مجلد وقد اهدى مؤلفه منه 80 مجلداً لمستشرق فلارون .

(36) تحدثنا عن جميعهم في كتابنا « الطب والاطباء بالغرب » المطبعة الاقتصادية 1960 بالرباط .

(37) القلطى ج 2 من 160 و 193 و 256 .

(38) توفي عام 637 هـ وصنف كتاباً في الحشائش رجبه على حروف المعجم وفاق أهل زمانه في معرفة النبات (فتح الطبيب ج 1 من 635 ) وتلميذه ابن البيطار هو اعظم نباتي العرب الذي قارنه لوكلير ( ج 2 من 225 ) بالغاليقى والشريف الادريسي ورشيد الدين الصوري والنبطي .

(39) فتح الطبيب ج 2 من 683 .

(40) لوكلير Lecler ( ج 2 من 680 )

(41) ابن البيطار في « جامع المرادات » ومبد الرزاق الجزائري في « كشف الرموز في بيان الاعشاب » (طبعة الجزائر 1903 و 1917 ) .

— الجن — الحاجب — الحبو — والحدبة — حك الورك ( اي حك وهو مفرز رأس المخذ ) حلقوم — حنجرة — خرموم — اما في موم الحيوان فذكر من المفردات :

الحيوان — البغل — الجبع ( خلية النحل ) والجمل والحمار والبرفوث والبق والنحل — والبموش والتيس والتيس — والثعبان — والجحمة — والعنصري والعنصري — والجحش والجراد والجرثومة والجرثومة والجماد والجلجل — والحداء ، والعرجة ( جماعة الفنم والأبل ) والحظيرة والحلس والحوال ( ولد الناتحة ) والحوت والحوتى — والحيقطان ( الدراج ) ( الحيتون في زمير ) وختل الصياد — والخرفون والدلفين — دوارة البطن ( أمعاءه ) والدليك — والدباب — والدب — والخيل — والخيال — والخطاف — والخناش — والخنساء الخ .

اما في مصر البرينيين فان الملكة العلمية تضمنت وصار حظ التوصوص هو الغالب لا في علوم الآلية كالنحو او علوم الشريعة بل حتى في المنطق والحساب والطب وسائر العلوم العقلية (42) ويظهر ان هذه الآلة الفكرية قد اصابت بشلل جزئي تعاظمت علميا في الشرق حيث بدأ عصر الانحطاط العلمي في القرن الثامن وببداية التاسع على اثر السبيل الجارفة التي حطمت في طريقها معالم المدينة تحت امرة جنكيز خان وتبيورلنك ، واذا كان ابن بطوطة قد تحدث لنا من الدراسة النظامية التي كانت ما زالت قائمة البنيان فان استاذتها وطلبتها اندرسوا وقد لاحظ لوكلير انه امكن في هذه الفترة تسجيل نحو الاربعمائة نصليم من الاندلس لا يوجد من بينهم طبيب مشهور لثقة الطراوة والاكتفاء بالجمع والتاليف (43) .

ويرى بعض المستشرقين ان جامعة فاس التي ظلت تدرس الطب بكتاب ابقراط وجاليونوس وديوجينيونس العربية لم تكون لتعهد جامعات المعاصرات العربية الأخرى (44) . الواقع ان الفكر العلمي بدا يتجه نحو ليجمد على النصوص الظاهرة بالرغم مما يقال من

(42) «نشر المثاني» ج 2 من 97 «وصلة الانناس» ج 1 من 74 تتلا من كتاب لعلي بن ميمون الماشي .

(43) كتاب الطب العربي لوكيل ( ج 2 من 258 ) .  
 (44) ليفي بروونصال Lévy-Provençal ( هسبيريس Hesperiis ) ( هسبيريس العربي ) ( ج 1 من 575 ) وقد وصف كل من الرحالة باديا ليبليش المعروف بعلى العباسى والدكتور رينو Reinaud ( الطب القديم بالمغرب ص 77 ) مدينة فاس بأنها أثينة أفريقية اي شبهية بعاصمة الفكر اليونانى باوربا .

والعقب الترننلي ( = شاهشبرم Petit basilic ) ومشيشترو او ( = نعناع Menthe ) فوذنج Cerise وحب الملوك ( = فراسيا Carvi sauvage ) والكروية البرية ( = قنطوريون Centaurée ) وقصبة الحبة ( = قنطوريون Cire blanche ) والشمع الابيض ( = موم ) وغير ذلك .

وكان النباتيون يسمون الشجارات والحشائش بالشرق بينما يعرفون بالعشائين في المغرب ومنهم ابن العشاب المعروف بابن الرومية .

ولعل العامية المغربية من أغنى اللهجات العربية الدارجة في مصطلحات العلوم بالرغم من وجود مرادفات ببربرية ولتضليل لذلك امثلة متتبسة من معجمنا في « الاصول العربية للعامية المغربية » .

للي خصوص الاعشاب والازهار : بابونج ( بابنوج ) — بسباس ( المعجم الوسيط ) متدونس ( معدنوس ترفلس ) — الترنج ( الكباد بالشام ) — ترياق ( دواء للسموم ) الجلبان — حب الرشاد — الحرف — الجلجلان — جلنجين — الجوز — الباينجان — البجيرة ( البستان ) — برتوق — اجامن — البصل — العنصل — الدول — البطيخ — البرسيم — التبن — الشوم — الحسبن — العرمل — العشيش — الحلبة — حلفاء — حمامش — حمس — حناء — حنطل — خبزة — خرامن — خس — خشخاش — خشاش — خوخ — خيار — ذرة .

وفي العلوم : التوتيا — الجلمود ( الصخر ) — الجدول — الجذري — الجذام — الجذر — الجلد — الحادور ( المكان المنحدر ) — الحارة ( النساء ) — حامض الرئة اي مر النفف — الحبل ( حمل المرأة ) والحرنة والمحصمان ( الارض الحجرية ) — الحكة والحراج — والفنان والدمل الخ .

ومن اعضاء الجسم : بعصوص ( عظم بين الالبيتين ) ( المعجم الوسيط ) جمجمة — اثنتان الانف

وتأكد ذلك بعد أن نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمي منذ عام 1836 م من طرف روزن Rosen ومن بينها بحث في الجبر حل مشكلاته في المعادلات الثلاثية بطرق هندسية، ويقال بأن الخوارزمي هذا لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية Equation de 2<sup>e</sup> Degré وإن الذي حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر ابن إبراهيم (52) ولعل المذكوري الغوريتم واللوغريتم مستثنان من اسم الخوارزمي الذي يعتبر أندم الرياضيين العرب حيث عاش في مصر المامون العباسي، ونقلت كتبه في الجبر والمقابلة إلى اللاتينية، وقد أبدع العرب في علم المثلثات نظراً لطبيعتها في علم الملك.

وأ sistem الغرب الإسلامي أي المغرب الكبير والأندلس في بلورة هذا الانساع العلمي العربي ظهر ابن حمزة المغربي في القرن الرابع واستعمل طرقاً جديدة في اللوغريتم، وأشتهر في الأندلس أبو عبيدة سلم بن أحمد ويحيى ابن يحيى المعروف بابن السمينة وأبو القاسم أصيغ بن السمح (له تأليف منها المدخل إلى الهندسة في تفسير التلديس)، وكتاب كبير في الهندسة (أبو القاسم ابن الصفار وأبو الحسن الزهراوي (كان حالاً بالمدد والطب والهندسة له كتاب شريف في المعاملات) وأبو الحكم عمر الكرمانى (من الراسخين في المدد والهندسة) وأبو سلم بن خلدون (كان متصرفاً في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابن برقوث (اختصاصي في العلوم الرياضية) وتلميذه أبو الحسن مختار الرميسي (كان يصيراً بالهندسة والنجوم) وهبة الله بن أحمد السرقسطي (ناقد في الهندسة والمدد) ومحمد بن الليث (بارع في المدد والهندسة) وأبو هي الترطبي

وجود مدرسة للطب في سلا (45) ومن ظهور دراسات مغربية حول ملل وطرق ملاج «الطاعون الأسود» (46) الذي ظهر في منتصف المائة الثانية.

وأبرز من ظهر من الأطباء إنما هاشوا في أوائل مهد المرينيين أمثال أبي العباس الشريفي السلاوي الذي قرأ الطب في الشرق على ابن بنان (47) ومحمد ابن خليل السكوني الذي صنف في الفوائد الطبيعية والكلبات في الأفنيّة والببطة ومن ركوب الخيول وتدبر الحروب (48).

أما في القرن الثامن ثان العلماء أصبحت لهم مشاركة محدودة مثل أحمد ابن على الملياني المراكشي الذي جمع بين الشعر والكتابة والطب (49) بينما كانت لهذه المشاركة سمة الصلاعة والعمق فقد تبطن مثلاً إلى أوائل القرن السابع حيث كان إلى جانب اختصاصه في علم النبات اماماً في الحديث حافظاً نائداً .. « لوجود القدر المشترك بين صناعتي الحديث والتبيّنات موالدهما - كما يقول ابن الخطيب في الإحاطة - الرحلة والتبيّن وتصحيح الأصول »، وقد شملت المشاركة جوانب شتى مديدة من العلوم والتقنيات أهمها الرياضيات والهندسة والهيئة . وكان العرب أساندته النهضة الأوروبية في الحساب (50) وقد مند سيديو Sedillot (51) ما زعمه بعض المستشرقين من أن علماء العرب إنما اقتبسوا من الأفريقي مشيراً إلى ما أبدعه الفكر العربي في هذا المجال مثل ادراج الخطوط الماسية للدائرة Tangentes في المسابقات، والاستعاضة عن الأساليب المعتادة بحلول مبسطة أصبحت أساساً في حساب المثلثات الحديث Trigonométrie.

وقد لاحظ العالم شال Charles انه كان للعرب نضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة ،

(45) ورد في الجزء الأول من سلسلة « مدن المغرب وقبائله » المتعلق بالرباط ونواحيه ( من 32 و 225 ) أن « المدرسة البومنانية » المنسوبة إلى أبي هنان المريني بسلا كانت « مدرسة للطب » وتنسب ذلك إلى « الاستقسا » الذي لم يشر إليه عند ذكره للمدرسة ( ج 2 من 151 ) .

(46) الطب القديم بالمغرب - رينو - من 47 .

(47) توفي بالقديوم عام 641 هـ ( الاملام للمراكشي ج 1 من 351 ) .

(48) توفي عام 646 ( الاملام ج 3 من 145 ) .

(49) ( جذوة الاقتباس من 73 ) .

(50) توكبي Gautier في كتابه « مادات المسلمين وأعرافهم » من 238 .

(51) تاريخ الطب العربي - لوكليج ج 1 من 320 .

(52) « حاضر العالم الإسلامي » ( ج 1 من 151 ) .

وأبو هرمان موسى بن حسن بن أبي شامة من أهل المعرفة بالبناء والهندسة وهو صانع « البيلة » و « الخسّة » بصحن التروبيين عام 599 هـ (58).

وفي مهد المرينيين ظهر كثير من المهندسين ، على عام 674 هـ خرج يعقوب المريني إلى شلة وادي ناس « ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء » متقدّم على المدينة البيضاء (ناس الجديد) وشرع في حشر أساسها (59).

ومن هؤلاء العلماء :

محمد بن عبد الله المعروف بابن حجلة شيخ ابن البناء في الحساب (60).

ويوسف بن أحمد بن حكم التجيبي تاضي الجماعة بناس أخذ عنه ابن البناء الحساب والتعاليم (61).

ومحمد بن علي المعروف بالشريف أستاذ ابن البناء المراكشي الذي كان يذاكره مسائل من كتاب الاركان لاقليدس (62).

( بصير بالهندسة ، رحل إلى مصر عام 442 هـ ) وأبو الوتشي الطليطي ( الهندسة ) ( النفع ج 2 ص 874 ) ومن العلماء الذين برزوا في الهندسة والرياضيات بالغرب الأقصى في مختلف العصور : أبو بكر بن الصاغي المعروف بابن باجة Avempace له تعلق في الهندسة (53).

والحاج يعيش الذي منع لعبد المؤمن ابن على متعمورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من ألف رجل وقد وضعت على حركات هندسية تربع بها لخواجه وتختفي لدخوله (54).

والمهندس عبد الله بن يونس الاندلسي الذي استخرج المياه التي تتنفس بها بسانين مراكش بصنعة هندسية (55).

وأبو جعفر بن الحسن بن أحمد بن حسان التفاسعي الذي كان عالماً بالهندسة وسائر العماليم (56) وعبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين الناس وهو ببريري توفى بمراكش مام 600 أو أوائل 601 هـ وتوجد نسخ من ارجوزته في الجبر والمقابلة بخزانة باريز وبرلين واكسفورد والاسكوريال والناهارة (57).

(53) توفي بناس ( « عيون الانتهاء في طبقات الاطباء » لابن أبي أصيحة من 63 ) وكانت ولاته عام 533 هـ ( الاعلام للعباس بن ابراهيم المراكشي ج 8 ص 6 ).

(54) فإذا قرب وقت الرواح إلى الجامع يوم الجمعة دارت الحركات بعد رفع البسط من موضع المتصورة منتزع الأضلاع في زمان واحد ولا ينحو بعضها ببعضه بدقائقه ، وكان باب المنبر مسدوداً فإذا قام الخطيب ليطلع عليه انتفع الباب وخرج المنبر في دفعه واحدة بحركة واحدة لا يسمع لها حس ولا يرى ، وذكر القرى في النفع أن آثار هذه المتصورة كانت باقية عام 1010 هـ.

(55) ( نزهة المشتاق للأدريسي من 67 من الجزء المطبوع حول البرتغالية والأندلس ).

(56) انتقل إلى فاس حيث توفي في حدود ستة (الجذوة لابن القاضي من 72).

(57) ومن شراح الارجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المدرسي المتوفى سنة 815 هـ ( وهو مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة باليزيط ) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 ويسعى « اللمة الماردينية في شرح الياسمينية » ( مخطوط ببرلين والتامرة واسطنبول ) وله ارجوزة في أمثال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال ( راجع بحث الاستاذ محمد الفاسي مجلة رسالة المغرب 1942 السنة الاولى - عدد 1 ) ومن شراح الارجوزة سعيد المتباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء نيل الابتهاج من 106 ).

(58) ( الجذوة بين 37 و 57 ).

(59) ( السلوة ج 3 ص 145 ).

(60) ( الجذوة من 76 ).

(61) ( الجذوة من 346 ).

(62) توفي عام 682 هـ ( الاعلام ج 3 ص 192 ).

ف الحساب عارك بالمنطق والهندسة ( من اهل القرن الثامن ) (69) .

ومحمد الشريط الطمساني من علماء الحساب والهندسة والبيئة ، كان لسان الدين ابن الخطيب اذا تأليلاً يبعثه اليه وطلب منه ان يكتب عليه بخطه (70) وجمال الدين الماردیني خليل بن يوسف المندس المتوفى عام 872 هـ (71) .

ومحمد التوري حافظ ناس الحيسوبي الطبيب المتوفى عام 872 هـ (72) .

وابير المؤمنين في الفرائض والحساب ابراهيم الصودي ، توفي بناس عام 912 او 913 هـ (73) .

واحمد الغزاني الفاسي كان استاذًا لرفقيا حيسوبيا له معرفة بالفلك توفي عام 920 هـ (74) . محمد بن قاسم بن نورت التلمساني « استخدم مقلته في حل مشاكل الهندسة » وهو من مواليد نهاية القرن التاسع المجري (75) .

(63) توفي عام 221 هـ على قول ابن قنة ( نيل الابتهاج من 42 ) كان يتصدّى شيخه ميد الرحمن الهمييري لميما اشکل عليه من مسائل الهندسة (137) وله ايضا جزء في « المساحات » ( الجذوة من 77 ) .

ذكر ابن القاضي في « درة الحجال » ( القسم الاول من 5 ) ان له كتاباً في العبر والمقابلة سمّاه « الاسول » وكذلك « رفع العجلب من تلخیص اعمال الحساب » زيادة على « تلخیص اعمال الحساب » وذكر میاس بن ابراهيم في الاعلام ان كتاب « العبر والم مقابلة » موجود في المكتبة الخديوية ( ج 1 من 379 ) ومن شرح تلخیص ابن البناء احمد بن رجب ابن طنبیا التاهري المتوفى عام 850 هـ المعروف بابن المجدی ومن اختصره وسماه « بالحاوی ابو شهاب القرافی المعروف بابن المائب المتوفی عام 815 وتنلیمه محمد بن فازی المکانی وابن القاضی وابن المکانی صاحب « الجذوة » ( من 384 ) ومن شرح تلخیص ابو العباس بن قنة في كتاب سمّاه « خط النقاب من وجوه الحساب » ولا بن قنة هذا « بقية المارض من الحساب والفرائض » . ( الاعلام ج 2 من 17 ) .

( الاعلام ج 2 من 2 ) . (64)

( الدرة من 441 ) وهو بن ميد الرحمن بن غیم ( نيل الابتهاج لابن بابا السوداني من 192 ) . (65)

( نيل الابتهاج من 127 ) . (66)

( جذوة الاتقان لابن القاضي من 31 ) . (67)

السلوة ج 1 من 304 . (68)

الاعلام ج 2 من 10 . (69)

نيل الابتهاج من 258 و 264 . (70)

له « غایة الانتفاع بالبخش الذي في طرف قوس الارتفاع » مطبع حجر ، ناس . (71)

السلوة ج 2 من 116 . (72)

درة الحجال ( من 107 ) وسلوة الانسان ( ج 2 من 4 ) تلميذه ابراهيم الزواوي مقتبه كنو من (73)

السودان ( الدرة من 111 ) . (74)

درة الحجال من 91 . (75)

نيل الابتهاج من 340 .

وابو العباس بن البا العددی المراکشی لـ « التلخیص » في الحساب و مقدمة في اثیدس و اختصار في الثلاثة (63) .

وابو جعفر بن منوان الامام في الحساب وهو تلميذ ابن البا (64) .

وملي البیرنی المکانی الشهیر بالطنجي امام في الرئائض والحساب في وقته توفى عام 734 هـ (65)

وميد الله بن محمد بن احمد التلمساني ولد سنة 748 ترا الهندسة بكتاب اثیدس على والده بناس (66)

وملي بن احمد الطمساني موقع التروين ایام أبي هنان المريني صنع « المজانة » المقابلة للمدرسة العنانية عام 758 هـ (67) .

وميد الرحمن اللجائي تلميذ ابن البا في العلوم التعليمية توفى عام 773 حسب تلميذه ابن قنة (68) وأحمد الاوسي المراکشی المعروف بابن الشماع امام

ومحمد بن هلال « امام التعاليم في سبعة وشراح  
المجسطي في الهيئة » مات عام 949 هـ (76) .

ومحمد بن يوسف المعروف بابن مشون من  
أساتذة المدرية رحل إلى سبعة ونظم رجزاً في علم  
الجبر والمقابلة ، توفي عام 989 (77) .

اما في مصر السعديين فلم يتبغ من الاطباء  
والرياضيين والجغرافيين وغيرهم من العلماء سوى  
مدد محدود ، منهم الطبيب بن عزوز المراكشي صاحب  
ذهب الكسوف (78) وعبد الرحمن سقين الناصري  
المحدث الاديب الذي كان يدرس الفقه ابن سينا (79) .  
وأبو القاسم الوزير الغساني صاحب شرح حمييات ابن  
مزروون » و « وحديقة الازهار في شرح ماهية العشب  
والعتار » (80) .

وقد نشر الدكتور رينو في نشرة معهد الدروس  
المغربية العليا (81) دراسة حول « حدائق الازهار » ذكر  
فيها أن هذا الكتاب « يمتاز بمنهجه الواضح جداً في  
الوصف النباتي الذي يتسم غالباً بطابع من الاصالة  
والطراوة ، وطالما يخلو الكتاب من الاشارة إلى منابت  
الاعشاب التي توجد بالقرب من ماس وبذلك يزودنا  
بمعلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلية بناس ،  
 فهي اذن محاولة مبنية لترتيب ثلاثي يدخل منصراً  
جديداً في وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية ».

ومن اطباء هذا مصر وعلمائه :

عبد الوهاب الزقاق الذي كانت له مشاركة في  
الادب والاخذين والطب والتفسير والحديث والنحو  
ولوى القضاء بناس (توفي عام 961 هـ) .

(76) الاملام ج 3 من 263 .

(77) درة الحجال من 176 .

(78) اقتبس نصل طب الميون من الكحال الشرقي علي بن عيسى ( الطب القديم بالمغرب من 75 ) .

(79) توفي عام 956 ( نيل الابتهاج من 153 ) .

(80) الله للسلطان المنصور السعدي عام 994 ( نشر المثاني ج 1 من 129 ) وظهرت في

(81) ج 18 من 195 .

(82) « نزهة الحادي » طبعة هوداس من 146 .

(83) نقل عام 980 هـ ( الاملام ج 4 من 318 ) .

(84) لقيه ابن القاضي في مصر عام 986 ( درة الحجال من 143 ) .

(85) توفي عام 1048 ( الاملام لابن ابراهيم ج 2 من 114 ) .

(86) نشر المثاني ج 1 من 77 . نهم كتاب أقليدس من غير شيخ لمعزة وجوده بالمغرب مكان يذكر شكلان في

كل يوم ( درة الحجال من 51 ) وتطلع ايضاً في الجبر والمقابلة ( السلوة ج 3 من 226 ) .

(87) توفي ببراكش عام 1022 هـ ( الاملام ج 2 من 82 ) .

غير أن هذه «العلوم فاقت منذ أوائل القرن الحادى عشر سبعها العلمية فامضت مجرد (حرف) تقنية فحيث افتصاصين في الحساب والهندسة والمساحات» (96) وما يدل على عتم الصيدلة ما لاحظه الحسن الوزان من أن العقاقيرين بناس لم يكونوا قادرين على ترتيب الاشارة والأدھان طبقاً لوسائل الأطباء مكانوا يجتمعون كلاماً لامدادها ثم يرسلونها إلى دكاكينهم للتوزيعها وهي ظاهرة ان كانت شئ من اتخاذه في المستوى العلمي ثانها تدل مع ذلك على امانة واخلاص للمهنة . وبالرغم من تقلص شبكة العلوم فإن الروح العلمية ظلت تلکي الخاصة من العلماء الذين كانوا يشعرون بالفروق الدقيقة في الاتجاهات العلمية ، ويتجلى ذلك في تصريحات أبي علي اليوسي للعلوم : إلى ملائكة وملية ، وتحديده لما هي ملم الفلسفة الذي يهدف إلى « تكميل النفس الناطقة والاطلاع على حائق الاشياء بتدر الطاقة » وانه - كما يقول - أما نظري وأما علمي ، والأول اما مجرد عن المادة مطلقاً وهو العلم الالهي ، او في الذهن فقط وهو العلم الرياضي ، او متى بالمادة وهو العلم الطبيعي ، والثاني اما متعلق بنفس الشخص من حيث هي ، وسمى سياسة النفس وعلم الاخلاق ، او بما وبما يحتاج اليه من شهوات تواها وهو علم تدبير المنزل ، او بما يعم وهو الملكية والسلطنة » ..

وقد أصبحت التعاليم تنحصر على عهد العلوين في عمليات تطبيقية منها ما منه :

محمد السناوي مريño الاندلسي المنجم الحيسوي الذي وضع مؤلفات في « تدبير قرض النقفات » بمثل

وقته الحرف المبعة التي لم تكون بالغرب منها الحساب والهندسة والمساحات (88) .

والراحلة محمد بن القاسم ابن القاضي أوحد مصر في علم الحساب والتنجيم والبدال ، له « البرق الواضح في الحساب والفرائض » (89) .

وأحمد التلصادي موظف التزوين كان يدرس كتاب التلصادي (90) .

ويعتوب البستانى امام الفرائض والحساب (91) وأحمد التقليقى المارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادئ الهندسة ، وهو شيخ « جماعة النون » المذكورة ببراكنش ، وهو معاصر لمؤلف درة المجال (92) .

ومحمد بن سعيد السوسي المرغيفي صاحب المقنع في التوبيخ (93) .

ومحمد ادراق السوسي .

ومحمد بن محمد بن سليمان الناسى الرودائى ، كان يتنون نون الرياضة والطليس والبيبة والمخروطات والمتسطيات والمجسطى ويعرف انواع الحساب والمقابلة والارتماطيقى والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره (94) .

وقد تناسى الناس في انتقاء الآلة التي اخترعها ، وكان يبيعها بثمن غال وقد الف رسالة في وصلها وهي منشورة في الاعلام (ص 350) والآلة مبارزة من كرة مستديرة مسطحة دوائر ورسوماً ركبت عليها أخرى مجونة منتسبة نصفين فيها تخريم وتعاويف (95) .

(88) الاعلام للبراكنش ج 1 من 46 . (توفي عام 1025 هـ) .

(89) توفي تبلياً بفاس عام 1040 هـ (السلوة ج 3 من 287) .

(90) توفي عام 1063 (نشر الثاني للتاوري من 207) اما على بن محمد التلصادي (891 - 810) فاصنعن

بسقطة ، واستوطن فرنطة ومات بباجة بتونس له « شرح الاجزء الياسمينية في العبر والمقابلة » و « قانون الحساب » و « كشف الاسرار في الجبر » (الاعلام للزركلي ج 5 من 163) وله أيضاً شرحان على تشخيص ابن البناء والஹومي والفنية في المراجئ ، أخذ بمصر من ابن حجر كما في رحلته (الفتح ج 2 من 684) . وقد طبع كتابه « كشف الاسرار » مراتاً بعمر ناس .

(91) كان يقرؤها في الماء ماذا أراد عاملها يصورها في اللوح ضربه بالتضييف على يده (الجزء من 350) . وهذا يدل على استعمال السبورة في شرح العلوم بالغرب في ذلك العصر .

(92) الدرة .

(93) توفي عام 1809 م (نشر الثاني ج 2 من 37) .

(94) توفي عام 1094 هـ (الاعلام ج 4 من 334 نعلا من خلاصة الامر) .

(95) نشر الثاني من 87 .

(96) الاعلام للبراكنش ج 1 من 46 .

عبد الرحمن « رئيس المهندسين » وعيته مولاي الحسن « رئيس تواط الطبجية » ( اي الدنبعية في العامة المغربية ) وخليفة وزير الحرب (104) .

وكان هناك رياضيون ومهندسو آخر من تجلس تبيتهم العلمية فيما صنفوا من كتب وأبحاث تكللت الطبيعة الحجرية في ماس بطبعها عندما اشاده السلطان محمد الرابع منذ أزيد من قرن (105) .

وقد اندرس التعليم الرسمي للطب والعلوم بجامعة القرويين رغم ما اشار اليه دلنار (106) من استمرار اعتناء الطلبة آنذاك « بالكامل » للمراري « والقانون » لابن سينا « وزيادة الطب » للجرجاني « والتذكرة » للسويدى « وذكرة الانطاكي » وكليات ابن رشد ومدرّسات ابن البيطار وكشف الرموز للجزائري ومع ذلك ظل الأطباء يجرون بمهارة بمعرف العمليات التشريحية الصغرى (107) .

وقد بدأ المغرب منذ العهد السعدي يستدعي « خبراء فنيين » معدودين كالطبيب الفرنسي كيروم بيير (Guillaume Berard) الذي كانت له ثناية متواضعة (108) . وهو بير (Hubert) استاذ العربية بجامعة باريس (109) والطبيب الانجليزي لموريير والدكتور براون الذي منحه السلطان مولاي عبد الرحمن رخصة لمارسة مهنة الطب بالمغرب ، وذلك علاوة على الأطباء اليهود الذين كانت تستقدمهم الجالية الاسرائيلية ، او من كان يولد في الأجزاء المحظوظة من المغرب أمثال الطبيب النباتي الإسباني السبتي كريستوف دا كوسطا . وشعر المقرب

الرموز والأرتام مرقبا على إطار حياة المنق عليهم (97) .

والاستاذ المعطي رينو له مؤلفات في التوثيق ، منها كتاب في تعديل الكواكب السبعة سماء « كنز الاسرار » ، وآخر في أبعاد النيرات ورمذه ، وابتكارات أخرى في علم « المزاول الرحامية » وغير ذلك (98) .

واحمد بن الطاهر المراكشي العالم بالاحكام النجومية والازياج والمهندسة والجدول (99) .

واحمد حدو المتنبي الاستاذ في الحساب والرصد والأسماه (100) .

ومحمد متجموش استاذ الفرد في علم الحساب والتنجيم (101) .

وعبد الرحمن لبريس المنطقي النكسي الحيسوبى (102) .

ومحمد بن الرئيس بن الحسن على التركى الضليل في الهندسة والرياضية . ومن اوضاعه في هذه مثال سماء « الشكل الكوري » شامل لسائر الروايا والخطوط واشكال الهندسة مما تشتمله اصول اقلidis وتهذيب الطوسي (103) .

واحمد بن عبد الله الثاني المعروف بالصويري ، كان عارما بالحساب والتنجيم وعلم الاحكام الملكية وعلم الميئنة ، له مؤلفات وتعليق في الحساب والجبر والمقابلة وفي اللوغاريتم ، وحل اشكالا هندسية مبتتها في الرياضيات ، وكان عيشه السلطان سيد محمد بن

(97) توفي عام 1207 م ( ج 1 ص 136 - الافتباط ) لابي جندار .

(98) توفي عام 1223 م ( ج 2 ص 116 - الافتباط )

(99) مات عام 1250 هـ ( الاعلام ج 7 ص 214 ) .

(100) وكان يحسن نحوا من ثمانية عشر ملما توقيعه مشرعا ( ج 3 من 82 ) .

(101) توفي عام 1290 م - و عمره 31 سنة ( ج 1 ص 212 ) .

(102) ساير الى الحج 1307 وهو من مواليد القرن الثالث عشر ( ج 2 ص 134 - الافتباط ) .

(103) الاعلام ( ج 2 ص 192 ) .

(104) الاعلام ( ج 2 ص 267 ) .

(105) راجع مطبوعات المغرب للأستاذ ادريس الادريسي وهي مخطوطة )

(106) في كتابه « ناس وجامعتها » طبعة 1889 Delphin

(107) رينو - من 128 ( راجع في كتابنا « الطب والاطباء بالمغرب » نماذج لمهارة بعض المحترفين في هذا المجال من 72 - 80 ) .

(108) رينو - « نشرة محمد الدروس العليا » ج 18 ص 206 .

(109) كودار - تاريخ المغرب الحديث مملكة تنهار » كامبو 1866 ص 16 .

الخلط سلله ومنظراً بين المصادر المطبوعة ودروسه في مصر وتقاليد أطباء المغرب وصياداته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة بأوروبا وأمريكا ، وبما احياناً باسماء الدواء بالعربية ومحظوظ لمجاتها ثم باللاتينية والإنجليزية مع تخليل ذلك بالمصطلحات الحديثة العامة كالتصعيد والتقطير ، وقد نقل من مصر نماذج جديدة من النباتات والعقاقير والأدوية ، ويذكر من تجارب شيوخه في تصر العيني وأسمائه الشخصي في هذه التجارب وقد ذكر أنه شاهد زرارة مصرية بالتمر العيني خلال ترامته على الحيوانات ( الضياء من 57 ) وشارك في تحضيرات بالمعمل الكيماوي بمصر ( من 72 )

وقد نقل من نحو الخمسين مؤلفاً منهم ابن الخطيب ( من 80 ) والوزير الفاسي صاحب الحديثة وبعد الرحمن الفاسي وبعد القادر ابن شقرور والطبيب الصيدلي العجلاني والطبيب المصري أحمد بن حسين الرشدي الذي مات أول القرن الماضي وأبن الشاه صاحب تفسير الالحان الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري ( 108 ) . وقد أسس الطبيب مولاي عبد السلام العلمي مصحة صغيرة بفاس مدل بها حتى توفي عام 1323 هـ ، ورسالة العلمي هذه مشحونة بالإصطلاحات الحديثة ووصف العمليات العلمية التي كانت تجري بالقصر العيني وأنواع العلوم التي كانت تدرس به مثل علم التشريح البيكري والمفلسي والمفصلي والتشريح العصبي والتاريخ الطيفي والكيمياء الطبية والأقراص ( الصيدلة ) وطب الرمد والإبراش الجلدية والداء الزهري وعلم الحيوانات الصبرة وأحجار المعادن وأمراض النساء والاطفال ( في إسطنبول أمراض النساء بمصر ) .

ويعطينا كتاب « ضياء النبراس » صورة من الاختلاف الملحوظ في المصطلحات العلمية بين الشرق العربي والمغرب الأقصى الذي عرف عشرات الاعشاب والنباتات بالisan البريري انفرد بها المغرب . ويتجلى من الصراع السياسي وال العسكري ما بين المغرب وبخوضه منذ بداية هذا القرن أن التعليم العربي أصبح يسير رويداً نحو التخلص إلى أن انحصر في جامعة القرويين وروافدها المحدودة التي بعد مهدها بالعلوم . وازدادت اللغة الفرنسية أدلة وحيدة للذين في الاستعمار اللغة الفرنسية أدلة وحيدة للذين في المدارس وقام « التعليم الحر » المغرب برد فعل هنيئ

بتقاضاً للأشخاص الذين تأسس مدرسة للبنون بناس الجديد « ومدرسة مركبة للمدمعية » بالجديدة ( 110 ) تخرجت منها نساء من الطلبة توجهت لاستكمال دراستها في مصر وكذلك في إنجلترا وأسبانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا . وقد تابعت بعثة مكونة من التي مشر طالباً دراستها في جامعة مونبيلي ( Montpellier ) 1885 - 1888 درست فيها اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية والفيزياء والرياضيات والكيمياء والتلفراف والتليفون وعلم البصريات والكهرباء والضفتط الجوي وترسيب الطرق والسكك الحديدية وسحق الأرضي ولكن تحرير التصميمات الهندسية بالإضافة إلى التمارين العسكرية وبناء الفنادق واجهزه الدفع وصنع آلات الحصار ، وحقق هؤلاء الطلبة ما صبحوا يحررون المذكرات ويتناهبون للأفضلية برسالة تقنية هامة في المغرب الحديث ، وتم الاتفاق بين المغرب وفرنسا على توجيهه نوج جديد لاستكمال الأطر المغاربة تدريجياً في مدينة فرساي ( Versailles ) ولكن شيئاً من ذلك لم يتم ، حيث توفى الحسن الأول بعد سنوات ودخل المغرب في خضم من الدسائيس الدولية عرقلت توبته للابتعاث ، ووجه الحسن الأول ذلك إلى أوروبا طلبة لدرس الطب تابع ستة من مهندسين بالمستشفى الإسباني بطنجة في ميدان التحصين والتضييد والتشريع وبين ثلاثة من خريجيها أطباء في الجيش بكل من طنجة ومراكنش ، أما مصر فإنه لم يتوجه إليها هذا الاستاذ عبد السلام العلمي لدراسة الطب بالقاهرة ، وكانتها كانت التوازة الأولى أراد السلطان الحسن الأول أن يستكمله بها قيمة الدراسة العلمية في الشرق العربي غير أن هذه البعثة لم تجدد كثيلاتها في أوروبا بالرغم من ارتفاع مستوى التعليم في مصر آنذاك ، والواقع أن المغرب أعاد كثيراً من الروح الجديدة التي تعمّصها الشريف العلمي الذي ما لبث أن صُنِّف بعد موته كتاباً سمّاه « ضياء النبراس » في حل مفردات الإنطاكي بلغة فاس ( 111 ) ذكر فيه شيوخه في « الإسطبلية الكبرى » بالقصر العيني الذي أسس عام 1827 م بأمر من الخليفة محمد ، ويعتبر هذا الكتاب في نظرني نقطة تحول في تاريخ الطب المغربي حيث يحاول المؤلف التوفيق بين الشعور والبروج والأدوية وأنواع النباتات المداولة في الشرق والغرب وفي المغرب مصححاً في بعض الأحيان

( 110 ) الانتحاف لابن زيدان ج 3 من 367  
 ( 111 ) طبع بالمطبعة المجرية بناس عام 1318

تعريب ، ولذلك يلاحظ أن الأطر ما زالت تستعمل الفرنسية تبعاً لغة الخبراء الثنائيين الذين يقل عددهم نسبياً بفضل حركة المغرب (112) على أن هذه المغربية لا توافق حركة التعريب فقد ظلت لغة معظم الاختصاصيين المغاربة أجنبية في تحرير النصوص والخطابات والمناشير وكذلك التخاطب في المجالس والمؤتمرات باستثناء وزارة العدل والمرافق التابعة لها حيث شمل التعريب جميع المحاكم ) ولعل المشكك واحد في مجموع انتشار المغرب العربي — عدا ليبيا — نظراً لما نتج عن تعليم التعليم ( أزيد من مليون طفل اليوم بالغرب بدلاً من ربع مليون قبل الاستقلال ) من هلة في تكوين الأطر وضفت في المستوى والمظاهر الغربية هي أن جامعة القرويين نفسها قد تضليل طلبتها لكون إردواجية اللغة ما زالت متىاساً لتقييم الامتحانات في مختلف مجالات الحياة ، ولم تكن تمر أربع سنوات على الاستقلال حتى شعر جلاله المرحوم محمد الخامس بفعل الرواسب التي تباعد بين جناحي المروبة خاصة في حقل المصطلح « العلمي والتكنولوجيا » فدعا عام 1960 إلى عقد « مؤتمر للتعريب » ابتدأ عنه في إطار جامعة الدول العربية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، ذلك المكتب الذي يستهدف الاستفادة من تجربة الجناح الشرقي لدعم حركة التعريب في الجنان الغربي ، وقد نشر هذا المكتب عدة مجاميع في العلوم بلغات مختلفة ، كما أصدر « اللسان العربي » وهي مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي ، وأسس مكتبة للعلوم زاخرة بأحدث ما أصدره الشرقي من مصنفات في مختلف القطاعات التقنية ، وقد خطط لنفسه تصميماً مشارياً غايتها الأساسية استكمال الأداء العلمية والتقنية في إمد محدود بتوحيد المصطلحات واستقرارها تعزيزاً لمصراج ثقافي تخوضه لغة الفيصل كلفة عمل في كثير من المجال الدولي ، وقد اندرج هذا العمل التقني ضمن مشاريع تسمى فيما المجمع والمجالس العليا والاتحاد العلمي العربي والجامعات والهيئات التقنية في مختلف المؤسسات العربية وممثلي الاختصاصيين الذين يراسلون المكتب الدائم من جميع أنحاء العالم العربي .

وقد بدأ هذا الكناح يعني أكله بتنوع النخب المغربية — القليلةصلة بالثقافة العربية — بفعالية لفتاً القومية في مجال الحضارة والعلم كادة طيعة للتخاطب في الحقل الدولي ، ولكن هذا الافتتاح لن يتم

مغرب تدريس العلوم وخاصة بشمال المغرب حيث توجهت أنواع من الطلبة لاستكمال دروسهم في الشرق ، وكانت الحماية الإسبانية في هذه المنطقة أقل مضايقة للمواطنين متکافئ عدد المتردجين من الشرق المغربي وشجع الباب المنفتح الطلبة على متابعة دروسهم الثانوية في المعاهد المصرية على حساب ما ابتدأته الفرنسيون في منطقة نفوذهم بالجنوب من أساسيات المدرسة والدسائل للقضاء على لغة الضاد . ومع ذلك فقد واصل « التعليم الحر المغرب » رسالته الخالدة محافظاً على كيان اللغة بالرغم من « تفريغ » إفليمة المتقفين وازدواجية ثقافة الأقلية الفضيلية من هذه النخبة التي تزعمت بروحها العربية الإسلامية حركة الثورة ضد الاستعمار . وكان التعليم المغرب يستورد خلية من الشرق — وخاصة من مصر — جملة من المصنفات معظمها في الآداب واللغة والنحو وظل الحاجز كيناً بين لغة عربية علمية تتطور في الشرق وتوافق النهضة الجديدة وبين مربية قص جناحها في المغرب التقليدي لا كلغة علمية بل ك مجرد لغة ، وقد تامت الصحافة العربية دوراً هاماً في تجديد الصلة بين الشرق والغرب متتبعة البحوث الجديدة ومصطلحاتها المولدة في الاقتصاد والسياسة والقانون وتاريخ المذاهب الشيوعية والاشراكية والتزمات الأدبية والفنية المستطرقة مقتبسة في ذلك ما راج في الشرق العربي من تعبيرات ومفردات وطرق المغرب بعد استقلاله في عام 1956 يتطور ببطء نظراً لترافق المذاهب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فرسم الخططيات في شتى الميادين الحضارية وضاعت حصن اللغة العربية فما تکتمل الآن تعريب السلك الابتدائي وإن كانت تلة الأطر الغربية الصالحة تهدى بتجدد هذه الحركة ، وظل الثاني في طوره يلعن العلوم بالفرنسية عدا التعليمين الحر والأصلي أي الإسلامي الذي هو من رواد جامعة القرويين بكلياتها الجديدة ( الشريعة بناس ، وأصول الدين بتطوان ، واللغة العربية ببراكنش ) كما ظل اقبال المغاربة ملحوظاً في مدارس البعثة الفرنسية التي بددت منذ يناير من سنة ( 1969 ) تلقين العربية لطلابها . وقد تزايدت حصة اللغة العربية في معظم الأسلام بيضاء أحدثت اقساماً مغربية في كلية الآداب والحقوق والجامعة العليا للأساتذة مع بناء الكلية التقنية كلية العلوم ومدرسة المهندين ومعاهد الفلاح والإدارية العسكرية في معزل من أي

(112) ما مذا قسموا بسيراً تعلم وزارة الوظيفة العمومية على تعريبه بدورس خاصه تنظمها للموظفين .

الا اذا استقصينا تدريجيا المصطلحات التقنية التسوي  
اصبحت حتى عند دول كبرى كفرنسا مثلا غزو ثقافي  
بسبب ما تزج به مخابر الكترون في الاسواق الدولية  
من مصطلحات تقنية يبلغ عددها خمسين مصطلحا في  
كل يوم

هذا وان مواكبة حضارة المعر المحدث لن تكتمل  
بالنسبة اليها معاشر العرب الا اذا توازت فيها ذاتيتنا  
العربية مع انسانيتنا الحضارية ، والقوم الجوهري  
لهذه الذاتية هو اللغة العربية التي ظلت – كما يقول  
ماسنيون Massignon اداة خالصة لنقل بدائع  
الفكر في الحقل الدولي ومنصرا جوهريا للسلام في  
مستقبل الامم والشعوب »



# تَرْسِيلُ الْعَرْسَةِ كَلِفَةٌ حَيَّةٌ فِي الْوَلَادَاتِ الْمُتَحَدَّةِ الْأَمْرِيَكِيَّةِ

## الدكتور سامي عباد - الدكتور جعفر مبروك الولايات المتحدة

مع الناس في احداث كل يوم العاديه . وهناك من يؤمن بتعليم النصحي او لا ثم بعد ذلك العامية من طريق احدى لهجاتها .

وهذه الحلول المخطلة تبدو غير مرضية بتاتا في نظر آخرين يؤمنون بأنه اذا كان المهد من تعليم العامية هو تمكّن الطالب من محادثة الرجل العادي العربي فهو يضيع وقته سدى لأن بتعلّمه العامية سيجدد له لهجة معينة كما انه وإن لم يستعملها في مكانها فهو لن يستفيد منها . فمثلاً اذا تعلم لهجة مراكش فقط وذهب بعد ذلك الى بنغازي مثل يمكنه التفاهم الكامل معها . أما اذا تعلم الطالب الاجنبي اللغة العربية المكتوبة او بالآخر النصحي بــدون التعرض الى اللهجات بهذا يعده البعض اسلوبياً غير واثقي في تعليم لغة حية كما انه لا يتنقّل ونظريات علم اللغويات الذي يدور حول محور هام وهو ان الكلام يأتي اولاً وان الكتابة انما هي رمز لما ينطق به المتكلم . وعلى هذا يبدو ان الحل المثالي للمشكلة في نظر مؤله العلماء لابد ان يكون هملياً ويتنقّل مع الواقع اللغوي العربي وفي نفس الوقت مع نظريات علم اللغويات الحديثة . ومنن هذا انه اذا وافتنا على ان نبدأ تدريس العربية للاجانب بلغة الحديث فلابد من البدء باللغة العامية . ولكن ايّة لهجة نختار ؟ والاجابة على هذا السؤال تتوقف الى حد كبير على المهد من تعلم اللغة نفسها .

بالرغم من ان دخول اللغة العربية في برامج مدد كبير من الجامعات الامريكية ظاهرة حديثة ، فإن الاهتمام بها نما مطرداً خلال السنوات العشر الأخيرة . وهناك من الأدلة ما ينفي بأن الدراسات العربية أصبحت ميداناً علمياً هاماً وإن مدد الجامعات الامريكية التي تقدم في برامجها اللغة العربية وحضارتها العربية تد بلغ أكثر من ثلاثين جامعة .

ولكن هذا الاهتمام وهذا التوسيع اثار مشاكل تربوية وأصبح السؤال الذي يردد كل استاذ هو كيف ندرس اللغة العربية ومن اين نبدا .

من هناك النصحي والعامية . أما العامية فنحن نعلم ان هناك لهجات هرية مديدة تمنها اللهجة اللبناني والمصرية والتونسية والمغربية وهكذا .. وتزداد الموردة تعقيداً باــن كلــا من هذه اللهجات لها لهجات محلية . على مصر نرى اللهجة التناهيرية واللهجة المصدية . ثم تزداد المشكلة تعقيداً باــن الكتابة العربية نفسها - بدون شكل - تسمح بنطق كلــة واحدة في مدة اوضاع بمعانــيها المختلفة . فمثلاً ( كــت بــ ) يمكن نطقها باــشكال مختلفة .

اقدم عدد من اساتذة علم اللغويات والتربية الحديثة على عدد من الحلول . فمنهم من يعتقد ان الطالب الامريكي يجب ان يتعلم النصحي فقط قراءة وكتابة . ومنهم من يدعي ان العامية هي التي يجب ان ندرسها لأن المهد من تعليم اللغة هو الاتصال والتفاهم

العربية في كثير من المدن العربية الكبرى . والسبب في اختيار هذه اللهجة هي أنها مفهومة تماماً في جميع البلاد العربية . وشكراً لوسائل الاعلام الحديثة من تلفزة وراديو وأفلام سينمائية التي تربت هذه اللهجة إلى عدد كبير من الشعوب العربية . فهي لغة متبولسة للجميع وتستمتع بشهرتها المعرفة واحترامها .

ما الذي يتزوجه أصحاب هذه النظرية في أول خطوة لتعليم العربية هو البدء باللهجة المذهبة .

و هنا يجب تحديد العلاقة بين ما نسميه « بالعامية » « والفصحي ». نهاية لغة من لغات العالم لا تكون من عنصرين فقط يمكن تحديدهما تحديداً واحداً . بل بالآخر تكون من « مستويات كثيرة » وكل مستوى يرتبط بمستوى ثقافي معين ووظيفة معينة . ولكن يمكن استخدام العربية عملاً يجب على الدارس والمدرس أن يكونوا متقيظين لهذه المستويات وإن العربية نبت وزادت بلاغتها على مر الأيام والاجيال . وعلى ذلك يمكن أن نميز على الأقل ثلاثة مستويات عامة :

أولاً : العربية الفصحى أو لغة القرآن الكريم .

ثانياً : العربية الحديثة وهي تشمل ما تقرأه في الصحف اليومية والمجلات والإذاعة . وفي نطاق هذا المستوى لابد من تأكيد الكتابة الرسمية ترغيم أن هناك الآن كتابة لبعض العامية : الإفاني مثلاً ، والإمثال العامية ، والقصص الفرافيرية .

ثالثاً : العربية الخامسة بالحوار أو التحدث اليومي وهي تمثل اللهجة المذهبة التي تحدث عنها . وهنا يجب ملاحظة أن العامة العرب فيسر المتعلمين يستخدمون الكثير من النماذج باللغة الفصحى ( عند ذكر بعض آيات القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو اصطلاحات معينة مثل « حالاً » و « بسرعة » . و « أهلاً وسهلاً » . الخ ) .

وليسنا في حاجة إلى تأكيد العبرة وهي أن هذا التقسيم لا يعني مطلقاً أن كل قسم منفصل تماماً عن الآخر . لهذا ليس من شأن اللغات العبة . ومن هنا يؤكد لنا أصحاب هذا الرأي – وهو رأيني أنا أيضاً – أن « اللهجة المذهبة » تستند لافتقارها تسهيل الانتقال من لغة الحديث إلى اللغة الفصحى مثلاً حرف « (الناف) » يتردد كثيراً في لغة الحديث خصوصاً عند ذكر كلمة « القرآن » و « (الظاهرة) » بهذه اللهجة المذهبة تحتوي

لتأخذ تعلم الانجليزية كمثل لنا . فالانجليزية الأمريكية مثلاً التي يتعلّمها الأجنبي هي لغة الشمال وليس الجنوب . وفي إنجلترا أيضاً يتعلم الأجنبي اللغة المعروفة Received English . وتدريجياً يكون لاختيار هاتين اللتين مدة أسباب . أولاً : أنها لغة مذهبة للحديث . وثانياً أن لها أهمية خاصة في التعليم والاستعمال العام . بمعنى آخر أن اللغة التي تدرس هي التي يمكن الطالب من تحقيق الاتصال والتفاعل الكامل مع أصحاب هذه اللغة بحيث يفهمهم ويُفهمونه .

لندن الآن إلى العربية التي هي لغة ما يقرب من تسعين مليون عربي كما أنها لغة القرآن الكريم التي يعرفها ما يقرب من سبعين مليون مسلم في العالم . ونحن نعلم أيضاً أنه منذ ظهور القومية العربية نتج ظهر في الأفق العربي يقطنه ورقة قوية في تحقيق الوحدة الثقافية واللغوية . شاكراً للتبادل الثنائي ووسائل الاعلام المختلفة في البلدان العربية . أما الفروق اللهجوية فلم تتعارض قط طريق الوحدة الثقافية . وظاهر خلال هذه العملية نوع جديد من لغة الحوار وهو ما يمكن أن نسميه باللغة المذهبة أو لغة المتكلمين خصوصاً تلك اللغة التي تتميز بها مراكز الثقافة الكبرى التي يفهمها الجميع حتى الذين لا يتكلمونها . وهذا هو بالضبط السبب الأهم في أن الطالب الأجنبي الذي يرغب في تعلم اللغة العربية يجب أن يتجه إلى أحد هذه المراكز الكبار حيث يمكنه أن يجد وسيلة للتفاهم تساعد له ليس فقط على فهم جزء من العالم العربي بل جزء مهم من الحضارة العربية .

ولا شك أن هناك مراكز هامة للثقافة العربية مثل القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت ولناس . وكلنا نعلم أن القاهرة بالذات تتربع بغير من الامتيازات كما أن لهجتها « المذهبة » أو لغة المتعلمين فيها تعتبر مهمة جداً بالنسبة للطالب الأمريكي الذي يبحث من وسيلة تمكنه من التفاهم مع أكبر عدد من العرب في بلادهم المختلفة . ولكن ليس معنى هذا أن اللهجة المذهبة القاهرة هي الوسيلة الوحيدة لهذا التفاهم بل اللهجة المذهبة الرباطية والبيروتية والبغدادية يمكنها أن تؤدي بنفس العملية وتحقق نفس الأهداف .

واللهجة التي يفترضها أصحاب هذه الطريقة الحديثة هي التي يتحدث بها الشباب العربي المتعلّم الذي حصل على قسط وافر من التعليم الجامعي . وهي أيضاً التي يذاع بواسطتها بعض البرامج الإذاعية

وأعمالاً مشهورة مثل ( قتل ) ، ( غرب ) ، أما في اللاتينية مثلاً نتعلمنا « حب » وما شابهها . وليس المشكلة في الواقع مشكلة معانٍ ولكن المشكلة هي أنه لم يكن هناك اهتمام بذكرة « التدرج » في تقديم « الأصوات » وتركيب الجملة أو مميزات تركيبية خاصة Morphological distinction وانتقلت هذه الطريقة إلى الغرب في تعلم العربية وأصبح الاهتمام منصبًا على المردات والقواعد الصماء .

وفي السنين الأخيرة لاحظنا أن بعض أساتذة العربية في الجامعات الأمريكية التي تقوم بتدريس العربية تدروا كتاباً خاصاً لتعليم العربية للمبتدئين ووصلوا في تذكيرهم إلى أعمال كل المستويات اللغوية والتركيز على ما أطلقوا عليه اسم « العربية الحديثة » Modern Standard Arabic قد فشلوا في تقديم العربية كلغة حية لها مستوياتها الثمانية والنشاطية المختلفة . فالرمز المكتوب هو التعبير الوحيد للغربية وينتاج من هذا أنه من المستحب للطالب أن يفهم الكثير مما يسمى « العربية الحديثة » عندما يستمع إلى حديث أو افنيه مربية بالاذاعة أو خطبة عامة أو أدب شعبي . أضف إلى ذلك أنه إذا استخدم المصحح الحديثة في حواره فإنه يكون يتكلم كتاب لا يعبر عن واتع لغة الحوار .

وعلى ضوء هذه الانتقادات تقدم المصحح في المرحلة الأولى من تعليم العربية في نطاق الأساليب الآتية :

أولاً : إن المحتويات التركيبية يجب أن تقدم بالتدريج على أساس البساطة في التركيب ، التكرار ، والقيمة العلمية : وبناء على ذلك تمن الناحية الصوتية تقدم الأصوات السهلة والتي تمايل لغة الطالب الأجنبي أولاً ( محروم الكتاب والمعلم والآباء والآباء والآباء والآباء تؤجل إلى لترة مقبلة ) ومن الناحية الامرانية والصرمية بالجمل الاسمية تقدم قبل الجمل المعلمية : مثل أنا من ليبي ، الرباط مدينة جميلة .

ومن الناحية التركيبية تقدم بعض الصياغات الهامة فقط مثل : أنت ، أنت ، أنت .

ثانياً : يجب على النماذج التركيبية أن تمثل الثقافة والحضارة العربية وأن تبرز الدور منها . كالحج وشهر رمضان المبارك والعادلة العربية وخلافه بدلاً من « أين الليل يا خليل » أو « متى مجلس الوزراء جلسة خطيرة » .

على كلمات كثيرة من المصحح وتتبع أيضًا من قرب تواعد المصحح .

كما أن اللغة العربية المعاصرة أو الحديثة يمكن بسهولة تمييزها عن المصحح من طريق الكلمات الجديدة التي تحتويها . فنحن نقول الآن « تلفزيون » أو « تلفزة » و « نيلاً » .

وبالنسبة للعامية يمكن تمييزها عن المصحح بما يحدث من تغيير في بعض الأصوات مثلاً تتول « كتب » بدلاً من « كتب » و « ولد » بدلاً من « ولد - ولد - ولد » .

وأيضاً الولد أو الولد بدلاً من الولد - الولد - الولد ، ينبع بدلاً من يفتح ( باللغة المذهبة القاهرة مثلاً ) .

وأيضاً تغيير صوتي في بعض الحروف مثل ( ت ) بدلاً من ( ث ) متنقل مرة « ثانية » ، ومشرين ثانية ، ( داب ) بدلاً من ( ذاب ) و ( آزا ) بدلاً من ( اذا ) .

ثم أيضًا نلاحظ التباين : / نرد / و / نرض / والأساس الهام الذي يعني عليه تعلم أيه لغة أجنبية هو التقدم من لغة الحديث إلى الكتابة أو من الصوت إلى الرمز . ولهذا السبب تستخدم الرموز الصوتية فقط في المرحلة الأولى حتى يمكن للطالب أن يتلقن كل الأصوات ويعزز بينها بدقة . ولكي يتم تحقيق ذلك تقدم نماذج « زوجية » خاصة Minimal Pairs مثل : ( دم ) ، ( ضم ) لتوضيح التباين .

( كلب ) / ( قلب ) لتوضيح أهمية نطق الحرف مبنية في معنى الكلمة .

( س ) / ( ساد ) لتوضيح أهمية الأصوات الطويلة .

وفي هذه النماذج يكون التركيز على إبراز اختلاف واحد فقط لأن الاستماع يأتي قبل النطق وان القدرة على تمييز الاختلاف في الأصوات يأتي قبل إعادة انتاجها . وبمجرد أن يتمكن الطالب الأجنبي من ترديد النماذج الصوتية الأساسية يمكنه بسهولة أن ينتقل إلى الكتابة ومنها إلى المصحح .

**كيف تقدم المصحح بعد ذلك ؟**

لعلنا نذكر كثيرين منا عندما بدأوا يتعلمون العربية المصحح في أول سنة ابتدائية رددوا كلمات

تمارين من نوع جديد متلقٍ عليه ونظريات اصول التعلم  
وعلم اللغويات . تمارين الاستبدال Substitution  
مثلاً والتحويل Transformation وغيرها من  
التمارين الفعالة التي «ثبتت» ما يتعلمه الطالب .  
مثلاً : هو من القاهرة

هي  
أنا  
انت  
بيروت

هذا مسجد

هذه مدينة

هذا مسجد جميل

هذه مدينة جميلة

اما المردات فيجب الا يبعثر في الدروس بلا  
نظام او احكام . فالكلمات التي تتركب منها النماذج  
التركيبية يجب ان يكون اختيارها في غاية الدقة  
والتحديد مع تكرارها في الدروس المتتالية حتى يتمكن  
الطالب من التركيز على النماذج الاساسية التركيبية  
بدلاً من مجرد ضغط كلمات لا معنى لها .

هذا ملخص مختصر لاحديث طرق تدريس اللغات  
الاجنبية ومن ضمنها العربية بمستوياتها الثانوية  
المختلفة .

ثالثاً : في تطبيق مبدأ التدرج وربط النماذج بالحفارة  
يتحقق فرضان مهمان : الاول هو ان الطالب في  
هذه المرحلة الاولى العرجبة يبدأ بالشمعور  
بالنجاح بدون الانجاء الى « ضغط من الذاكرة »  
ولأننا ان رغبته في المزيد من التعليم تزداد ومعها  
ترداد شهيته لمعرفة القاعدة الجديدة التي تمثلها  
اللغة . او بمعنى آخر ان النماذج اللغوية يصعب  
لها معنى في ذهن المتعلم مما يجعل عملية التعلم  
متعبة وفعالة . وكلنا نعلم ان اول اتصال في  
تعلم لغة اجنبية له أهمية قصوى في مواصلة  
تعلم تلك اللغة .

نعم هناك في بعض الاحيان مرق واضح بين كلمة  
عامة و مقابلها بالمحسن — مثل ( بالزاف ) و ( كبير )  
ولكن هنا تبدو ايدامية استاذ اللغة في اختيار النماذج  
المشركة بين اللهجات المذهبة والمحسن — كلامة التي  
سبق الاشارة اليها . هذا هو القاسم المشترك الذي  
عليه يبني المعلم المرحلة الاولى من تعليم اللغة العربية  
للاجانب .

اما من حيث القواعد فكما ذكرت ان النماذج  
التي تقدم يشق منها الطالب القاعدة بدلاً من تتدبر  
القاعدة في قابل اجوف لحفظها فقط .

وهنا تطبع التمارين الخاصة بكل درس دورها  
الهام في عملية التعلم بدلاً من سؤال الطالب امرئ ما  
يائى : او استخرج اسم المعمول من كل مائل — تقدم

216.

# أبحاث مختلقة

• العلوم الطبيعية في القرآن

للشيخ طه الوسي

• الامداد العلمي في الوطن العربي

المؤتمر الثقافي العربي الثامن

• التائيث في العربية

للأستاذ عبد الحق فاضل

• علم الأصوات الحيوانية عند العرب

للأستاذ عبد الهادي الفضيلي

• ملاحظات حول النند الابسي

للدكتور محمد رجب البيومي

• الحضارة الإسلامية بين الماضي .. والمستقبل

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايع

• نقد الكتاب

للدكتور ممدوح حقي

• الموسقى لغة السروح

للأستاذ إبراهيم الدرويش المصري

218

# العلوم الطبيعية في القرآن

## الشيخ طه الوَيْلِي «بيروت»

الاسترال ، من شأنه ان يقودنا الى الخروج عن جادة الموضوع الرئيسي الذي نريد ان نأخذ به نفسنا الان ، وهو الموضوع الذي اردنا قصره على ما جاء في الكتاب الذي نصد به مؤلفه الاستاذ يوسف مروه البتات العلاقة العتيمة الوثيقة بين التفسير العلمي الحديث للظواهر الكونية العادلة البحث ، وبين المعانى الالهية الخالدة التي التعلق بها ، بين حين وحين بعض آيات القرآن الكريم في اثناء دعوتها الناس من كافة الاجناس الى اليمان بوجود الله الخالق الدبیان .

على انه ، لا بد لنا من التقديم بين يدي موضوعنا ، ان كتاب الاستاذ مروه الذي تدور فصوله وابوابه ، حول ربة المؤلف بربط افراهم القرآن الكريم مع ما توصل اليه العلماء المعاصرون من اراء وافكار ونظريات في الجغرافية والفيزياء والفلك وما الى ذلك من العلوم الإنسانية الوضعية والمادية ، نقول ، انه لا بد لنا من التقديم بأن هذا الكتاب ليس جديداً في بابه او مادته ، فلقد سبق ان نحا هذا النحو الجدل ، في دراسة القرآن الكريم وتفسيره ، غير الاستاذ مروه من الكتاب المسلمين الذين ارادوا ان يتقطعوا فقار التحدى ويرموا به في وجه المستكشفات والاختراعات العلمية ، من طريق اقامة الدليل العقلي بان القرآن الكريم كان اسبق من كل ما عده من كتب البشر الى التحدث عن هذه المستكشفات والاختراعات في العديد من آياته وسورة التي نزل بها الروح الامين بالوحى السماوي ، على قلب الرسول الاعظم سيدنا وسيد الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وسلم .

بين ايدي الناس الان كتاب جديد عنوانه «العلوم الطبيعية في القرآن» من تأليف العالم الفيزيائي الكبير الاستاذ يوسف مروه من افاضل جيال شاملة في جنوبى الجمهورية اللبنانية ، وقد نفضل المؤلف الكريم فاما ذى هذا الكتاب . وانه ليهمني التاكيد بانى لدى مطالعته ، وجدتني امام محاولة جريئة لدراسة القرآن الكريم باسلوب الرجل المسلم المؤمن الذي اراد ان يتصدى للحطة التي اثار اواصرها وخاض غمارها بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت تحت شعار التناقض المزعوم بين المعتقدات العلمية ، الحديثة ، وبين مسلمات المعتقدة الدينية ، القديمة . وليس من شك بان هذه الحملة التي اضطربت بضميجها اروقة الجامعة المذكورة ورددت صداتها بالفقد والتعليق افلام الكتاب في عدد من الصحف ببيروت وخارجها ، ليس من شك في ان هذه الحملة ليست وليدة العصر الذي نعيش فيه اليوم ، بل انها مألوفة من قبل ، وهي ما زالت تتعدد وتتجدد من قديم الزمان حتى اليوم لاسباب تفاوت من حيث منطلقاتها وغاياتها ما بين القلق الفكري المجرد وبين التزوات الشخصية المشبوهة .

وليس لنا الان ، ان نرسل القلم على غاربه في جولة استعراضي تفصيلي للمراحل التاريخية التي مر بها مبدأ اليمان بالله الذي ارسى قواصده الاديان السماوية مع تلك الطائفة من الكتاب الدين تجلبوا برداه الانكار الفلسفية او قطروا اسماعهم بقاقة من الالقاب العلمية الجدابة ، لانا نرى ان مثل هذا

« ان نظام التعليم الاسلامي ، لا بد من ارتقائه ، فعلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن بل هي علوم لفظه ، وما تكتبها اليوم ، علوم ممناه ، وانطباقها على العلوم التي اظهرها الله في الارض وبعد هذا الرمان سيظهر فيه آثار قوله تعالى « تم ان علينا بيانه » فان البيان المذكور ، في سورة القيمة ، نسر بمعنى انه نبيه باسنانك فتقرأ كما قرأه جبريل ، وبمعنى انه اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبيه لك ، وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والمجائب ، ولا جرم ان ما ينعدد اليوم من العلوم مما ذكر في هذا التفسير ، وما لم يذكر ، من البيان الذي أكد الله انه يظهره لامة الاسلام» وهكذا ، يمضي الشيخ طنطاوي ، من خلال حماسته بما اقتضى به ، في تحميل كل آية من كل سورة في القرآن الكريم من التأويل والتحليل والمليل ، ما لم ينزل به من عنده الله برهان ولا شاهد ولا دليل .

وإذا كان المتقدمون من العلماء قد انفقوا حياتهم في استنباط المعانى التي تؤدى إليها آيات القرآن الكريم لتحديد المقيدة الإسلامية في توحيد الله مزوجاً وبيان أغراض الشريعة في ضبط ملاحة الناس بخالقهم من جهة وبأنفسهم من جهة ثانية ، فان الشيخ طنطاوى جوهري قد انفق حياته في تتبع هذه الآيات وتخریج معانیها وفق ما توھمه فيها من اشارات الى الدراسات التي يقوم بها رواد العلوم النظرية والعادية وراء مکاتبهم وتحت اضواء مختبراتهم ومعاملهم ثم هو لا يكتفى بعرض آرائه وتقريرها بصورة متعددة جازمة ، بل انه يتوجه باللائمة على اولئك العلماء السابقين بقوله :

« لماذا الف علماء الاسلام مشرفات الالوف من الكتب الاسلامية في علم الفقه .. وعلم الفقه ليس له في القرآن الا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية ؟ ولماذا كثر التاليف في علم الفقه ، وقل جداً في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة ؟ بل هي تبلغ سبعين مائة وخمسين آية صريحة ، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة ، نهل يجوز في عقل او شرع ان يبرع المسلمين في علم آياته القليلة ، ويجعلوا عالماً ، آياته وهي كبيرة جداً ، ان آبابنا بربما فى الفقه ، للتنبرع نحن الان فى علم الكائنات ، لنقم به لترقي الامة» .

وإذا نحن أقبلنا على قراءة كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » نجد أنه يحشد في هذا الكتاب المزيد من نومه كثيراً من صور النباتات والحيوانات ومناظر

في اواسط العقد الثالث من النصف الاول للقرن العشرين الذي نعن فيه ، كثر الحديث من أحد المؤلفين المصريين الذي حاول تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً يتجاوب فيه مع روح العصر الذي تطورت فيه الانكار الانسانية وراح يطلق قلمه وراء ما يسبح عبر الغضاء الرحيب من الكواكب والافجر والشموس ، او يغوص بهدا القلم ، الى داخل أحشاء الارض باحثاً في هذه الاحشاء عما ينقلب فيها من عوالم الجماد والحيوان والنبات ليبرهن للناس ان الغلاف الخارجي للكون والاعماق الداخلية فيه ، احاط به كتاب الله في كلامه الازاي بالتفصيل والبيان والايضاح ، وهذا المؤلف هو الشيخ طنطاوى جوهري ، الذي كان استاذًا في دار العلوم المصرية والمتوفى سنة 1358هـ ( 1940م ) فقد صنف هذا الشيخ كتاباً تحت عنوان : « الجواهر في تفسير القرآن الكريم » وطوى مفحاته التي تجاوزت المئات معدداً ، على تفسير القرآن الكريم « تفسيراً ينطوي على كل ما وصل اليه البشر من علوم » على حد قوله .

فقد اخذت فكرة تفسير الظواهر الكونية من خلال تفسير القرآن الكريم ، بلب الشيخ طنطاوى جوهري وملكت عليه احساسه ومشاعره حتى اعتقد بأن العناية الالهية اختارتة من بين سائر الناس للقيام بكتاب هذا العمل فاطلق قلمه عبر كتابه بناءً وجهه الى المسلمين قاطبة قال فيه :

« يا امة الاسلام ، آيات معدودات في الفراغ اجتنبت فرها من علم الرياضيات ، فما بالكم ايها الناس بسبعين آية ، فيها مجالب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم ، وهذا زمان ظهور الاسلام .. هذا زمان رقيه ، باليت شعرى ، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ، ما فعله آبااؤنا في آيات الميراث ولكننى ، اقول ، الحمد لله ، الحمد لله ، انك تقرأ في هذا التفسير (ويقصد كتابه) خلاصات من العلوم ودراستها افضل من دراسة علم الفراغ ، لانه فرض كفاية ، أما هذه ، فإنها للزاد ياد في معرفة الله وهي فرض على كل قادر .. أن هذه العلوم التي ادخلناها في تفسير القرآن ، هي التي أفلتها الجهلاء المزرون من صغار القهقهاء في الاسلام .. وهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق .. والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

ثم ان هذا الشيخ يتتابع نداءه مسترسلًا في حماسته واندفاعه ويقول :

علم الفضاء	11 آية
علم الحيوان	12 آية
علم الوراثة	21 آية
علم الاحياء	32 آية
الجغرافية العامة	73 آية
علم السلالات البشرية	10 آيات
علم طبقات الأرض	20 آية
علم الكون وتاريخ الاحداث الكونية	36 آية
وصف العلم والملاء والحدث على طلب العلم	
	64 آية

وجريدة على العادة التي يتبعها كثير من الكتاب المسلمين بالاستشهاد على صدق الدعوة الإسلامية وصحة ما جاء في القرآن الكريم من قوانين تشريعية ومفاهيم اجتماعية و الأخلاقية ، فانا نجد الاستاذ يوسف مروه يستشهد كتابه تحت عنوانه : « آراء وافكار حول القرآن » بطاقة غير قليلة من الآقوال التي وردت في كتب غير المسلمين من علماء أوروبا وفلسفتها ونختار من هذه الآقوال قول رينورد :

« يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انشئت اوريا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن » .

« وقول رينورد » :

« يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مقتبسة من القرآن . تجمع الملماء مدینون له ولعل الاستاذ يوسف والذين سبقوه او يحاكونه في الاستنجاج بأقوال الغربيين لفهم الایمان بالاسلام والقرآن ، لعله وهلاك انما يريدون العمل بالقول المأثور . والفضل ما شهدت به الاعداء . ولستنا ندري اذا كانت شهادة الامداء تصلح دالما لا تكون دليلا يمكننا الاحتجاج به فيما ندللي من آراء واجتهادات وتفسيرات وتأويلات بقصد القرآن الكريم بالذات لا سيما اذا كانت هذه الشهادة تزيد ان تصنف كلام الله في مداد التقارير الطميمة التي كثيرا ما ينافق بعضها بعضها بين حين وآخر بسبب ما يلابس البحث العلمية مادة من تطورات مع تقدم الانكارات البشرية التي تخضع لظروف العصارة المليئة بالمخاجات غير المنتظرة .

الطبيعة وتجارب العلوم لكن يؤكد لقارئه ان ما يقوله في تفسيره من طرائف وهراء هو الحقيقة بعينها بناء على ما يقتضيه من تلك الصور المشاهدة العجيبة .

ومنذما تعلوه الصور المشاهدة العجيبة فإنه يستند بما جاء من الأباطئ في فلسفته او بما ردده أخوان الصفا في رسائلهم لما لم يجد منه أباطئ او أخوان الصفا ما يرتكز عليه في ارائه فإنه لا يتورع من الاعتماد على الأرقام المعددية التي ينظمها حساب الجمل المعروف .

ومن الغريب حقا ، ان نجد الاستاذ يوسف مروه يعالج موضوعه في كتابه « العلوم الطبيعية في القرآن » بنفس الاسلوب الذي اعتمدته الشيخ طنطاوي جوهري في كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » حتى ينکاد يخيل لنا ان كلا الرجلين نهلا من معين واحد وهو يدرس القرآن الكريم ويفسره آياته . فالاستاذ يوسف مروه يؤكد في كتابه المذكور ان « ميزة القرآن الكبيرة انه اورد صورة بسيطة وواحة وسهلة للتكون والطبيعة تنسجم تماما مع صورة الطبيعة البسيطة والتي كشفت عنها الدين ياء الحديثة » .

ومثلما فعل الشيخ طنطاوي جوهري حين احسن في القرآن الكريم حوالي سبعمائة وخمسين آية من الآيات التي تحتوي على مبادئ العلوم الكونية ثان الاستاذ يوسف مروه قام بدوره باحصاء هذا النوع من الآيات فقال :

« وإذا هبنا بطريقة كمية عن هذه المواضيع العلمية القرآنية ومقدار ورودها ووجودها في القرآن لتبين لنا أكثر من عشر الآيات القرآنية تتعلق بمواضيع العلوم الطبيعية وعلى وجه التدقيق 670 آية تبحث في ثني المواضيع العلمية موزعة كما يلي :

الرياضيات	61 آية
الفيزياء	64 آية
الدرة	5 آيات
الكيمياء	9 آيات
النبية	62 آية
الفلك	100 آية
المناخيات	20 آية
المالييات	14 آية
الرياضيات	57 آية

و عندما وصل الاستاذ مروه الى آخر هذا الفصل اعلن قائلا :

« وانني في محاولتي هذه سأنتصر على اهم واخطر موضع العلم الحديث وهي الثورة والفلسفة والنسبية في الباتي لنفي التناقض بين العلم والدين ».

ولم ينس الاستاذ مروه ، وهو في ذرة حماسة لآيات الانسجام التام بين العلوم الطبيعية وبين معانى الآيات القرءانية ، لم ينس ان يشير الى آخرين من العمامه المسلمين الذين عالجوها بدقة وتفصيل ملدي انطباق وتوافق هذه الآيات او بعضها مع مواضيع العلم الحديث وذكر منهم الاساتذة احمد امين واحمد محمود سليمان والشيخ طنطاوي جوهري (الذي تناولناه في حديثنا هذا من قبل ) وكذلك الدكتور احمد زكي في كتابه « مع الله في السماء »

واذا كان الاستاذ مروه قد اختار لمواجهة التحديات المصرية الحديثة للإسلام بالكشف من المعطيات العلمية التي نصلت بها آيات القرءان الكريم فان الاسلوب الذي التزمه في كتابه للتعبير عن هذه المواجهة قد تجاوز من غير شك الأفراط الذي ارادها الله في هذه الآيات حتى انتهى به الامر اخيرا الى انتزاع القرآن الكريم من حدود مقاصده التشريعية والتوجيهية وحشره حشرا غير طبيعي الى جانب الكتب الوصيمية التي طوى اصحابها صفحاتها على مبادئ نظرية تخضع في طبيعتها لقوانين العقل البشري هذا العقل الذي هو مستمد دالما وابدا ، لأن يرفض اليوم ما قبله بالامس ، وان ينفي في الغد ما ابته اليوم وهكذا تبعا لما يعرض له من ظواهر الاشياء التي يعالجها وهو في طريقه الىحقيقة العلمية المطلقة التي يبشر بها الانسان في مسيرته الحضارية غير المحدودة في هذه الحياة .

وان من يمعن قراءة المقدمة التي استهل بها الاستاذ يوسف مروه كتابه لا بد انه يلاحظ بأن الكاتب الفاضل ، كان شديد الحرص على تأكيد دور القرآن الكريم في حث المسلمين على اعتماد العقل والتفكير واصحى 64 آية من آياته تحت عنوان « وصف العلم والعلماء والبحث على طلب العلم » ولم يكتف بذلك بل انه اختار من آثار الرحوم الشیخ مصطفی الفلاینی ما كتبه من نحو اکثر من تلك قرن حول الدين والعلم وجعله في مطلع كتابه وقال : « امجبت بدقة وعمق بعثه وربات من الواجب ان اقلل للقارئ بعضاً ما كتبه

على اتنا نرى بأنه لا يجوز لنا حمل آراء الاستاذ مروه وامثاله من الكتاب والمعلماء المسلمين على محمل التنطع في جر آيات القرءان الكريم الى ساحة الابحاث العلمية البحث بداع من الفضول والرغبة في التجديد بما لا طائل منه لصالح القرءان واهدافه الدينية والدنيوية . بل نحن نرى ان ما يذهب اليه الاستاذ مروه واحزابه في هذا الصدد ، ائما هو في الواقع ، رد فعل غافلي لواجهة التحديات الدينية التي تفرضها الافكار المبهورة بما بلغته الحضارة الإنسانية من تقدم وتطور وازدهار في هذا العصر . كما انه يعتبر بمثابة جواب غير مباشر على الشكوك التي تراود بعض الافهام السقية التي القت على كاهل الدين الإسلامي وزر ما يعانيه المسلمون اليوم من مظاهر التقصير من ادراك شاء الحضارة الغربية في مستوىها العلمي الرفيع .

واما هو الاستاذ يوسف مروه يعلن في اواخر الفصل الثامن من كتابه الذي نحن بصدده :

« ان القافية الرئيسية من هذه الفصول المتواضعة هي :

اولا : ان ثبت للمترمتنين والمتخصصين ضد طلب العلوم الحديثة ، أن القرءان قد دعا وشدد في طلب جميع العلوم ( الدينية والطبيعية ) بلا استثناء ، ولذلك فاننا ندعوا رجال الدين للاطلاع بأنفسهم على معطيات العلم الحديث لأن عدم المامهم بهذه المعطيات قد شجع على انتشار الكفر والالحاد بين افراد شباب المسلمين المثقف ، ذلك ان بعض رجال الدين الذين يجهلون كل شيء عن العلم الحديث ، قد فشلوا فشلا ذريعا في توجيه الشباب المسلم الى التمسك بتعاليم الدين الحنيف .

ثانيا : ان ثبت للمثقفين المسلمين وغير المسلمين الذين يحاربون الدين باسم العلم ، ان هذا الدين فائم على العلم وان آيات القرءان وتعاليمه تنسجم انسجاما كلبا مع معطيات العلم الحديث في ادق واخطر مباحثه وتجاربه واكتشافاته من ذرة وفضاء ونسبة وغير ذلك من الواضحات العلمية الخطيرة ولنؤكد ان العلم الذي دعا القرءان الى طلبه ، والذي اقبل عليه المسلمون ، لم يكن العلوم الدينية والشرعية فحسب ، بل دعا الى طلب العلوم الطبيعية ايضا وان تراث الاسلام في حقل العلوم الطبيعية لهو اكبر دليل على ما نقول :

هذا الفقيه العالم كتقديم للموضوع الخطير الذي  
أحالجه » .

القرآن الكريم في الحاضر كما ان السلف الصالح من  
أمثالهم وزملائهم ، لم يبخروا بذلك في الماضي في القيام  
بهذا الواجب . على أن الفرق بين الاستاذ مروه وبين  
مؤلف وأولئك انهم نهموا القرآن الكريم على حقيقته  
وعلى طبيعته في التشريع النظري والتجربة الأخلاقية  
بينما أراد استاذنا الفاضل أن نفهم هذا الدستور  
اللهي عبر الانفعالات النفسية التي اثارتها موجة  
التحديات المعاصرة الواقعة علينا من آفاق العالم  
الغربي .

وهنا ، اجدني اعود مرة أخرى الى تأييد وجهة  
نظر الشيخ موسى الصدر الذي يقول :

« إن القرآن الكريم كتاب دين وهدية ، وليس من  
 مهمته الإبعاث العلمية وذكر القوانين التجريبية ،  
 او وضع أسس للإنتاج الشفافي البشري ، فالقرآن  
 الكريم يحاول أن يصنع الإنسان الكامل الذي هو مبدأ  
 المعلوم وغايتها ، ويتحقق هذه المحاولة باحكامه الفردية  
 والاجتماعية ولعامليه المقدسة .

ويقول الشيخ الصدر كذلك :

« وأعود لاؤكد ان تناول القرآن لهذه المباحث  
(أى العلوم الكونية) هو استطراد ذكر وامثال ، وليس  
من مهمة القرآن وضع الاسس ونقل القوانين العلمية ،  
 شأن الكتب العلمية .

ونحسب انه لا يمكننا ان نزيد على كلام الشيخ  
الصدر ما يزيده بياناً وأياضها فوق ما هو عليه من  
البيان والوضوح ، اذ لا يعقل ان يأتي القرآن الكريم  
ولا اي كتاب سماوي آخر الى الناس بالقواعد المادية  
والطبيعية التي يقوم عليها الكون لأن مهمة الدين ، اى  
دين ، هي ان يأخذ البشر بالمبادئ التوجيهية التي  
ترسم امامهم طريق اليمان بالله عن وجہ العمل بما  
فيه انضباطهم وصلاحهم في هذه الحياة الدنيا . وليس  
من مهمة الدين ، في تليل او كثیر ، ان يتناول المناسر  
التي يتألف منها الكون في مادته المجردة الا في حدود  
المقدار الذي يضرب به المثل للعظة والاعتبار  
والتامل .

ومثل الكتب السماوية في هذا ، مثل الدساتير  
التي يضعها قادة الامم لضبط الانفراد والمجتمعات في  
نطاق الروابط التي تحكم اواصرهم وتشددهم الى  
المبادئ بعضهم مع بعض دون اى تناقض ولا اصطدام .

وانا لا ندري ، لماذا يصر الاستاذ مروه على  
اقناع قارئه بأن الاسلام يدعو الى التعلم ويطلب الى  
الناس احترام العلماء ، مع العلم بأن احدا منهم لم  
يرهم يوماً بأن هذا الدين يدعو الى الجهل او يطلب الى  
اباهه تقدير الاميين . حتى خصوم النبي محمد صلى  
الله عليه وسلم وأعداء رسالته السماوية ، فإنهم لم  
يصلوا في هباتهم للنبي ورسالته الى حد اهانهما باتهامه  
العلم واهله . ولو ان المؤلف حصر جهوده في اقناع  
قارئه بموضوعه الاساسي ، وهو توافق الآيات الكريمة  
مع ما حققه الانسان المعاصر في حقل العلوم الطبيعية ،  
لو انه حصر جهوده في هذا الموضوع فقط لكان وفر  
على نفسه وعلى قارئه كثيراً من الوقت والجهد .

ثم ان الاستاذ مروه كما يقول الشيخ موسى  
الصدر ، ساير ذلك الذي قال في كلمته ان علماء الدين  
يحمون مسؤولية عدم تفسير النصوص القراءانية  
والسنن المطهرة . على ضوء العلوم الحديثة . وانى من  
رأى الشيخ المذكور بأن الاطلاع على ظروف علماء الدين  
الإسلامي يكشف انهم بذلك اصحاب امكاناتهم في سبيل  
هذه الفانية الشريفة وقدموا عشرات الكتب بهذا  
الصلة ، حتى ان بعضهم القوا كتاباً في خواص العلم  
التجريبية ذاتها على تاليف كتب تناول عرض النصوص  
والاحكام الدينية بصورة علمية دقيقة في حقل الفلسفة  
والاقتصاد والاجتماع والثقافة والحقوق وغيرها .

ونحن نزيد على ما قاله الشيخ الصدر بهذا  
الصدق بأنه لا يوجد كتاب في طول الارض وعرضها من  
بداية التاريخ حتى اليوم ، خدمه اهله من العلماء مثلما  
خدم علماء المسلمين كتاب الله وان رفوف المكتبات  
تکاد تنوره بصحابتها من آلاف الكتب التي تتناول القرآن  
بالدرس والتحقيق والشرح والتفسير وبيان دوره  
الجبار في توجيه البشر بمختلف اجناسهم والوانهم الى  
الحقائق الازلية التي تضمنتها آياته البينات .

ولعلنا نستطيع ان نلتفت نظر الاستاذ المؤلف الى  
الكتاب الذي الفه سماحة الشیخ نديم الجسر مفتی  
طرابلس ولبنان الشمالي تحت عنوان « قصة الایمان  
بين الفلسفة والعلم والقرآن » لأن هذا الكتاب الذي  
صدر مؤخراً وأعادت طباعته مراراً ، من شأنه على ما  
نعتقد ان يقنع الاستاذ مروه بأن اهل العلم الصحيح  
من شيوخ المسلمين لم يخلوا في اداء واجبهم نحو

ورد فعل في سورة الجمعة حيث يقول تعالى « وتركوك  
قائمًا » فكانت تكتة ما يزال الناس يتبارلونها حتى  
اليوم ...

وبعد ، فلقد أطلنا الكلام في نقد كتاب « العلوم  
الطبيعية في القرآن » حتى كدنا نوهم قارئنا بأن  
الاستاذ يوسف مروه قد خرج من جده في هذا الكتاب  
على غير طائل ، بينما نحن ، علم الله ، ما لهذا قصدنا  
وما كنا لنتنمط هذا المؤلف العالِم حقه من التنويع  
بالروح الدينية العارمة التي تشبع في كل من سطور  
كتابه ، بل وفي كل كلمة من كلماته ، وما كذا كذلك ،  
لنجده له فضلَه في الانكباب على دراسة كتاب الله  
سورة سورة ، آية آية ، كي يخرج من هذه الدراسة  
بها الكتاب الذي تضمن من المعلومات القيمة ما  
يدل على الثقافة العلمية الفزيرة التي يتمتع بها مؤلفه  
لا سيما في حقول الفيزياء وما إليها من نظريات حديثة  
ما يجعله في نظرنا ونظر كل منصف منخرٌ شباب  
العرب والإسلام في هذا العصر ، بل نحن خرجنَا بعد  
دراسة كتابه ، على قناعة وثيقَة بأن هذا الشاب النابغة  
ال المسلمين الذين أضافوا لتراثنا القومي صفةً مشرفةً  
ليس في تاريخ العرب والإسلام وحسب بل في تاريخ  
التفكير الإنساني قاطبة . وأنه جدير بامتنا أن تباهر  
بمكانته العالمية وأن تقافز به منه المفتح أكثر الاسم  
تقديماً وأبعدها شاوا في مضمون الحفارة والتطور  
والازدهار .

وإذا كان لنا ما نخت به هذا الحديث ، فاننا  
نختم بالشُّكر على المسؤولين العرب ، بأن يفيدوا من  
مواهب الاستاذ مروه وكفاياته في علوم الذرة والفيزياء  
والكيمياء . هذه العلوم التي أصبحت اليوم ، ميدانًا  
لتزاحم فيه الأمم الحية لاحراق قصب السبق في خدمة  
أفراحها القومية وتحقيق انتصاراتها العلمية من أجل  
مستقبل أفضل للمجتمع الإنساني والحضارة العالمية .

وان الطريقة التي أخذ بها الاستاذ يوسف مروه  
في تفسير القرآن وتأويل آياته وفق النظريات العلمية  
الحديثة يمكننا ان نقول فيها ما سبق ان قاله في  
امثالها غيرنا من جهابذة العلماء المسلمين أمثال الشيخ  
رشيد رضا الذي نجده ، في مقدمة تفسيره («المنان»)  
ينعي على من تأثروا في تفسيرهم بالنزعة العلمية المادية .  
وان الشيخ رشيد قد نعا على الفخر الرازبي ما أورده  
في تفسيره من العلوم الحادثة في الملة ، واعتبر أن  
هذا العمل من شأنه أن يصرف الإنسان عن القراءان  
وهديه ، كما توجه بمثل هذا اللوم على الدين قدروا  
الفخر الرازبي في طريقته من المفسرين المعاصرين . فلقد  
قال .. وقد زاد الفخر الرازبي صارخا آخر عن القرآن  
هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية  
وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه  
في عهده ، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده  
بعض المعاصرين ( ويقصد الشيخ مطاوي جوهري )  
بابرادر مثل هذا من علوم المعر وفنونه الكثيرة الواسعة  
 فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية ، نصولاً طويلاً  
بمناسبة كلمة مفردة ، كالسماء والأرض من علوم الفلك  
والنبات والحيوان ، تصد القارئ عما أنزل الله  
لأجله القرآن .

وبمناسبة الكلام عن جنوح بعض المفسرين إلى  
الاستطراد في تأويل بعض آيات القرآن الكريم على غير  
مقاصدها الأخلاقية والشرعية . فاننا لا نرى بأساً  
من ابراد قصة ذلك المستشرق الذي اراد ان يباسط  
الامام الشيخ محمد بنده فقال له : انت مبشر  
ال المسلمين ترجمون أن القرآن يحتوي على كل شيء من  
العلوم والاحاديث كما جاء في الآية 38 من سورة الانعام :  
« ما فرطنا في الكتاب من شيء » فعل ورد في القرآن  
ذكر لاسم شركة « كوك » الانكليزية للسفريات .  
لما كان من الاستاذ الإمام الا ان أجابه ، على سبيل  
المجازة ، لذلك فوراً أجل فان اسم هذه الشركة

# الإعداد العلمي في الوطن العربي

اصدر المؤتمر الثقافي العربي الثامن الذي انعقد بالقاهرة بين 20 و 30 ديسمبر ( كانون أول ) 1969  
توصيات في موضوع اعداد العلميين في الوطن العربي جاء فيه :

شانغريلا العلمية والحضارية ، وكان لها اثرها الواضح  
في النهضة العلمية الاوربية .

واعتمادا على طبيعة اللغة العربية و ساعتها  
ومرونتها و تدرايتها على التطور والاستيعاب والتعبير  
من العلم الحديث وتطبيقاته ، وقد تمثل ذلك في  
التجربة الرائدة التي نهضت بعثتها الجامعة السورية  
خلال نصف قرن بالتدريس والتاليف في الكليات العلمية  
المحلية باللغة العربية ، والتي تتطلب من الجامعات  
الربية الأخرى الارساع إلى التعاون والدعم والمساعدة.

وبعد الامتناف بالصعب الحالية التي تفترض  
سبيل استعمال اللغة العربية لغة تدريس ويبحث على  
في الكليات الجامعية والمعاهد ، والتي تستدعي :

1 - اعداد هيئة التدريس .

2 - ترجمة المصطلحات و تعميرها و توحيدتها .

3 - استكمال النص في المراجع والمصادر العلمية .

وهي الصعاب التي امكن التغلب عليها معاً في  
مراحل التعليم العام وفي كليات العلوم وفي الدراسات  
الاجتماعية والنفسية ، التي أصبح التدريس فيها منذ  
زمن باللغة العربية في كثير من البلاد العربية امسراً  
وأتمها وتحقيقاً متزنة ، بعد أن كان التدريس فيه

« التوصية الأولى »  
اللغة العربية لغة العلم في التعليم العالي :

لما كانت اللغة القومية لكل امة هي الوعاء الفكري  
للمواطن ، اذ انها اداة التفكير كما انها وسيلة التعبير .  
وتحتبقنا للأهداف العلمية والتربوية لوضع المادة  
العلمية في متناول ادراك الطالب وفهمه دون موانق  
لنووية خارجية تزيد من صعوبة المادة وتعمل على  
الابطاء في استيعابها .

وايماناً بأن تأصيل العلم والتفكير العلمي لدى  
آية امة يتطلب استعمال لغتها القومية في كل من  
التدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة .

وادراماً على استعمال اللغة القومية في التدريس  
والبحث العلمي يزيد من ارتباط العلماء بشعوبهم ومن  
ارتباط العلم وتطبيقاته بقضايا وطنهم و حاجات أمتهم  
ومتطلباتها ، ويساعد على الاحتفاظ بهم والحد من  
هجرتهم .

وتحتبرا للحقيقة التاريخية المعروفة ان اللغة  
العربية وسعت في مصور ازدهارها جميع جوانب

الوقت نفسه شعباً لاتحاد الماجع ودعامة له في عمله .

6 - تأسيس الجمعيات العلمية لخليفة نروع العلم في كل بلد عربي لتكون عوناً للجامعات والماجع واتحاداتها والاتحاد العلمي العربي في التهوض بالترجمة والترجمة العلمية .

7 - بذل مزيد من العناء باللغات الأجنبية في التعليم الاعدادي والثانوي والجامعي ، والعمل على رفع مستوى الاستناد بها في نشر البحوث العلمية العربية على الصعيد العالمي .

#### «التوصية الثانية»

##### السياسة العامة للأعداد العلمي :

لما كان المؤتمر يدرك أن المعركة التي تخوضها الأمة العربية هي معركة حضارية في المقام الأول وأن الأمة العربية في حاجة إلى تقدم حضاري يستفيد من العلم بضمونها وأسلوبها في تدعيم الجبهة العربية ، ولما كان المؤتمر يرى أن التفاعل بين الحركة العلمية والتطور الصناعي والانتاجي أمر ضروري للنهوض بها جميراً ، فإنه يوصي بما يلي :

1 - وضع الخطط طويلة الأمد لتنمية الجماهير العربية تربية علمية أصلية تقوم على الإيمان بالأسلوب العلمي في التفكير والوحي بدور العلم في تطوير الحياة الإنسانية ، وبأهمية العمل العلمي في حل المشكلات .

2 - أن تقوم إجهزة التعليم والإعلام بالعمل على إرادة المراهقين الذين تحقق الحركة العلمية حتى ينسح لها مجال العمل على رفع مستوى الثقافة العلمية بين الجماهير وأشاعة الفكر العلمي وتأصيل النظرة العلمية للأمور وتربية الاجيال الصاعدة تربية علمية شاملة .

3 - اعتبار هوية الأعداد العلمي عملية متكاملة تبدأ مع الطفولة وتستمر حتى الدراسات العليا وإن هذا التكامل يتضمن الربط بين مراحل الأعداد المختلفة وتحديد مستوياتها في كل مرحلة ، ولذلك فال المؤتمر يوصي بإنشاء هيئات أو مجالس دائمة تكون مسؤولة عن تطوير خطط ومناهج الدراسات العلمية في المراحل المختلفة ورسم

بلغات أجنبية ، وكانت الامتراسات على تعريفها والصحاب أمام ذلك هي الامتراسات والصحاب نفسها التي تثار الآن في مجال استعمال اللغة العربية للتدرس والبحث العلميين .

ومع التأكيد على ضرورة بذل مزيد من العناء باللغات الأجنبية لتكون نافذة تطل على سير العلم في البلاد الأخرى ووسيلة لتابعة التطور العلمي في العالم .

فإن المؤتمر يوصي بما يلي :

1 - المبادرة إلى استعمال اللغة العربية لغة للتدرس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة بالكليات والمعاهد العلمية والتربية في الإسلام العربية ، على أن يصدر في كل بلد عربي تشريع ملزم بذلك ، وأن يكون بهذه بتنفيذ في السنة الأولى (الصف الأول) بتلك الكليات والمعاهد في بداية العام الدراسي التالي مباشرة لصدور التشريع ، وأن ينص على أن يكون التنفيذ في السنوات (الصفوف) التالية متتابعاً عاماً بعد آخر دون فواصل زمنية .

2 - إنشاء مركز لترجمة إمهات الكتب والمراجع الضرورية لترجمة التدريس في الكليات والمعاهد العلمية .

3 - إعادة تأسيس اتحاد الماجع اللغوية العربية الذي سبق أن وافق مجلس جامعة الدول العربية على تأسيسه وعلى نظامه الأساسي ، وتحت مجلس جامعة الدول العربية على أن يرمد له اعتياداً مالياً كائناً يمكنه من القيام برسائله العلمية والتوصية الجليلة في مجال الترجمة والترجمة العلمية . على أن يتطور هذا الاتحاد في المستقبل ليصبح مجمعًا لغويًا عربيًا مركبًا وتصبح الماجع الآخر في البلاد العربية فروماً لـ .

4 - ارتباط المكتب الدائم لتنسيق الترجمة في الوطن العربي بالرّيادة باتحاد الماجع وفقاً لترجمة خاص يمنع الإزدواج في العمل والتركيز في الجهد .

5 - حيث الحكومات العربية التي لا توجد في بلادها ماجع على تأسيس ماجع لغوية ، تكون رسالتها العمل في نطاق العطاء نفسه على قيام نهضة لغوية فكرية بشتى الوسائل و تكون في

بوسائل التدريس اللازمة ومدة باستقرار بالجديد  
ف العلم وفي طرق التدريس وتنظيم الدورات  
التدريسية والتجديدية المناسبة .

٤ - الاهتمام بمزج الاهداء العلمي بالاعداد الانسانى والقومى ، وبووجه خاص اثناء احساس الطالب بالانتماء للوطن واراكه لمسؤولياته تجاهه .

5 - **العناية بتدريس اللغة العربية** باعتبار أن اللغة القومية هي الوسيلة المثلثة للتعمير من الأفكار العلمية وتبادلها بين أجزاء الوطن العربي . كما يؤكد ضرورة العناية بتدريس اللغات الأجنبية لأنها وسيلة هامة من وسائل تحصيل العلم .

6 - **الغاية بالمدارس المهنية** وزيادة مدها وتنوعها  
طبعاً لمطلبات خلط التنمية على أن يرتفع  
مستوى الدراسة العلمية النظرية في هذه المدارس  
إلى ما لا يقل من مستوى في المدارس العامة على  
أن لا يكون ذلك على حساب التوازن المهني  
مع إتاحة الفرصة للمتخرج في هذه المدارس  
بمعاملة دراسته في التعليم التقني العالي إذا كان  
صالحاً لذلك ، على أن يراعي في تبول الطلاب  
في هذه المدارس الميل والكفاءة .

«التجزئة الرابعة»

## **الاعداد العلمي في المرحلة الجامعية :**

يقدر المؤتمر الجهد الذي بذله جميع الدول العربية في التوسيع في التعليم الجامعي العالي ، ويرى أن الوقت قد حان للاهتمام بنوعية الامداد في هذه المرحلة بما يلي باحتياجات الأمة العربية . ولهذا يوصي المؤتمر بما يأتي :

١- ان تحدد كل دولة عربية اهداف التعليم الجامعي بصورة واضحة في شروط احتياجاتها المحلية من علميين على مختلف انواعهم ، آخذة في الاعتبار الحاجات القومية على نطاق الوطن العربي .

2 - ولما كان تحديد التخصصات وأنواعها و مجالاتها  
أمراً يرتبط بخطط التنمية الوطنية والتومية ،  
مان المؤتمر يوصي بأنه اذا لم تتوافر خطط للتنمية  
طويلة الأمد فيفضل ان تكون التخصصات  
مرتبطة تتبع للمتخرجين في الجامعة العمل في  
مجالات متنوعة بحيث يستطيعون سد حاجات

سياسة شاملة للأعداد العلمي ، والقياس  
بالدراسات والابحاث الخاصة بتحديد توجهات  
الاعداد ومستوياتها .

٤ - توثيق العلاقات بين المؤسسات العلمية ومراكز الابداع والخدمات بحيث يتم تبادل الخبرات العلمية فيما بينها والعمل على حل المشكلات التي تواجهها تلك المراكز ، واتاحة الفرصة لتدريب الطلاب العلميين بصورة دورية في مراكز الابداع والخدمات وانتقاء موضوعات البحث من المشكلات التي تطرحها هذه المؤسسات والمراكز .

## **الإعداد العلمي في التعليم العام :**

يتدر المؤتمر الجمود التي تبذلها جميع الدول العربية في مجال تدريس المواد العلمية في التعليم العام ، ويرى وجوب اعطاء مزيد من الاهتمام لتحسين نوعية الأعداد العلمي في جميع مدارس التعليم العام نظراً لأهميته سواء لأعداد المواطن القادر على مواجهة مشكلات مجتمعه والمساهمة في حلها أو لأعداد العلميين المختصين .

ولذلك يومى المؤتمر بما يلى :

١- **الغاية الناء تدريس المعلوم في المرحلة الأولى بالدراسات التطبيقية على الطبيعة** ، أي أن تقرن عملية التعليم بالمشاهدة ما أمكن ذلك وان تتمي المبادرة الفردية واكتساب بعض المهارات العلمية بحيث يمكن تنمية الشخصية العلمية المزودة ببعض المعارف العلمية الأساسية .

3 - تطوير أساليب التدريس ، وهذا يرتهن بأعداد المعلم ، ولذلك ما المؤثر يومي بالاهتمام بأعداد المدرس وتوفير الجو والظروف المناسبة لكي يقوم بدوره على أحسن وجه ، وذلك من طريق تحسين ظروفه المادية والمنوية وتنميته

**البحوث التطويرية والتطبيقية بالاعتماد على انتاج العلمي بدلاً من الاقتصار على اعداد رسائل الماجستير والدكتوراه .**

**2 - لما كان خريج الجامعة يحتاج قبل تيامه بالبحث الى تدريب خاص يكسيه المهارات الأساسية اللازمة للبحث ،ان المؤتمر يوصي بانشاء دراسات خاصة لخريجين الذين يدخلون ميدان البحث العلمي وتقديم معلم فيها للتعرف على ملامحهم لتابعة البحث العلمي .**

**3 - تشجيع الربط بين بحوث الماجستير والدكتوراه وغيرها من البحوث الجامعية وبين احتياجات المجتمع ما أمكن ذلك .**

**4 - يرى المؤتمر ان هناك حاجة الى مزيد من الاهتمام بالدلائل المنهية التطبيقية بحيث تتبع وتأخذ صورة ذات طبيعة تطبيقية يقصد بها اعداد المختصين المنشدين اعداداً علياً وعملياً للعمل في فروع التخصص التي يحتاجها المجتمع .**

**5 - تشجيع الباحثين على متابعة تكوينهم العلمي بالانسجام الى دراسات ودورات تدريبية لرفع مستوى مشاركتهم بشكل مستمر .**

**6 - الاهتمام باعداد وتدريب اخصائيين في التوثيق والنشر العلمي .**

**7 - الاهتمام باعداد وتدريب اخصائيين في اعمال الادارة العلمية والتخطيط العلمي .**

#### **«التوصية السادسة»**

#### **اعداد الفنانين والمعاونين في البحث العلمي :**

لاحظ المؤتمر ان مرافق المؤسسات العلمية والانتاجية لاسيما المراكز الصناعية في الوطن العربي تتعاني نقصاً كبيراً في الفنانين ، مع ان العمل في هذه المرافق يستند الى خدمات الفنانين في مهارات التنبذ بقدر ما يحتاج الى المهنديين والعلميين من ذوي الاختصاصات العالية في مهارات التصميم والبحث . لذلك يوصي المؤتمر بما يلى :

**1 - الاهتمام باعداد ورعاية الفنانين والمعاونين في شؤون البحث العلمي في قطاعاته المختلفة وخاصة المنشآت التالية :**

**مختلف القطاعات والمشروعات التي يتقرر انشاؤها في المستقبل .**

**3 - تجنب الازدواج بين الاعداد الاكاديمي والاعداد التطبيقي ومراعاة الاحتياجات الفعلية للمجتمع**

**5 - زيادة الاهتمام بالعلوم الإنسانية والاجتماعية في الكليات العلمية العملية .**

**6 - لما كان توفير المختبرات والاجهزاء العلمية والمكتبات يحتاج الى ثقفات كبيرة قد لا تتحملها الطاقات المحلية ، يمان المؤتمر يوصي بالتنسيق بين مراكز البحث والجامعات بحيث يستفاد من الامكانات الموجودة وذلك بانشاء معايير ومناسبات مركبة وتوفير خدمات التوثيق العلمي . وفي هذا المجال يوصي المؤتمر بان تبني البلاد العربية مشروع انشاء مؤسسة عربية لتصنيع وصيانة ادوات واجهزة المختبرات والوسائل التعليمية .**

**7 - توفير اعضاء هيئات التدريس اللازمين للقيام باعباء التدريس بحيث تصل نسبة هيئة التدريس الى الطلاب في اقرب وقت ممكن الى النسبة المتبولة عالمياً .**

**8 - ان تتحمل الجامعات والمعاهد العليا مسؤولياتها في متابعة النمو العلمي لخريجين عن طريق البرامج التدريبية ووسائل النشر والاعلام ومراكم خدمة الخريجين .**

#### **«التوصية الخامسة»**

#### **اعداد الباحثين العلميين :**

ان المؤتمر اذ يدرك ان اية نهضة علمية اسلامية تقوم اساساً على اكتاف مجموعة من الباحثين في المجالات المختلفة ، تادررين على تشجيع هركة البحث العلمي وربطها بالحركة الاجتماعية والاقتصادية ، شأنه يوجه النظر الى ضرورة الاهتمام باعداده وتنمية الظروف الملائمة لهم ، وفي هذا المجال يوصي بما يلى :

**1 - لما كانت اساليب البحث العلمي واهدافه في الجامعات قد تختلف عنها في مؤسسات البحث العلمي الأخرى والتي ينبغي ان يرتبط العمل فيها باحتياجات تنمية المجتمع ، يمان المؤتمر يوصي مند تقويم أداء العلميين العاملين في مجالات**

- القيود التي تفرض في بعض البلدان العربية على حرية العلميين في التفكير والعمل ومددم الاستقرار في مجالات العمل العلمي وهيئاته : مما يضر باستمرارية العمل .
- كما يوصي المؤتمر كل دولة عربية بالعمل على الاحتفاظ بالعلميين داخل الوطن العربي وعلى حسن الاعادة من طاقاتهم ، وعلى ترقيب من هاجر منهم لـ العودة ، وذلك بتوفير المناخ العلمي الملائم والشجع من طريق اتخاذ الإجراءات التالية :
- 1 - توفير الدخل المادي الكافي الذي يضمن تكريس كل جهود العلميين لواجباتهم العلمية مع وضع الحوافز المادية والمعنوية لهم .
  - 2 - رفع القيود على تحركات العلميين داخل الوطن العربي للاغراض العلمية وامضاء العلماء العرب الاولوية في شغل الشوادر في الوطن العربي ضمن برنامج المنظمات الدولية .
  - 3 - انشاء مركز عربي لجمع بيانات من احتياجات الوطن العربي من العلميين في حقول التخصص المختلفة وكذلك جمع بيانات من التوقيع العلمية العربية العاملة في الوطن العربي وخارجها ، وذلك من اجل التشقيق بين احتياجات الدول العربية المختلفة بما يضمن توزيعها متكاملاً للعلميين واستخدام اكبر عدد ممكن منهم داخل الوطن العربي .
  - 4 - مبادرة الدول العربية الى وضع خطط مشتركة تحدد فيها مشكلاتها العلمية واحتياجاتها من العلميين وترجمتها الى الامكانيات اللازمة لتنفيذ الخطة العربية المشتركة وحل ما يعترضها من عقبات .
  - 5 - متابعة القيام بدراسات ميدانية تهدف الى التعرف على المشكلات التي واجهها وواجهها العلميون العرب داخل الوطن العربي وسبل حلها .
  - 6 - اعادة النظر في مؤهلات العاملين في مختلف الحقول الانسانية في البلاد العربية وشغل تلك الحقول بذوي المؤهلات العلمية البارزة المفصلة .
- ا - المختصون بصيانة واصلاح الاجهزة العلمية .
- ب - المختصون بأجهزة التفاصيل الدقيقة والتحليلات ومختال التغييرات العلمية
- ج - التقنيون المدربون على الاجهزة الالكترونية وأجهزة الصناعات الكيميائية والتعددية وغيرها .
- د - التقنيون في أعمال التصميم والتجارب نصف الصناعية .
- ه - التقنيون في اعمال الرسم والتصوير العلمي.
- و - التقنيون اللازمون للمعاونة في اعمال المكتبات والتوثيق والنشر العلمي .
- وبسبب ان يكون اعداد التقنيين متناسباً مع متطلبات العمل .
- 2 - تشجيع التقنيين مادياً ومعنوياً وذلك بتحسين اوضاعهم المادية وتشجيع الشعور بأن عمل التقنيين لا يقل أهمية من الاموال العلمية الأخرى.
- 3 - ان يكون المشرعون على اعداد وتدريب التقنيين من مدرسين ومدربين من ذوي الخبرة التقنية المترتبين بمثل هذه الاموال .
- « التوصية السابعة »
- هجرة العلميين ووسائل الاحتفاظ بهم :**
- يوصي المؤتمر بأن تراجع كل دولة عربية الظروف التي تدفع العلميين العرب الى الهجرة مثل :
- ضعف الدعم المادي للعمل العلمي وقلة دخل العلميين التي تصرفهم من تكريس جهودهم في العمل العلمي المنشق .
- عزلة العلميين بعضهم من بعض على الصعيدين المحلي والعربي وعدم اشتراكهم في وضع خطط التنمية في بلادهم .
- التركيب البيروقراطي للكثير من المؤسسات العلمية وطرق التوظيف فيها والتي أدت الى وضع كثير من غير المناسبين في مسؤوليات حساسة في ميدان العمل العلمي ومن ثم سلبية كثير من العلميين العائدين بعد تدريبهم وتأهيلهم في الخارج .

وامداد الباحثين والعلميين على ضوء خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ويوصي المؤتمر بأن تنظم البلاد العربية مؤسسات البحث العلمي فيها على ضوء المسح الذي تجريه ، وهي تؤكد ضرورة وضع خطة علمية تستند إلى التنسيق بين مختلف مراكز البحث بحيث تستفيد إلى أقصى حد من الإمكانيات العلمية المتولدة وتوجهها إلى تناول مواضيع البحث ذات الأهمية بالنسبة لتحسين استغلال الموارد الطبيعية والتربية الاقتصادية والاجتماعية . كما يوصي المؤتمر بأن تتوخى خطة إنشاء وتنمية مراكز البحث تكين هذه المراكز من تحقيق دورها في ميادين البحث الأساسي والتطبيقي والتكنولوجي وفي إعداد العلميين والباحثين الرئيسيين والمساعدين على السواء . وإن يتم توزيع البحوث على المؤسسات العلمية بحيث تأتي متكاملة في خدمة المصلحة الإنسانية العامة وبحيث تتجنب التكرار والإزدواجية مع التأكيد على أهمية دور الجامعات في البحث العلمي ، وبحيث يقوم البحث العلمي بدوره كجسر لنقل التكنولوجيا الحديثة إلى البلاد العربية .

#### «النوصية العاشرة»

#### تنظيم البحث العلمي على نطاق الوطن العربي:

إن التنسيق بين جهود الدول العربية في المجال العلمي ضرورة ملحة لتحقيق اهدافها القومية وعبور فجوة التخلف ، وبخاصة أن المشكلات التي تواجهها هذه الدول في حقول التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتشابه موضوعيا ، مما يحتم عليها أن تتعاون وان تنسق جهودها لحثها بالتقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر ، وبخاصة ان التحديات الراهنة والمقبلة التي تواجهها وستواجه الآية العربية قد وصلت الى مرحلة بالغة الخطورة ، وإن مناصر التقدم العلمي من موارد بشرية وامكانات مادية وطبيعية ليست موزعة بشكل متوازن على رقعة الوطن العربي .

لذلك يؤكد المؤتمر أهمية التعاون العربي في حقل البحث العلمي ، وضرورة التنسيق والتوفيق وتبادل الخبرات والمعرفة ، ويوصي بما يلي :

أولا - أن يبادر العلميون في مختلف الحقول اينما وجدوا في الوطن العربي إلى انشاء جماعيات علمية عربية تضم الاختصاصيين في الحقول العلمية

7 - مبادرة الهيئات العلمية إلى خلق مدارس البحث العلمي المرتبطة باحتياجات المجتمع كوسيلة لربط العلميين بمجتمعهم وللحفاظ على العلميين الذين يعودون إلى هذه الم هيئات من الخارج ولتوسيع الدور الذي يجب أن يلعبه المعلم العلمي في بناء المجتمع العربي .

8 - إنشاء صندوق عربي يتولى تنفيذ برنامج لتبادل العلماء العرب داخل الوطن العربي من جهة وبين المؤسسات العلمية العربية ونظيرتها في الدول المتقدمة من جهة أخرى .

9 - اتخاذ الاجراءات الضرورية للحد ما أمكن من خروج الطلبة العرب للدراسة الجامعية الأولى إلى الجامعات الأجنبية خشية انصرافهم في المجتمعات الأجنبية التي يذهبون إليها .

#### «النوصية الثامنة»

#### مسح الإمكانيات العلمية :

يوصي المؤتمر أن تقوم كل دولة عربية بالعمل على تحقيق مسح شامل وكامل للمؤسسات البحث فيها وذلك من حيث تركيبها وأماكنها وتجهيزاتها وتقديراتها والعاملين فيها (مؤهلاتهم وخبراتهم) وتمويلها والجهات التي تتبعها ومواضع اختصاصاتها ونشاطاتها وذلك تمهيدا للاستفادة من إمكاناتها في خلطة الانماء والبحث العلمي واستكمال نواتصها وتمهيدا لاستحداث وحدات جديدة في أماكن وميادين تعيين على ضوء الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كما يوصي بأن يكون جمع هذه البيانات والاحصاءات مستمرا ، وإن تعملAdministrations الإقليمية العامة للجامعة العربية (الادارة الثقافية - قسم العلوم والتكنولوجيا وغيرها) على جمع هذه البيانات من الدول العربية وتنسيقها ونشرها .

#### «النوصية التاسعة»

#### تنظيم البحث العلمي على النطاق المحلي :

يوصي المؤتمر بأن تتم كل دولة عربية السعي لنشاء هيئة مركبة على أعلى مستوى تتبع بالاستقلال الإداري والمالي وتكون مهمتها وضع السياسة العلمية الوطنية وتوجيه البحث العلمي وتنسيقه وتشجيعه

- ١ - مركز الأقسام العلمية وخصوصاً البحث منها نظراً للتدخل المروع للعلم المتخاربة ولتجنب بعثة الامكانيات .
- ب - التنسيق فيما بين الأقسام التخصصية في الجامعات المختلفة لتوزيع اهتماماتها في مجال البحوث والدراسات العلمية وتوزيعها بحيث تصبح متكاملة ومتقابلة .
- ج - إعداد ونشر دليل سنوي لأعضاء هيئة التدريس والعاملين في الجامعات العربية في مختلف حقوق التدريس .
- د - التنسيق بين الجامعات العربية في مجال المشاركة العربية في المؤتمرات العلمية والدولية وتنظيم الاستفادة منها .
- ه - إعداد دراسة تستهدف وضع معايير سلبية لتكلفة تعليم وتأهيل الطالب في مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي .
- ثالثاً - إنشاء مجلس علمي عربي يضم البلدان العربية وتكون من بين مهامه الأمور التالية :
- ١ - إنشاء وادارة مراكز البحوث الأكademie .
  - ٢ - إنشاء وادارة مراكز الخدمات العلمية الأكademie .
  - ٣ - إنشاء وادارة مراكز أكademie لتدريب الفنانين العلميين .
  - ٤ - إنشاء وادارة مركز للتوثيق العلمي .
  - ٥ - إنشاء مركز يتابع تطور الحركة العلمية لدى العدو واستعمال العلم في جميع مجالات حياته .
  - ٦ - تقديم البحث العلمي من طريق تقديم المنح للباحثين بينما كانوا في الوطن العربي .
  - ٧ - تبسيط العلوم ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية لمختلف شرائح الشعب .
- ويرى المؤتمر أن يستفيد هذا المجلس ما يمكن ما هو متوفّر من مؤسسات علمية تقوم الآن في البلدان العربية وذلك أما بتقديمها أو بالحال الأقسام للخدمات والبحث فيها .
- ويرى المؤتمر كمدخل لتحقيق ذلك أن تبادر الامانة العامة لجامعة الدول العربية ( قسم العلوم

المترابطة والمترادفة في جميع البلدان العربية وعلى سبيل المثال تنشأ الجمعيات الآتية :

- أ - جمعية العلوم الرياضية والميكانيكية .
- ب - جمعية العلوم البيولوجية .
- ج - جمعية العلوم الكيميائية والجيولوجية .
- د - جمعية العلوم الهندسية .
- ه - جمعية العلوم الطبية .
- و - جمعية العلوم الزراعية .
- ز - جمعية العلوم الاجتماعية .
- ح - جمعية العلوم الإدارية .
- ط - جمعية العلوم الاقتصادية .

على أن تتضمن مهام هذه الجمعيات إصدار دوريات علمية لنشر البحوث على مستوى الوطن العربي ومقدمة المؤتمرات العلمية الدورية

ثانياً - ان يقوم اتحاد الجامعات العربية - وهو إطار مناسب للتنسيق العلمي بين الجامعات العربية - بدور أكثر معالجة في هذا المجال . وبحاجة ذلك إلى :

- ١ - مزيد من الدعم المادي من الجامعات والحكومات العربية .
- ٢ - توسيع قاعدة المؤتمر العام لاتجاه الجامعات ليشمل ممثلين لأعضاء هيئة التدريس من غير أعضاء مجالس الجامعات ومن مختلف التخصصات العلمية ، وعلى أن يعقد المؤتمر العام للاتحاد مرة كل عام .
- ٣ - تنسيط عمل لجان الاتحاد الثنوية وأشراف أكبر عدد ممكن من أعضاء هيئة التدريس الرافعين والقادرين على المساعدة فيها .
- ٤ - عقد مؤتمرات دورية تمثل انتظام التخصص في كل جامعة للتنسيق شؤونها العلمية والتعلمية .
- ٥ - عقد حلقات دراسية لبحث المشكلات التي تواجه التعليم الجامعي في الوطن العربي مع الاهتمام بوجه خاص في المراحل الباكرة بالموضوعات الآتية :

والجامعات والمصانع ، وادارة متابعة تعميم تطبيق احدث الاختراعات في الصناعات الرئيسية . على ان تتبع ادارة براءات الاختراع الجهاز العلمي المركزي في الدولة ، وان يتمتع الجهاز بكيان ذاتي . ويتعين ان يتضمن جهاز براءات الاختراع مفلا من الادارة التقليدية التي تخنق تخصص بالإجراءات والتجبيل ، ادارة تكنولوجية واقتصادية ، وادارة وثائق واعلام ، وادارة ابحاث تأونية وعلاقات دولية .

#### « التوصية العاشرة عشرة »

##### التعاون العلمي العربي :

ينوه المؤتمر بأهمية التعاون العربي في مجال البحوث العلمية والدراسات الاقليمية المشتركة ( من امثال مركز النظائر المشعة والمركز الاقليمي العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة ومراكم البحوث التي اترها مركز التربية الصناعية التابع للجامعة العربية ) ، وبالنشاط الذي يقوم على نطاق الوطن العربي وينوه بأهمية « مجلس العرب المشترك للطائرة الذرية » الذي قرر انشاءه مؤتمر القمة الثاني .

ويوصي بأن يكون انشاء مراكز البحوث الاقليمية مرتبطة بموضوعات علمية تهم الوطن العربي والتنمية الاقتصادية فيه .

#### « التوصية الثانية عشرة »

##### التوثيق والنشر العلمي :

نظرًا لأن نتائج البحوث العلمية أصبحت تنشر في العالم في ملايين من التقارير العلمية بعشرات اللغات، فقد أصبح التوثيق العلمي من أهم الأمور التي يجب أن تعنى بها مؤسسات البحث العلمي ، ويتعين التوثيق العلمي الكامل اليوم على أجهزة حديثة بالفترة لذلك يوصي المؤتمر بأن تتعاون البلاد العربية على انشاء مركز للتوثيق العلمي يستخدم الوسائل والأجهزة الحديثة ويكون في خدمة البحث العلمي على الصعيد العربي كله .

#### « التوصية الثالثة عشرة »

##### تنظيم براءات الاختراع والملكية الصناعية :

يوصي المؤتمر بإنشاء وتنظيم جهاز براءات الاختراع في كل دولة عربية، على أن يكون الجهاز ادارة استقبال اسرار التكنولوجيا المرئية بطلبات براءات الاختراع ، وادارة ارسال تلك الوثائق الى مراكز البحث العلمي

#### « التوصية الرابعة عشرة »

##### براءات الاختراع

##### والمؤتمر

##### الاختراعات

- فلياته المرجوة ، ولما كان للعلم دور رئيسي في مواجهة متطلبات المعركة المستمرة مع الإمبريالية وقاعدتها الصهيونية وهو دور لن يتحقق الا باتخاذ التدابير اللازمة على المستوى الوطني وعلى المستوى الدولي
- من المؤثر يومي بما يلى :
- 1 - ضرورة وضع سياسة عامة للأهداف العلمية تثني من واتع الوطن العربي وتكون على مستوى التحديات التي تواجهه مسكريها واقتصادياً وحضارياً ، وتعلق متطلباتها وأحتياجاتنا في شهوة خلط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتربية والتعبئة العسكرية .
  - 2 - الإسراع بإجراء الدراسات الخامسة بالميدو وطاقاته وأمكانياته وسياساته العلمية والطرق التي يتبعها في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والتكنولوجية واجراء دراسات من طاقاتنا العربية التي يجب حشدها من أجل المواجهة العالمية والمستقبلة مع العدو . وفي هذا المجال أيضاً يشير المؤثر إلى أهمية الاستعانة بملحقين علميين يتم تعيينهم في الدول المختلفة لجمع المعلومات العلمية .
  - 3 - تنظيم وتدريس برامج ثقافية عامة ومنامج في التعليم العام والجامعي لتناول هدوفنا وطاقاته وطرق مواجهته والتعريف كذلك بالإنجازات العربية .
  - 4 - الاهتمام بالدراسات التي تهدف الى رفع مستوى المعلوم ذات المتطلبات العسكرية في الجامعات والمعاهد التربية العالية .



# النَّيْتُ فِي الْعَرَبِ

الرواية

الأستاذ عبد الحق فاضل « الدار البيضاء »

المدد من الثلاثة الى العشرة ، فقالوا مثلا : سبعة  
رجال ، بدلا من : سبع رجال .

ولا يحق لنا التبادي اكثر من هذا في هؤلئه رأى  
الباحث المستشرق اهتماما على الذاكرة بعد هذا الامد  
المطابق ، مخالفة ان نظلم الرجل منعزو اليه ما نتوهم  
انه قاله وهو لم يقله ، او قاله على نحو آخر . لكننا  
نذكر اننا حين قرأتنا ذلك البحث لم نتفتح بنا ويلاته ولو  
اننا تقبلناه على انه مقال طريف ومحاولة جريئة لتنسbir  
ظاهرة لغوية غريبة ، من زاوية جديدة .

اما بقصد النقطة الاولى ننان الكثير من اسماء  
الجمادات لا يخضع للقاعدة المذكورة تند وردت في  
المربيبة مؤنثات من الجمادات لا مشابهة لها بالأنوثة  
كالماء والفاس والذراع ، ومذكرات لا شبه لها  
بالذكورة كالوادي والغار ، والجب الرائد للبشر  
المؤنثة .

اما بقصد النقطة الثانية ماذا اعتبرنا الثانيت في  
بعض الحالات تكريما للمرأة حيث قيل سبعة رجال ننان  
الباحث لم يذكر لميما نظن ان اسم العدد يذكر ايضا مع  
المؤنث - مما يتخل هيبة المرأة ويغفل من سلطتها -  
ليقال (سبع) نساء ، بدلا من سبعة نساء . ولم يحل  
المستشرق الفاضل تذكرة ذلك ونسره بطريقته لم  
تنتمنا على كل حال .

ترات منذ اكثر من مترين هاما - في مطبوع  
ما ، لم له مجلة غاب من بالى عنوانها - لمستشرق  
نسبت اسمه - بحثا ثائعا حاول به تسخير ظاهرة  
الثابت في لغتنا بما فيها من غرابة وغموضات . والذي  
 تستطيع الذاكرة ان تست晦ه الا ان ذلك البحث هو  
النقطتان الاساسيتان اللتان عليهما كان مدار الموضوع .  
النقطة الاولى قوله ان العرب اثروا من الجمادات  
ما هو شبيه بالأنوثة مما كان مثقبا او مهينا او موطوءا  
او نحو ذلك ، كالرحي والبتر والارض . وبوسمنا جريا  
على هذه النظرية ان نضيف الى ذلك من الجمادات  
المؤنثة التي تشبه المرأة ما كان سانيا كالسماء ، ووهاجا  
كالشمس ، ومتقلبا كالربيع ، ومحرقا كالجحيم ، ومدمرا  
والحرب ..

والنقطة الثانية قوله ان العرب كانوا قد مروا  
في احد مهودهم القدم بمرحلة الامومة كغيرهم من  
الام ، اي مرحلة سيادة المرأة الام على العائلة قبل  
الانتقال الى مرحلة الابوة اي سيادة الرجل الاب .  
ويخيل لي ان المستشرق قد استشهد على رأيه هذا  
بنبذة من كلام هيرودوت من ملامة مخايرة للمالكون  
الحديث كانت على مدهه قائمة بين الرجل والمرأة ،  
لدى بعض العرب ، ولا نحسب ان ذلك الاستشهاد  
كان وانيا ببراءه لانه لا يدل على سيادة المرأة فيما  
نذكر . وعلى اية حال كان من تأثير سيطرة الانثى الام  
على قوله ، ان العرب اثروا الكثير من اسماء الاشياء  
غير المؤنثة ، حتى من الذكور البشر ، كثانية اسم

إشارة ، نحن الحالهم المهزأ بها ملتوحة ومضمومة ومكسورة نشأت حركات الاعراب ، ومن العاق النون بها نشأ التنوين بمحظك حالاته .

### الناء :

والذي يهدينا إليه استعراض الشماائر العربية في شئنا أحوالها وصورها هو أن هذه العناصر الشميرية البدائية الثلاثة لم تنشأ في مكان واحد عند ميريق معين من الامريين (العرب الاولى ) ، بل أن كل طائفة منهم كانت تستعمل واحداً من هذه الشماائر . ميريق منهم كانوا يستعملون سمير (تا) كما كان ميريق ثان يستعملون سمير (آ) وميريق ثالث سمير (نا) كالذى فصلناه وعلناه في كتابنا «الناف الذكر» ، فلا حاجة للإعادة فيه هنا .

ومعنى كان نصيب الناء ان الحتوما كاخويمـا الضميرين الآخرين بالاسماء والاعمال . وهذا هو سر وجود الناء في بعض الاسماء مثل : جبـة ، هـبة ، اـجمـة ، مـقدـرة ، خـشـبة .

ليس التائيـث هو الغرض من الناء في اسماء هذه الاشيـاءـ المـجرـدةـ من اي اـثرـ لـايـ تـائـيـثـ اوـ تـذـكـيرـ ، وـانـاـ النـاءـ هـنـاـ مجردـ بـقـيـةـ اـفـرـيـةـ منـ عـهـدـ لـغـويـ مـنـدـرـسـ بـعـدـ كانواـ يـهـ يـلـحـتونـهاـ بـكـلـ الـاسـمـاءـ وـالـاعـمـالـ .

وقد كان من نتيجة اختلاط التبيل الذين يستعملون الناء بغيرهم من الامريين الذين لا يستعملونها ان صفت شائـهاـ وـقـلـ استـعمالـهاـ حتىـ انـهاـ سـقطـتـ منـ كـثـيرـ منـ الـاعـمـالـ مثلـ : الـعـلـمـ وـتـنـعـلـ وـيـعـلـمـونـ ، وـمـنـ مـعـظـمـ الـاسـمـاءـ مثلـ : جـبـلـ ، طـبـيرـ ، نـهـرـ ، اـرـضـ ، كـوـكـبـ ، تـرـابـ ، بـحـرـ ... وـبـيـتـ عـالـتـةـ باـسـمـاءـ اـخـرىـ كالـتـسـ ذـكـرـناـهاـ : هـبـةـ ، جـبـةـ ، اـخـ ... وـبـيـتـ مـارـجـةـ فـ اـسـمـاءـ اـخـرىـ حيثـ يـكـنـ حـذـفـهاـ وـاـبـانـهاـ فـ مـثـلـ : لـيـلـ وـنـجـمـ .

تلـناـ انـ النـاءـ الحـتـومـاـ بـالـاسـمـاءـ وـالـاعـمـالـ لـادـاءـ معـنىـ الشـماـائرـ اوـ اـسـمـاءـ اـشـارةـ اـولـ الـامـرـ ، لـكـنـ تـطاـولـ الـاحـتـابـ وـتـعـاتـبـ الـاجـيـالـ جـعـلـمـاـ تـظـهـرـ اـولاـ فـ سورـ مـخـفـلـةـ بـسـبـبـ اـخـتـالـفـ الـقـوـمـ فـ نـظـمـهاـ كـمـاـ تـلـناـ ،

ولـانـدـرـيـ الـآنـ ماـ اـذـاـ كـذـكـانـ الجـمـادـ تـلـنـتـ وـنـكـرـ فـ الـلـاتـيـنـةـ وـبـنـالـهاـ . نـهـلـ نـعـزـوـ ذـلـكـ إـلـىـ مـشـابـهـةـ الـمـسـيـاـتـ لـلـكـوـرـةـ وـالـأـنـوـةـ اوـ إـلـىـ سـيـطـرـةـ الـأـمـ الـمـلـىـ الـرـوـمـانـ قـبـلـ اـنـ تـتوـطـدـ لـدـيـهـمـ سـيـطـرـةـ الـأـبـ اـيـضاـ !

ويـلاحظـ انـ اـسـمـ الـجـمـادـ الغـلوـ (1)ـ فـ الـلـاتـيـنـاتـ اـمـاـ مـذـكـرـ نـقـطـ وـاماـ مـؤـنـثـ نـقـطـ . وـاماـ فـ الـعـرـبـةـ مـانـ الـكـثـيرـ مـنـ اـسـمـاءـ الـاخـلـاءـ يـجـزـعـ فـيـهـ الـتـذـكـيرـ وـالـتـائـيـثـ . فـهـذاـ يـضـعـفـ رـأـيـ الـمـسـتـشـرـقـ الـبـاحـثـ فـ قـوـلـهـ اـنـ لـشـابـهـ الـاـشـيـاءـ بـالـاـنـوـةـ عـلـاـقـةـ بـالـسـالـةـ . وـلـوـ نـعـنـ مـضـيـنـاـ فـ الـتـطـبـيـقـ تـيـلـاـ مـعـنـ نـظـرـيـتـهـ لـعـلـنـاـ اـنـ جـواـزـ التـذـكـيرـ وـالـتـائـيـثـ فـ الـكـثـيرـ مـنـ اـسـمـاءـ الـاخـلـاءـ فـ الـعـرـبـ يـدـلـ عـلـىـ مـرـورـ الـعـرـبـ بـعـدـ سـادـتـ فـيـهـ الـخـنـشـ عـلـىـ الـعـالـةـ . تـبـلـ الـاـدـلـاءـ بـرـايـنـاـ فـ تـسـيـرـ ظـاهـرـةـ الـتـائـيـثـ يـطـالـبـنـاـ الـاـنـعـامـ اـنـ نـحـيـنـ هـذـهـ الـجـهـدـ الـمـخـلـصـ الـذـيـ اـنـتـهـيـ الـمـقـضـيـ الـمـسـتـشـرـقـ -ـ الـجـمـهـورـ لـدـيـنـاـ فـ الـوـقـتـ الـحـاضـرـ ، وـقـدـ نـهـتـدـيـ اـلـىـ مـعـرـفـةـ اـسـمـهـ ذـاتـ يـوـمـ -ـ نـهـوـ وـاـمـثالـهـ مـنـ الـبـاحـثـيـنـ الـاجـانـبـ ، الـذـيـنـ تـامـواـ بـعـلـيـةـ اـسـتـكـانـ وـاسـعـةـ الـمـجـالـ فـ قـارـةـ الـقـرـاثـ الـعـرـبـيـ وـمـنـ تـرـاثـ الـلـفـةـ ، تـدـأـدـوـ اـلـىـ الـعـرـبـيـةـ خـدـمـاتـ تـيـمـةـ مـشـكـورـةـ ، وـلـاـ عـبـرـ هـلـيـمـ اـنـ اـخـطاـلـاـ اـحـيـانـاـ ، مـانـ لـهـ الـفـضـلـ اـنـمـ اـسـبـيـأـ اـحـيـانـاـ كـثـيرـ اـخـرىـ .

### الـشـمـائـرـ الـعـرـبـيـةـ :

اـذـاـ حـلـلـنـاـ الـشـمـائـرـ الـعـرـبـيـةـ -ـ اـنـاـ ، اـنـتـ ، هـوـ ..ـ الـخـ -ـ نـجـدـهـ تـقـالـلـ مـنـ ثـلـاثـ مـنـاصـرـ اـسـاسـيـةـ :ـ الـاـلـ وـالـلـنـونـ وـالـنـاءـ .ـ وـتـدـ تـطـرـيـنـاـ فـ كـتـابـنـاـ «ـ سـعـامـرـاتـ لـنـوـيـةـ »ـ (ـ فـ نـصـلـ اـسـرـارـ الـشـمـائـرـ )ـ (ـ 2ـ)ـ بـشـيـءـ مـنـ التـنـصـيلـ الـهـذـهـ الـعـنـاصـرـ الـشـمـيرـيـةـ الـلـلـاـتـةـ الـتـيـ نـطـلـتـهاـ الـاـنـسـانـ الـاـقـدـمـ (ـ ٤ـ)ـ وـ (ـ نـاـ)ـ وـ (ـ وـتـاـ)ـ اـولـ الـاـمـ ،ـ ثـمـ تـطـورـتـ مـتـعـدـدـتـ مـصـيفـهاـ وـتـوـجـهـتـ مـعـانـيـهاـ ،ـ اـيـ اـنـ الـاـقـدـمـيـنـ كـانـوـ يـفـتـلـوـنـ فـ نـطـقـ هـذـهـ الـشـمـائـرـ مـنـشـاتـ لـهـاـ صـيـغـ كـثـيرـةـ ،ـ وـكـانـوـ لـفـرـمـ الـلـغـويـ يـسـتـعـمـلـوـنـ كـلـاـ مـنـ نـلـكـ الـصـيـغـ فـ مـخـلـطـ الـعـانـيـ الـتـيـ يـتـوـقـونـ السـ اـلـصـاحـ مـنـهـاـ وـلـاـ يـجـدـونـ الـالـلـاظـ الـمـعـرـفـةـ مـنـ كـلـ مـنـهـاـ .ـ وـكـانـوـ يـلـعـنـوـنـ هـذـهـ الـعـنـاصـرـ الـبـدـائـيـةـ (ـ آـ ،ـ نـاـ ،ـ تـاـ)ـ بـالـاسـمـاءـ وـالـاعـمـالـ كـشـمـائـرـ اوـ اـسـمـاءـ

(1) نـسـتـعـمـلـ كـلـمـةـ الـغـلوـ -ـ زـنـةـ الصـنـوـ وـالـشـلـوـ -ـ بـمـعـنىـ الشـيـءـ الـخـالـيـ مـنـ الـاـنـوـةـ وـالـذـكـرـةـ .ـ وـمـنـثـهاـ :ـ الـغـلوـ ،ـ وـجـمـعـهاـ :ـ الـاخـلـاءـ -ـ زـنـةـ الـاـشـلـامـ .

(2) وـفـيـ مـجـلـةـ «ـ الـلـسـانـ الـعـرـبـيـ »ـ الـمـدـدـ الـخـامـسـ ،ـ لـسـنـةـ 1967ـ .

حدثت الناء منها ، مثل : الامسية والبكرة والرئنة والبورة — ملا معنى لالناظ الامسي والبكر والبرىء والبؤر . اي ان الناء هنا قد التمكنت ببناء الكلمة فاصبحت جزءا من نسيجها كحروفها الاصلية . وهذه يصح ان نسميتها ( الناء الازمة ) .

رابعا : سارت الناء اداة لتكوين بعض المصادر كما في التعلين: دحرج واستقام، مصدر اهاما: درجة واستقامة — وهي تعادة تعباسية لا حيد عنها ، اما في الفعل المشعف فنان الناء وجوبية احيانا في مثل : وصت يومية وعبا تعبة .. وجوازية احيانا في مثل : قدم تندمة او تقديمها ، وكرم تكرمة او تكريما .. ومنشومة احيانا كما في علم تعليمها وكرس تكثيرها ، ملا يقال تعلم ونكارة . وهذه اجرد بيان نسميتها ( الناء المذرية).

خامسا : سارت الناء تؤدي معنى الحركة في مثل: الكمانة والسفاره والسدانة والعبايفه — اي حرفه الكاهن والسلير والسادن والمائد . وهذه نسميتها ( ناء الحرفه ) .

سادسا : سارت الناء تؤدي ايضا معنى توكيده الصفات في مثل : النسابة والذوافه والراوية . فإذا حذفنا الناء من هذه الصفات فقلنا النساب والذواف والراوي ، ضعفت توه المعن ، على حين انه لا يجوز حذفها من بعض الصفات المؤكدة بها مثل الطلمسة والهمزة واللمسة ( بضم الاول وفتح الثاني في اللقطات الثلاث ) — اي الكثير التطلع والهمار واللماز ، ملا يقال فيها : الطلع والهمز واللمز ، وهذه الناء اجرد بيان نسميتها ( ناء التوكيد ) . وهي ناء لازمة في نسق الوقت في الطلمسة والهمزة واللمسة .

سابعا : سارت الناء تدل على معنى الافراد في بعض الاسماء كالشجرة والحمامة والسمكة ، ماذا حذفت من هذه الاسماء وأمثالها سارت تدل على الجمجم اي اسم الجنس : الشجر ، الحمام ، السمك ، ولا يمكن اعتبارها ناء ثانٍ حتى في الحمام والسمكة وفيهما من الاحياء ، لأن الكثير من امثال هذه الاسماء تطلق على الذكر والانثى دون تمييز . وتتجلى وظيفة الافراد على نحو اوضح في مصادر بعض الاعمال. فالنظرية هي النظر مرة واحدة ، والابتسامة والضريمة والاكلة هي الابتسام والضريب والأكل مرة واحدة . وهي ادنى ( ناء الافراد ) .

ثامنا : على المكس من هذا سارت الناء تعنى الجمع في اسماء اخرى مثل : العدناني والخطاطي

وتؤدي ثانيا اغراضها مختلفة يسبب البقر اللغوي الذي المعنا اليه ما اضطرهم الى استعمال الكلمة الواحدة في اكثر من معنى واحد .

من اختلاف الطوائف الامرية في نطقها نجدها في لفتنا مضمومة ومتوجهة ومكسورة وساكنة . ومن بعيا استعمالها بمعنى مختلف الفمائر سوف يستغرب القارئ ان يقول له ان ( تو ) ما زالت تعنى انت بالعربية ، وأن ( تا ) تعنى انت المخاطب ، و ( تي ) تعنى انت المخاطبة ، و ( ات ) تعنى هي . لكننا نجد هنا كلها مدهشا في الفعل الماضي ، فالناء المضمومة تعنى انت في فعلت ( = فعل + تو ) ، والمكسورة تعنى انت في : فعلت ( = فعل + تي ) ، والساكنة تعنى هي في : فعلت ( = فعل + ات ) . وهذه الصيغة الاخيرة ( ات ) قد ذابت همزتها كما تذوب المءمة في كثير من الحالات التي سميت فيها همة وصل .

### وظائف الناء :

اوضحتنا في كتابنا المذكور كيف تتقى الفمائر احيانا وظائفها اي معانيها ، او تتعاضن منها وظائف أخرى . وقد كان ثنان الناء في هذا شأن غيرها من الفمائر فقد تتبدل عليها احداث لغوية المقتنيتها وظيفتها احيانا وابدلتها بها وظائف اخرى احيانا اخرى ، في ظروف تطورية مثيرة ، نجملها فيما يلي :

اولا : متعدد الناء وظيفتها تماما في بعض الاسماء مثل : نجمة وضلعه وماء — يجوز لك حذف الناء من هذه الاسماء فتقول : نجم وضلع وماء ، بنفس المعنى . اي ان الناء هنا لم تستطع ان تجد لها وظيفة ما او تتخصص بحالة معينة تميزها عن حالة تجسرد الاسم من الناء . فيمكننا على هذا ان نسميتها ( الناء الزائدة )

ثانيا : وجدت الناء لنفسها بعض الوظائف تؤديها في بعض الحالات ، من ذلك انها تغير معنى بعض الانفاظ مثل : الظهير والماجر والجر . بهذه الانفاظ يكتسب معانٍ جديدة ليست لها اية علاقة بمعانٍها الاصلية حين تتحقق بها الناء تتصبّع : الماجرة والظفير والجرة . وهذه قد يجوز تسميتها ( ناء التغيير ).

ثالثا : سارت الناء تطلق معنى لبعض الانفاظ التي لا معنى لها . وبتعبير آخر ان الناء سارت جزءا متينا لبعض الاسماء بحيث تصبّع لا معنى لها اذا

ولد نطق بعض العرب اسماء الاناث بيمد اللام  
قبل الناء ، ولا يزال على ذلك بعضهم كالالمتربيين في  
نطق شيريات وعانيايات (اسم علم للانثى ) ، ومع الزمن  
تفصحت هذه الصيغة المديدة لدى الاصحرين بجمع  
الاناث السالم ، مثل حميات ورانيايات وفانيايات .

فِي الْأَنْتِيَرِيَّةِ

وي بعض العرب المعاصرین ینطلقون تاء التائيت في  
للغاتهم الدارجة في بعض الاسماء و یهملونها في بعض ،  
الكلام راقبيين الذين ینطلقونها في مثل: المساوات والحياة  
والشریت ، و یهملون نطقها في مثل : الحرية والتربية  
و الصلاة .

وأهمال نطق الناء في بعض الالفاظ منحدر من أصل مهيب عريق نبيا يظهر ، منشأه أن بعض الأفريقيين صاروا يستطونها في الاسم منذ الوقت عليةما في آخر الكلام نطق - كما هي الحال في التصحي السريومينا . وبذلك زالت الناء وبقى منها اثر هو الماء الساكنة ، ومن هنا صارت المعاجم العربية تسميه ( الماء ) بدل ( الناء ) . والواقع أنها ليست هاءا بالمعنى الصحيح فهي على الأقل تتعلق مجرد منحة على آخر الاسم . ويظهر ان بعض الميجات القديمى انفت ذلك قاعدة عامة لها حتى عند ونوع الناء في داخل الجملة ، وقد بييت هذه القاعدة في بعض اللغات الارية كاللاتينية والإيطالية ، على اللاتينية يقال : *filia* (بنت) ، و *amica* ( صديقة ) ، و *lupa* (ذئبة) — تانيا لقولهم *filius* و *amicus* و *lupus* . وهذه المؤنثات الثلاث توجد بنسماها في الإيطالية — غير أن البنت تحكم *figlia* (وتنطق *filia* ايها) . أما مذكراتها في الإيطالية فهي : *figlio* و

**lupo**      +      **amico**

واما في الفرنسية فان الناء تنطق مريحة في  
الالفاظ المؤنثة بها مثل toutes (جميع)  
colte (للمؤنث) و cette (هذه) و  
(هادئة) — ومذكراتها tous و ce و  
يضاف الى ذلك في الفرنسية ان تصغير الاتيات ايضا يتم  
بالحاق الناء في مثل : table (منضدة) و  
française (مندوق) و casse  
(الفرنسية) — وتصغيرها : tablette و  
francette و cassette

والمربي والياني والسياف والخيال .. تلك جماعتها على مدنية وعطانية ومصرية ويبانية وبيانة وخالة - اي بمجرد اهتمامك بالاسم المرد دون تغيير في تركيب بيته . على حين ان بعض الاسماء تتغير بنيتها اذا جمعت بالناء مثل جمع الماشي والبازري على مشاة وزيارة ، وجمع اللائد والسائق على قيادة وساعة ، وجمع الفنان والمذري على فنانة ونانرة ، وجمع الكاب والمامل على كبة وملة ، وجمع الدب والمبل على ديبة ونبيلة .

ومن الطريق أن الثناء مثارت ادأة الجمع في بعض اللغات الإغريقية أيضا كالإنجليزية والفرنسية والاسبانية ، لكن بعد إبدالها سينا (٨) ، وإبدال الثناء سينا. موضوع له أهميته التقوية الخاصة ، وقد أوضحته في كتابنا *الذكر* ، والمدد المذكور من مجلة « اللسان العربي » .

هذا في الإسم ، غير أن معالجة الناء في ميدان  
الجمع شملت الفعل أيضاً ، كما في : ثالت الامراب  
وتقول الرجال ، مثلاً ناء هنا تعني الجمع لا الثنائي كما  
توفهم النحاة ، بدليل أن الناء في قولنا ( انقضت الناس )  
تحل محل وأو الجمع في قولنا ( الناس انقضوا ) ،  
وانها في قولنا : ( تعلم الرجال ) تحمل محل المساوا  
والنون في قولنا ( الرجال يتعلمون ) . وهذه الناء ما هي  
الا ( ناء الحجم ) .

ناتئاً : واخيراً ناتئاً الى نهاد النحوين ، اي الناء  
التي تدل على الثانيت في أسماء بني الانسان والحيوان  
اي الكائنات المتنفسة الى اناك وذكور مثل : مراة  
وهرة ونمرة وسميدة وعاقلة — ثانيناً لهره وهو ولمر  
وسعيد وعاقل . وهي نفس الناء الملحقة بالفعل  
الماضي في توليمه : حامت وذهبت — ثانيناً لقولهم :  
حاء وذهب

وكانت الناء الملحقة بالاسماء تنطق صريحة فيها .  
نعتقد حتى عند الوقت مليئها في آخر الكلام كما هي  
الحال في الفعل الماضي ( فعلت هي ) . وما زال بعض  
المغرب على ذلك اي ينطلقون ناء التائبات في الاسماء حتى  
منذ الوتوتوف عليها فيقولون حين يتراؤن في الفحصى :  
الشجاعات والحراريت والانسانيات — وهي احدى  
اللمجات في لبنان . ومثل ذلك يتعل لالاتراك والدرس في  
اللألفاظ العربية الثانية المستعملة في لغتيهما مثل: محبت  
امانةت ، سلطنت ، انسانيت ، ملت .

## اختلاط الوظائف :

### المدد والمعدود

وناني الان الى تلك القاعدة الشذوذية التي حيرت الانهاء واعتبرت من بدوات اللغة العربية وزواها البوهيمية ، وهي قاعدة تأثير العدد (من الثلاثة الى العشرة) مع الذكور وتذكره مع الاناث ، لتنتمي على ضوء تحليل وظائف الناء . فما تفسيرها يا ترى؟

مفتاح هذا اللفز هو التفريق بين وظيفتي الجمع والتائين . تقبل كل شيء يجب ان نتعرف بان الناء في (الثلاثة) واخواتها انما هي ناء جمع لا ناء تأثير ، فحين قال اجدادنا البداء في مهد جاهلي سحق : سبعة فرسان ، لم يخطر لهم ان يؤثروا الفرسان مثلاً لاسم يخطر لهم ان يؤثروا البشريين والغازين والخياليين حين سوهم : بساطة وغزارة وخيانة .

اما في حالة عدد الاناث فقد استثنوا اجتماع التأمين - ناء جمع المدد وناء تأثير المعدود - في مثل (خمسة بتراء) فاستطعوا احدى التأمين ، تخليها . ولقد كان التطور اللغوي منطقياً جداً هذه المرة اذ استطع ناء الجمع ، لا ناء التأثير ، لأن معنى الجمع ملحوظ بذاته في اسم العدد . اما لو انهم استطعوا ناء التأثير من القرارات والفتيات والوالدات لتغير معنى التأثير الذي اراده الثنائي ، بذلك امتنعوا منه .

وحذف ناء الجمع من المدد ينطبق كذلك على جميع اسماء الاخلاص (الجمادات) المنتهية بالفاء كالشخصيات والمضبات والجنات ، ثم سرى ذلك على جميع اسماء الاخلاص المؤنثة ، ولو لم تكون منتهية بالفاء ، كالمعنى والدور واللوس والحروب .

هذا التفسير يؤيده لنا انهم وازنوا - لفرض التحقيق ايضاً - بين التأمين - وكلنامها للجمع - في الامداد العشرة ، فصاروا اذا نطقوا الناء في احد شطري العدد استطعوا من الآخر ، مثناوا : خمسة عشر حصاناً وخمس عشرة فرساناً ، اي انهم استعملوا ناء واحدة لكل من الذكر والمؤنث في كل من الحالتين .

لم يكن غرض القوم ان تأثير الرجال ولا ذكر النساء ترفيه لفروع المرأة واعتراضها ببساطتها .

ملفوظة القول ان الناء وردت في مسمى مختلفة متعددة مميزة ذكرنا ما يحضرنا منها هنا بأجمال ، ولا ندري ان كان قد افتعلنا بعض حالاتها المهمة ، لكننا نتوقع على كل حال ان المستقبل سيتيح بحوثاً ملخصة في هذا الموضوع بعد التشريح الطويل والاستقراء الشامل ، وما نرجو لحديثنا هذا السريع الا ان يكون خبرة لذلك المستقبل .

ويكفينا الان ما تقدم بنا من مظاهر الناء التأسيسيينها بحسب وظائفها : الناء الزائد ، وناء التغيير ، والناء اللازم ، والناء المصدرية ، وناء العروبة ، وناء التوكيد ، وناء الامداد ، وناء الجمع ، وناء النساء التأثير . افليس من العجب العجب ان النعمة المشهورين بتدقيقائهم البالغ نعيمها في بعض التوانيم ، لم يميزوا بين حالات الناء المختلفة هذه بل احتطواها جميعاً ، خبط عشواء ، وكدوها تحت اسم ناء التأثير ؟

وتقبل ان ندرج منه حديث الناء وننتقل الى مظهر آخر من مظاهر التأثير في العربية يجدر بنا ان نلاحظ ان الامميات التطورية قد عملت عملها في خلط وظائف الناء بعضها ببعض شأنها في مختلف التطورات اللغوية . اي اتنا نجد للناء أكثر من وظيفة واحدة في الكلمة الواحدة أحياناً ، مثل : تفعل انت وتتحمل هي ، تعلمان انتها وتتعلمان هما الغائبان ، اقبلت الجارية واقبلت الفرسان . ومثل ذلك: المرأة العدنانية والمربي العدنانية . بل قد تجتمع في الكلمة الواحدة ثلاثة وظائف مثل (النسابة) وهي تعني المرأة النسبة او الرجل النسب او الرجال النسبين . وشبيه بذلك (السفارة) التي اكتسبت لأن معنى حديثها بالإضافة الى معناها القديم - فقد صارت السفارة تطلق على المؤسسة الرسمية التي يرأسها السفير .

غير ان هذا الاختلاط في المعاني لا يرفع الملامة من النحويين الذين لم يتممموا شيئاً من نشاطات الناء اصلاً ، فقد كان عليهم - جزاهم الله رقماً ونصباً ووتاهم الكسر والجر - ان يميزوا بين بعضها وبعضها ويسموا كل منها باسمه كما يميزوا مثلاً بين حالات النصب الكثيرة في الاسماء وسموا كل منها باسمه .

## هو وهي :

و ( هي ) دون تبييز عندما كان معنى الكلمتين واحدا ، اي ماما للثلاثة أصناف : الذكور ، والإناث ، والاخلاء . وهكذا مسار بعضهم يقول : هو الروح وهو المعنق وهو السكين وهو الطريق وهو السبيل .. وبعضهم يقول : من الروح وهي المعنق وهي السكين وهي الطريق وهي السبيل ، اي انهم افطروا الى تذكير الجناد الغلو او قاتلته لانهم لم يجدوا ضميراثالثا يخصونه به كما خص الانكليلز مثلما ضمیر ( ها ) بالخلو الغائب المرد ( الکتم استعملوا نفس الشعائر للمذكر والمؤنث والخلو في الحالات الاخرى اي في حالات الخطاب والجمع ) . ومع الزمن استقر التأنيث في العربية لبعض الاخلاء كالنار والحرب والدار ، واستقر التذكير لبعضها كالجليل والنهر والليل والنهر ، وظل بعضاها الآخر هائما متربدا بين الحالين اي يلونت ويذكر دون تبييز كالروح والعنق والسكين ..

من جهة اخرى نجد ان النساء ايضا قد تخصصت بالتأنيث في مثل الوالدة والمرأة والسلالة والجنبية ، ومن هنا سارت العادة ان تعامل كل اسماء الاخلاء النهائية بالثناء معاملة المؤنث وكانت توهم قدامي العرب - كما توهم النهاة من بعدهم - ان ناه البناة والركوة والخيمة والرابية ايضا تمعن التأنيث مثاليها : هي البناة وهي الركوة وهي الخيمة .

وبتعبير آخر ان التأنيث ( العتيقي ) قد تناول فيه ضمير ( هي ) في مثل هي الانان ، مع ناه التأنيث في مثل النسبة والنتاء ، مصارت ( هي ) تستعمل كتاء ماءة مع اسماء الاناث سواء كانت منتهية بالباء او لم تكن ، ومع اسماء الاخلاء المنهية بالثاء . وقد هوملت هذه الاسماء معاملة الاناث في مختلف حالات الكلام ، فصاروا يقولون : هي الانان وهي الشمعة وهي الغابات .

اما ما يدل على الذكر والإناث من الاسماء غير النافية مثل الفرس فيلونت اذا تصدوا الاناث وينذرون اذا قصدوا الذكر .

اما الاسماء التي يجوز نطقها بالثاء وبدونها كالنجمة والليلة فقد انثوها مع الناه وذكروها بدونها مثاليها : هو النجم وهي النجمة وهذا الليل وهذه الليلة ، وذلك الماء وتلك الماء . لكن الصدمة انثوها في كلتا الحالتين مثاليها : تلك الصدمة وهذه الصدمة ، لأنهم اعتبروها انثى في كلتا الحالتين ، اما ذكر الصدمة نسموه العلجمون .

هذا جانب من حكاية التأنيث ، ملتفت الى الى الجانب الآخر منها لتعمس ابعاده في ضمير الغائب ( هو ) وتطوراته .

ان تأنيث الاسم يعرف من صيغته مثل : جبلة وذلقاء وعطشى ، او من معناه مثل : مرضع وظاهر وحامل ، او من الضمير الدال فيه مثل : هي ، هن .

والذي نعتقد ان، العرب كانواوا اول الامر يستعملون ضمير ( هو ) الدالة على الذكر والإناث والخلو جيما - انسانا وحيوانا وجادا .. وما زال الامر على ذلك في الفارسية التي ينطبق فيها هذا الضمير بصورة البديهة ( او - ها ) ، اي كما كان ينطلقه العرب قبل ان يبدوا همزة هاما . يعني ان العرب كانوا في مهودهم اللغوية الاولى يقولون : هو الرجل، هو المرأة ، هو الشخص ، هو القمر . ثم ظهرت ثلاثة منهم نطق ( هو ) بالكسر : ( هي ) بنفس المعنى . ثم اختلطت هذه الثلاثة من العرب بغيرها من اللغات العربية نصار المختلطون يقول بعضهم ( هو ) وبعضهم ( هي ) ، ثم نشا منها جيل يستعمل كلا الضميرين بمعنى واحد . وما يدل على ان الضمير ( هي ) كان يستعمل اولا للذكر انه ما يزال كذلك في الانكليلزية بنفس النطق ( هي : he ) . كذلك اطلق الساميون القدماء في ارض بابل ضمير ( هي ) - قبل ابدال همزة هاما - بصفة ( ايها - Eia ) على الاله الذكر ( ماء القمر )

وبمرور الزمن تخصصت في العربية صيغة ( هو ) بالذكر وصيغة ( هي ) بالمؤنث . وتظهر ( هي ) بمعنى التأنيث في اللاتينية ( ايها : ecc ) اي نفس اسم الاله ( ماء القمر ) .

ومثل هذا التخصص ملحوظ في التطور اللغوي حين تظفر للفظان بمعنى واحد مع وجود معنى آخر لا لفظه له . فالعادة ان المعنى المحتاج الى لفظ يعبر به من وجوده ينقطع احد اللفظين المترادفين . وهكذا اختلط معنى التأنيث ( هي ) واستثار بها لنفسه .

منذذ تناولت نوادر التأنيث والتذكير في العربية . ذلك بان الجناد كذى الروح لابد من الاشارة اليه بضمير ما . وقد كان يقال للجناد ( هو )

صيغة الثنائي أو استقر في الكلام ثانية حتى في الدارجات كالشمس والارض وال Herb والثأر ..

ونشتمل التدالى - القراءة - انهم اصابوا حين انشوا بعض الاسماء مع خلوها من ملامة الثنائي كالظاهر والمرفع والحاصل ، لأن هذه الصفات لا تكون الا في الاناث ، ولو انهم - العرب - شذوا حين عمموا صفة الولادة على الرجل . وبطبيعة استفراط القراءة لقولنا هذا اذا ذكر انهم يسمون الاب (والا) مع استعماله الولادة عليه . واصناع صفة الولادة على الاب وهو منها براء ليس كذلك من باب مجاملة المرأة او الفضوع لسيطرتها ، وانما جاء من اطلاق (الوالدين) على الام والوالدة والاب ، كما اطلقوا (القمرین) على الشمس والقمر . وقد اطلقوا عليهما (الابوين) ايضا ، لكنهم لم يسموا الولادة ابة كما سمو الاب والدا .

الا ان ذلك المنطق - في النظر والحاصل والمرفع - يطير هباء في مثل : الخادم والعاتر والرسول والضيق وامثلها من الاسماء التي تطلق على الذكر والانثى ، اي ان الصيغة في هذه الاسماء يمكن اعتبارها خنثى ، وانما تكون ذكرا او انثى حين تميزها قرينة من الضمائر او غيرها حيث يقال : هي الخادم ، وهن العاترات ، وتكل الرسول ، وهذه الضيق .. او : هو الخادم وهم العاترون ..

### ثانية الجموع :

والآن وقد رأينا الثنائي في حالته ، اي نشوئه من اشارة الناء او لا ومن استعماله ضمير (هي) ثانية ، نأتي الى ظاهرة اخرى منشؤها اختلاط معنى الجمع بالثنائي ، في كلتا الحالتين .

ان معاملة بعض الاحلاء من الجمادات معاملة الاناث قد سرت دعواها الى جموع تلك الجمادات ثم الى جموع كل الجمادات ، فصارت تؤثث بالناء ويشار اليها بما يخص الانثى المفردة من الضمائر وأسماء الاشارة والصفات ، ما تجتمع نتائجه في مثل قوله : تلك هي (الجبال) الشماء الزاهية التي تسر رائتها . تجتمع الانفاظ في هذه العبارة خامسة بالانثى مع انها تدل على الجبال التي مفردتها (الجبال) مذكر .

وإذا كانت حياة الاستقرار والاجتماع في صعيد قد أدت الى ثبوت القواعد اللغوية ، مثل ، الثنائي بالفتحة كقاعدة عامة في اللاتينية ، مان حياة التلة في المعرفة وتكرار انفصال اهلها واجتامعهم على غير نظام تد جعل من المعرفة مختبرا لغويًا تقع فيه تجارب لغوية كبيرة التنويع والتعميد دائمة التفاعل والتباين والتولد . ( وقد استمرت المعرفة تصدر نماذج منها الى الخارج ، لغات ولهجات ، على السنة الآربين والجامعين والساميين ، منذ سحق المصور ) .

وبنتيجية ذلك التفاعل والتباين والتولد في المعرفة صار بعض التبائل يؤثر بعض اسماء الاخلاق كما رأينا ، وبعض التبائل يذكرها ، وبعضهم يؤثرها ويدركها . فلهذا اختلف اللغويون فيما يؤثرون ويدركون من اسماء الجمادات لأن بعضهم يروي عن هذه الطائفة وبعضهم عن تلك .

وقد اخذ المحدثون من معاصرينا يبنون الى اعتبار ( هو ) ضميرا عاما للذكر والتعريف من المنسى (1) معا ، مثل اليوم من يقولون ( هي الطريق ) واقل منهم من يقولون ( هي السوق ) فيما عدا قولهما : السوق السوداء والسوق المستزقة . واما كلمة (السلم) فلا نظن اتنا قرأتها مؤثثة لاحد من المحدثين ولا حتى المتنفسين منهم . واما ( الربيع والغول ) فلا نذكر انها مروا بنا شخصيا مؤثثين في شعر او نثر حديث ولا تديم ، بالرغم من ان اللغويين ادرجوها ضمن الاسماء المؤثثة .

وفي اللهجة المصرية يؤثثون الامضاء والمهناء مثلا وينطونها الامضة والمهناء لانتهائهما بالفتحة ، وفي اللهجة المغربية يؤثثون الزيت لانتهائه بالناء . وبعض العراقيين يؤثثون الرأس والباب والبطن ، بل ان بعض ضعاف الكتاب من معاصرينا يفعلون ذلك ايضا ، وقد وجدناه حتى عند ذوي الاسماء الانفائية ( اي التي طببت شعرتها الاماق ) .

هذه الببلة التي كانت شفلا شافلا للغويين التدالى ، هي التي حدت ببعضهم الى ان يقول بجوائز الثنائي والذكر في جميع اسماء الجمادات التي لا تدل صيغتها على الثنائي . واسوأ من هذا هو الاتجاه الذي ينتحله التطور في هذا الجيل . كالذى نوهنا به ، اي تحليب التذكر على الاسماء الخلوة ، الا ما ورد في

(1) نقصد بالمثل - زنة البرد - آلة التراسيل للذكر والانثى .

وتعامل الاخلاه احيانا معاملة جمع المؤنث السالم  
يقال « انهن مصور مطاولات ودهور داهرات » .

ماذا أضفنا الى هذا جموع المؤنثات الحقيبيات  
من بني الانسان والحيوان ملاوة على بعض أسماء  
الذكور التي تجمع بالذاء كالسيانية والقبالة ، وتتوال  
الرجال وتتعل — مما ظنوه تائينا — انفس لنا لماذا  
تغلب الثنائيت على اكتر الجموع ، ومررتنا لماذا قال  
شعرور النعامة :

ان قومي تجمعوا ويتظلي تحديوا  
لا ابالسي بجمهم كل جمع مؤنث ا

وما سميئناه شعروا لغثالة شعره لكن لأنه لم  
بالاصلية الى ذلك ان ( كل جمع ) مؤنث ، متجاهلا  
جموع الذكور مثل : هم الرجال ، نعلوا ، وبعلمون ،  
وماطلون . ولو قد قال بدلا من ذلك ( رب جمع مؤنث )  
لاحسن واصاب ، بمعنى أن ( رب ) للتكثير لا للتقليل .  
بهذا نبيان نظن موجز حكاية هذا الثنائيت الموضوي  
الذي يليل باللغويين وال نحويين ، نديما وحدينا ،  
من شرقين ومستشرقين — المسؤول في احداثه  
شمير ( هي ) الذي خدع العرب الاتدرين بمعنى  
للتذكير والثنائيت ، وشرعيته في العرم ( النساء ) التي  
خدمت العرب الاتدرين والنها من بعدهم بمعانيمها  
الكبيرة المتشابكة .



# علم الأصوات الحيوانية عند العرب

الأستاذ عبد العادي الفضيلي أستاذ اللغة العربية بكلية الفقه  
الجعف الأشرف لعراءه

وثلاثة اعادها وهو يربت على ظهر الكلب او كنته  
وقبيل وضع المسحوق في نمه ايضا .  
كانت النتيجة ذاتها .

نامتدى من هذا الى ان المنهات البديلة او ما  
يسماها بـ ( المنهات الشرطية ) تستدعي الاستجابة  
او ما سماه بـ ( الفعل المنعكس الشرطى ) كما  
تستدعيها المنهات الطبيعية .

وقد اطلق على تعلم الحيوان الاستجابة للمنهات  
الشرطية مصطلح ( التعلم الشرطى ) .

وانتمي ايضا الى ان هذا اللون من التعلم موجود  
في جميع الحيوانات حتى اخطها .. والى انه يستطيع  
بواسطة تسلير جميع مظاهر السلوك الانسانى  
والحيوانى ( 1 ) .

ونحن متى نرجع الى تراثنا العلمي العربي نجد  
جذور هذه النظرية تبدأ ويتفصيل من قبل العلامة  
النحوى العربى رضى الدين الاسترابادى المعروف بـ  
( الرضى ) والمتوفى عام 684 هـ ، وذلك فى كتابه  
النحوى ( شرح الكافية ) منذ دراسته موضوع  
( الاصوات ) .

قال :

« وثالثها : اصوات يصوت بها للحيوانات عند

يعزو تاريخ علم النفس وضع نظرية التعلم الشرطى الى العالم النسبيولوجي الروسي ايفان بترنوبش بالنوف Pavlov المتوفى 1936 م .

وهي من مهامات نظريات التعلم ومن مهامات موضوعات علم النفس .

ويعني التعلم الشرطى : ذلك الترابط الآلى بين الاستجابات الطبيعية والمنهات الصناعية الشرطية ، والذى تتوب فيه اشارات ورموز اشارة السلوك عن المنهى الاصلى .

وقد توصل اليها العلامة بالنوف من تجاربه التي اجرتها على الكلب الذى كان يثبته على مائدة التجارب ، حيث كان يضع على لسان الكلب مقدارا من مسحوق اللحم المجلد ، تارعا جرسا كهربائيا قبيل وضع المسحوق في نم الكلب .

والاحظ بعد ان كرر التجربة اكثر من مرة ان ترع الجرس الكهربائي وحده كانت فى المراز لعب الكلب .

وأعاد التجربة مستبدلا ترع الجرس باضافة مصباح امام الكلب وقبيل وضع المسحوق في نمه ايضا .  
والاحظ ان اضافة المصباح وحدها بعد تكرار التجربة كافية فى ان يسهل لعب الكلب مند رؤيتها .

( 1 ) اصول علم النفس للدكتور احمد عزت راجع 281.

— كما ذهب إليه بعضهم — لتكون أوامر ونواهي ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل العجمادات في فهم المطلوب من هذه الأصوات منزلة المقللة ، فلا يأس بان تغطى وتتكلم بما تفهمه كالمقللة » (2) .

وفي شوه المقارنة بين هذا النص ( الذي نقلته بكلامه لبيان منه ) وبين تجربة بالملوّف ونتائجـه .. نستطيع أن ننتهي إلى أن الرضي كان سابقاً في الاهتمام إلى هذه النظرية ( نظرية التعلم الشرطي ) .

وربما أرادها من ملاحظاته المتكررة لحياة الحيوان وسلوكه حيث لم يذكر تاريخياً أنه قام بتجربة مماثلة لما قام به بالملوّف .

والنظرية كما ثأرنا نتيجة لتجارب تجري في معامل الترييض ، ثأرنا أيضاً نتيجة للملاحظة المنشورة الدقيقة للسلوك .

ونستطيع أن نعمل عدم اعطاء اهتمام الرضي للنظرية الاهتمام الدراسي المطلوب ، بمجبيه سابقاً بتقديم لوجود علم النفس ، ولأنه كان في مجال غيره نفسى وهو المجال النحوي .

وأعمال آخر عدم دراسة نظريات الرضي لغوية وغيرها من قبل الباحثين العرب أو غيرهم — فيما أهلهم .

لقد خلق الرضي ثروة علمية ضخمة ، وذلك في كتابيه ( شرح الكلية ) في علم النحو العربي ( وشرح الشافية ) في علم الصرف العربي ، اللذين هالج فيما مسائل ذينك العلمين ونظر إلىهما معالجة وافية اتسمت بالاصالة في الرأي والعمق في البحث والاهتمام إلى آراء خاصة ذات قيمة مهمة في المجالين اللغوي والنحوي من حيث لقب ( الحق ) بين العلماء ( ونعم الائمة ) باستحقاق .

وأخيراً :

للعلم بالملوّف تأكيد النظرية بالتجربة العملية ، وبثورتها إلى مصطلح أحد مجاله العلمي .

طلب شيء منها ، أما المعيّه كالفاظ الدعاء فهو ( جوت ) و ( قوس ) و نحوهما ، وأما الذهاب كـ ( هلا ) و ( هج ) و ( هجا ) و نحوها ، وأما أمر آخر كـ ( سا ) للشرب و ( هدع ) للتسكين .

وهذه الانماط ليست بما يخاطب به هذه الحيوانات العجم حتى يقال أنها أوامر أو نواهـ — كما ذهب إليه بعضهم — لأنها لا تصلح لكونها مخاطبة ، لمدم نفهمها للكلام كما قال الله تعالى : ( كمثل الذي ينفع بما لا يسمع الادباء ونداء ) (1) ، بل كان أصلها أن الشخص كان يتصرف انتقاداً بعض الحيوانات لشيء من هذه الاعمال ثم يصوت لها أما بصوت غير مركب من العروف كالصغير للدابة عند ايرادها الماء ، وغير ذلك ، وأما بصوت معين مركب من حروف معينة لا معنى تحته ثم يحرضه مقارناً بذلك التصويم على ذلك الأمر أما الحيوان يمثل المراد منه إما رهبة من الضرب أو رغبة في ذلك البر .

وكان يذكر مقارنة ذلك التصويم لذلك الضرب أو البر إلى أن يكتفي الطالب بذلك الصوت من الضرب أو البر لأنـه كان يتصور الحيوان من ذلك الصوت ما يصحبه من الضرب أو منهـه ويمثل هتـيب الصوت عادة وذرية مشار ذلك الصوت المركب من الحروف كالامر والنهي لذلك الحيوان .

وانها وضعوا مثل هذا التفرض صوتاً مركباً من الحروف ولم يقنعوا بسلاط الصوت لأن الصوت من حيث هو هو مشتبه بالإفراد ونمایزها بالتفصيع والاعتماد على الخارج سهل ، فلما كان الاعمال المطلوبة من الحيوانات مختلفة أرادوا اختلاف العلامات الدالة عليها فرتكبوها من العروف .

وما ذكرنا من الترتيب يتبيّن منه كمية تعليم الحيوانات كالدبر والقرد والكلب وغير ذلك .

هذا .. وانا لا ارى منعاً من ارتکاب صيغة هذه الاصوات المثارنة في الاصل للضرب او البر لما استفني بها الطالب عنهـما اسماء افعال بمعنى الامر

(1) 171 / البقرة .

(2) شرح الكلية 2/ 80 و 81 .

# ملاحظات حول النقد الأدبي

دكتور محمد رجب شعيب "القاهرة"

بمعنى العيب والانتقام فقد جاء في قوله نقدته الحبة بمعنى لدغتها ، ونقدت راسه بأصابعه بمعنى ضربته وفيما يروى من حديث أبي الدرداء ان نقدت الناس نقدوك بمعنى ان عيتم هابوك ومن هنا رجع بعض الباحثين غلبة معنى النقد على مدلول المأخذة والتخطئة مشيرا الى ان اللغة تد وضفت لمنظ التقرير لما يقابل المأخذة من المديح والاطراء اخذا من قول العرب قرظت الجلد اذا دبغ بالقرظ محسن وزين وجمل وقد شاع معنى التقرير اليوم شيوخا ظاهرا ، اذنرى ثلثا من الناس يحرصون على كتابة متقدمات لمؤلفاتهم تتضمن المديح الفالص دون ان تترعرش - الا في التلليل - لخاللة سريحة في الرأي والاتجاه ، ونحن لا نرفض التقرير اذا صدر من رأي وامتداد ووائق موضعه من البحث الرائع والعمل الممتاز ، فهناك من الآثار الادبية ما هو جدير بالتقدير الجميل ، ولكن المشاهد المؤلم ان اكثر من يتجهون الى التقرير لا يضعونه الموضع الصحيح دربها رجع مندهم البحرج وشال الصريح .

اذن فنميز الجيد من الرديء ، والعيب المنتقم كلها من مدلول المعنى اللغوي لكلمة النقد ماذا اجهنا الى المعنى الادبي للنقد عند العرب وجدناه يستعمل في التدريم بمعنى التحليل والشرح والتمييز والحكم والنقد لا يخرج لديهم من دراسة الآثار الادبية وتفسيرها وتحليلها ثم بيان مداها من الاصابة والخطأ متدرجين درجتها الفنية شارحين اسباب الاستحسان

يعطيلون الحديث من معنى النقد في اللغة فيلمون بكل ما قالت المعاجم في مادة نقد ومشتقاتها ثم يحاولون ان يعتقدوا صلة ما بين كل معنى وما تعمّر عليه الان من معنى النقد الادبي ، وذلك جهد ان ابان عن حسن التصرف وبرامة الاحتياط شأنه يذكر الحديث في غير طائل ، وال اوافق ان نختار من معاني الكلمة اللغوية ما يمت بالصلة التربية الى المعنى الاصطلاحي بلا تزيد في التشثير لنصل الى الحقيقة دون تصعيّب .

وإذا كان من اوضح معاني النقد في كتب اللغة انه تميّز الجيد من الرديء ، تقول نقدت الراهنم ونقدتها بمعنى انك ابنت الزائف من الصحيح ، وميّزت الجيد من الرديء ، لأن هذا المعنى الواضح هو القريب من مدلول النقد في الاصطلاح الادبي لأن الناقد لا يخرج عن كونه صيربيا ماهرا ، يعرف الزائف من الصحيح ويميّز الجيد من الرديء ، غير ان مادته هي الاساليب الادبية بمختلف فنونها واجناسها ، فهو اذن جوهري المعنى والالناظ ، يزن الخواطر والمشاعر والتعابير بميّزاته الادبي ويعيّث بنكره وراء كل كلمة وخاطره مبينا مكان ذلك من البناء الفني المتكامل للجنس الادبي فهو بعمله هذا من المدلول اللغوي تربيب قریب واذا كان الناقد الادبي يعمد الى تصحيح الخطأ وتقويم الموج وف ذلك من توجيه اللوم ضمّنيا الى صاحب الاثر المنشود ما قد يقع منه موقع الالم وعدم الارتكاب فان من معاني النقد اللغوية ما يمت بصلة التربية الى ذلك ، اذ ان العرب قد يستعملون النقد

والاستهجان وذلك ما يراه المحدثون اذ يتولون من النقاش انه التقدير الصحيح لاي اثر لمنى مع بيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة الى سواه ، واذا كان النقاش الادبي اليوم في جوهره هو دراسة الاسلوب مكسرة وتصويرا وتعبيرها واحصلسا مع الحكم عليه مان ذلك ما يلتقي بمعنى النقاش في كتب الابن التدبة من ايسر السبيل .

وإذا كانت الكتب المؤلقة في النقد العربي القديم، هي الجاسمة لمذاهب العلماء والأدباء في المتن، والحاصلة باراء شيوخ الأدب في النثر والشعر، مانينا لا نصل منها إلى تحديد اول من أطلق كلمة النقد على مدلولها الأدبي من هؤلاء، وإنما نص وردت فيه هذه الكلمة يرتفع الى البهترى حين تحدث عن أبي العباس ابن ثعلب فقال عنه: « ما رأيته نادراً للشعر ولا مميزاً لللسان » ولكن رواية البهترى جاءت على لسان عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » فللمه روى المعنى دون النظر، واظهر من نص على هذه الكلمة صراحة هو أبو البرج قدامة بن جعفر البندادى من علماء القرن الرابع ( 337 ) هـ حين سمى كتابه نقد الشعر وصرح بأنه يبيح في تخليص جيده من ردينه، وقد سبقته الى هذا الشمار محمد بن سلام الجمحى ( 232 ) هـ في كتابه « طبقات الشعراء » والجاحظ ( 255 ) هـ في « البيان والشبيهين » وأبن تبيبة ( 276 ) هـ في « كتاب الشعر والشعراء »، الا ان هؤلاء الثلاثة لم يشيروا الى كلمة النقد اطلاقاً حتى جعلها قدامه اسماً لكتابه ثم حوربت واشتهرت، وترددت بذلك في ماقتبه الامدي والجرجاني والزمخشري وأبو هلال وأبن رشيق حتى أصبحت ملماً على من ادبى طائر الصيت، ويغيل الى ان خلق الاحمر ( 180 ) اول من اشار اليها من قريب دون ان ينسى على لفظها الصرير وكأنه حوم ولم يقع ، نقد روى صاحب طبقات الشعراء ( 1 ) أن قاماً قال له : اذا سمعت انا بالشعر استحسنني لما ابالي ما ساقت ليه انت واصحابك فقال له : « اذا اخذت انت درهماً واستحسننته مقابل لك الصراف انه رديء هل ينفعك استحسانك له » والصيغة في اللغة هو الثناء وقد قرئه خلق الاحمر بمن يلخص الشعر ويزنه بميزاته الصحيح ، ثم سار الفاحص ثانية دون تثريق . هذا الثناء الذي يجلس من الاثر الادبي مجلس الفاضي فوق منصة القضاة ، يحلل البواث ويكنته المسراشر ويتعقد المعانى ما موقفه من النص المتفوع ؟ ايقتصر

١) من ٨ طبقات حول الشعراً :

يشرب للنمو ، وقد يشق طريقه الى الميدان ، او يكتفي بما اتيح له من قوة الملاحظة وسعة الافق حين درس وجمة النظر الجديدة فيها طالع ودرس ، واذا كانت فالدة القارئ مظيمة فان فالدة صاحب الابر المني اعظم وأدسم ، لأن كل صاحب همل نظري او لمن يحب أن يستطلع آراء المتخصصين فيه ، فهو يشعر في أطوانه برفقة ملحة الى الاستماع لكل ما يدور حوله من وجهات النظر المختلفة ، لماذا صادف ناقد مخلصاً لمدنه فانه يمكن تعصمه بما يبدي من اعتراض او مؤاخذة ، ولن يضيره في شيء ان يحصن الناقد اخطاءه في دقة وتحليلاته اذا لم يجد الناحية تيسيره حين يتعرض بالتحليل الكاشف الى مواطن الابداع في منه وموضع النبوغ في نظراته ، وقد يكون سفيره الى القراء ، اذ يوثق ملامthem به حين ينتفع ميونهم على مناذذ جديدة في انتاجه لم تكن لانتاج للكثرة القارئة دون ناقد نزيه ، وعلى ان من الخطير كل الخطير ان يصبح الاديب تلميذاً لناقد له يخضع لتجوبيه ويرضى بتبول توصياته ، اذ ان من الناقدين من تشمخ نقوسهم الى الاستعلاء فيدعون انهم اساتذة الابداء مع انهم في حقيقة نقوسهم لا يعيشون على غير تراث مؤلاء التلاميذ المزومين ملولاً ان الشاعر او الكاتب قد ابدع اثره المني ما وجد الناقد مجالاً للحديث ؟ وفي الناس من يشترط في الناقد ان يكون اديباً منشأنا زاول الانتاج المني ليكون ابصراً بمضايقته ، وأدرى بمنعرجاته وقد يكون ذلك ميسوراً لدى بعض المهووبين من النقاد ، الا انه ليس امراً عاماً لدى الجميع ، وتذكّر كان الراعي رحمة الله يشترط في ناقد الشعر ان يكون شاعراً ، وهو اشتراط عسير التحقيق من ناحية وغير ضروري من ناحية أخرى اذ ان اكثر نقادة الشعر الجديدين في التقديم والحديث ليسوا بشعراء ولم ينعمهم ذلك من تأليف الكتب الناجمة والمقالات الحاسمة في نن الشعر وما ذا على ان الناقد من الاديب تربّب غير بعيد اذ ان ميدان المنه الادبي هو الانسان والطبيعة فالاديب اما ان يتعرض للنفس الباطنية بما يموج بها من تيار العواطف والشوازع فيمسدّر من الذات الداخلية ناظراً الى العلاقات البارزة لى العملات الاجتماعية والمتناقضات البشرية والمواضيع الانسانية ومنذذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نقوسهم الخالية في فبطة وارياخ ، وأما ان يتمتعون للطبيعة من حوله سامة وناظمة لم يتحدث عن الطير والحيوان ومن النبات والشجر والجماد وسائر ما يدهشنا به الكون من سور ومشاهد متذذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نقوسهم

ويستجيب ، وله ذاتيه التي تدّعوه الى التعامل مع النص تفاعلاً يسير به الى تحبيذه في غزو ما يعلم من المقررات لمنصر الذاتية قریب منه قرب الموضوعية من صاحبه ؟ مليست هناك حدود ماضلة تجعل الناقد الموضوعي ينعزل انعزلاً تماماً عن الناقد الذاتي ، غير اننا نلحظ السمة البارزة لدى الناقد اذا غلب الذاتية على احكامه عد من انصارها واذا غلب الموضوعية عليه كان ناقداً موضوعياً ، ومن غير الاديب ان يوجد الناقد الذاتي والناقد الموضوعي بما ليستكـر الاول ويجدد ويعدو الى آفاق جديدة تليـض بالفضيـاء يـطرد النـمو الـادـيـي وـتـسـلـلـ الـحـلـاتـ الـجـدـيـدةـ عـلـىـ تـنـاسـلـ الزـمـانـ ، أما النـاـقـدـ المـوـضـوـعـيـ نـيـقـطـ حـائـلـاـ دونـ الشـطـطـ الـجـامـعـ ، وـحـاجـزاـ دـوـنـ التـهـورـ فـيـ الرـايـ وـالـإـسـرـاءـ المـفـرقـ ، وـسـيـرـ الزـمـنـ فـيـ دورـتـهـ لـيـشـأـ فـيـ الجـيـلـ الـلـاحـقـ منـ يـزـنـ آـرـاءـ الـذـاـتـيـيـنـ وـالـمـوـضـوـعـيـيـنـ مـاـ ، نـيـرمـيـ بـالـزـيـدـ وـيـقـنـيـ السـرـيـعـ .

وإذا كان نحب الادب ونحرس على الاستبعاد بتصوره والاندade من انكاره والالتذاذ بموسيقاه فان جينا للادب يدفعنا تلقائياً الى حب النتد ، اذ ان النتد يتولى شرح الانفراد الادبي وتحليله بسلط اشنته التوبية على زواياه الخالية ، وبيدي القارئ الى مناخ دقتها قد تغيب عن ذهنها فيجيء ملهم مكملاً لعمل الاديب ، وقد يفسق كثير من المنشئين بهؤلاء النقاد ، ويترمدون بما يبذلون من ملاحظات واذكر اني تسررت تصلة فريدة تهدف الى السخرية من النقاد وتصفهم بالفشل والجذب وتحداهم ان يضعوا اثراً من الآثار الفنية التي يعملون فيها معاولهم المادمة ولعل كاتب القصة من تعرضوا الى نقد متابعي ازمعجه واقلق راحته ، فاندفع يثار لنفسه من يوم يحملون معاول الهدم وادوات البناء مما ، لأن الناقد حين يهدم اثراً لينجنبها من يزاول الانتاج وهو في الوقت نفسه يدل على طريقة الانتشاء الجيد هادماً بانياً في وقت واحد وكل ناقد يعمد الى الهدم لقط دون ان يشير بالعلاج المسدد لا يؤدي رسالته كما يجب ان تكون ، والقاريء ظاهر حين يقرأ النص ثم يطالع نقده لانه حين ترا الشخص منه خرج منه لا محالة بذكرة ما دقتها او الطبيعة في نفس كل قارئ يقرأ ويحكم ماذا ترا بعد ذلك نقداً جيداً لهذا الآخر ، فإنه يوجه الى ما قاله لدى قراءته الاولى من ملاحظات وربما دفعه الى نهج يلتزمه عند القراءة لتنمو في نفسه بذرة ناقد حبقـيـ

الفنية في فبطة وارتياج ، وأما أن يتعرض للطبيعة من حوله سامة وناتفة فتتحدث عن الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجبل وسائر ما يدهمنا به الكون من صور ومشاهد متغراً من هذا المحيط الراهن مسرحاً بديعاً لخياله الحال ، وهو في نظريته الداخلية والخارجية لا يعد للنادل شيئاً غريباً عنه ، فهو إنسان مثله يرى ويحس ويتصور ويعكم ، ولكن ماته ابداع المصور المنشئ فلديه ابداع الحل الشارح وقد تكون المقالة التندية باسجام بنائها وتسلسل افكارها وابعادها لافتاتها وسر ابعامها ذات متمة وجاذبية لدى المذوقين .

ولكن اي نادل الذي يمتلك بنته الادبي كما يقتننا بنظره الفكري هداً اثنا تقرأ كل يوم في الصحف والمجلات – حتى الرسمية منها – لصولاً ترسم بسمة النقد الظاهري ولكنها لا تؤدي وظيفته الحقيقة نكم من نادل يتعرض الى نقصة او ديوان او مؤلف ملا يلتج الى خواصه ولا يفسر مراميه – مخالف او مزيناً – بل يكتفي بعرض ما لم يلم به من يقرأ مقدمة المؤلف في كتابه ، حتى قبل لكل موظف في مجلة او صحيفة انه يستطيع أن يكون نادلاً ، وقد يكون عرض ابرواب الكتاب والاشارة السريعة الى مضمونه مما يزيد القارئ بعض الامانة ولكن صاحب هذا المعرض لا يمت الى النقاد بسببيونيق مما اخذ مظهرهم الخارجي في حديثه ونهن نشعر الان بانخفاض المستوى الادبي في التأليف مما كان عليه في حقبة قريبة ، وبرد ذلك في بعض اسبابه الى فسحة النقد الادبي ، وقد النادل الموجه ، الذي يملك التقدرة على التدريس والتوجيه ، وليس المطلات المروضة في هذا النادل المسدد بالازم العجز ، فهي مما يدخل في طوق نفر من المهووبين لو تركوا الكسل الوداع ونشطوا الى العمل الدموب .

وأول ملايين النادل الهدف قوة البصيرة المستند الى الذكاء الابداعي ، فهو مصاحب الرأي الممتاز في صنوفه ما تتجه المعنون الممتازة من بيان ولابد ان يجد لديه من النادل والعمق ما يسعنه بالتأشير الهدف ، واللاحظة التقوية كما يمهد برصيد هي من التجربة الفنية والدرامية الشخصية بالبواهث والغايات، وبلغ ذلك كله من نفسه التي تتوهج بالتفكير وتترعر بالعاطفة والاحساس والتصور وتلك ذخائر تميزة يلمسها صاحب الاستعداد الاصيل في نفسه ليحصل بها الى ما يريد من التقييم والتقويم .

وهذه البصيرة المستندة الى الذكاء في حاجة ماسة الى الاطلاع المستمر على احدث ما يجد من النظريات والآراء الدائرة في محبيه الفني ، لأن سمة المرأة تفع آفاق النظر وتسلح مصاحبها بأسوى مده الماضية ، وكلما زارت هذه المرأة منحت جناح مصاحبها ريشاً يعلق في آفاقه التراجمية ، وإذا كان نرى الان بعض من يدأبون من النقاد على الاطلاع ويحرصون على انتطاك اثنين الشمار من العمل العلمي ثم لا يلتفتون باطلاعهم الواسع ما يريدون من مدق النقض وكمال التوجيه بذلك لأن الاطلاع والواسع وان تنوعت رواده لا يهدى النادل اذا عدم البصيرة . القوية المستندة الى الذكاء الابداع ، اذا ان هذه المعرف المختلطة اغذية جيدة تفيد الجسم اكبر مائدة ولكن على شريطة ان توجد الاسنان القاسية والمعدة الهاضمة بحيث تحول الى دم حار توقيع يفتح الجسم نشاطه ويجدد انسجه وخلياه بالذين يمعنون في الاطلاع الدائب دون ان يتسللوا بالذكاء الابداع والخبرة الحسينية لا يعطون الصورة الابدية للنادل المشود .

وتأتي بعد قوة البصيرة وسعة الاطلاع مدة ثلاثة للنادل الجيد وهي تجربة الخامس من ميلاده الذاتية واهواله الشخصية بحيث ينسى مصيبته لما يعتقد من مذاهب حين يتجه الى النص بالنقض اذا ان هذه الميول الخاصة تضع على العتائق ستاراً يحجب كثيراً من لألائتها الساطع ، وتحزن نعلم ان الاتصال الادبي خلق عزيز المنازل لا يرقى اليه غير ذوي العزم من أصحاب البداءه النبيلة ولكنه على صعوبة مثاله موجود متحقق لدى قلة ترسم به وتصدر منه فيما تدللي به من الاحكام ومن هرالب النفس البشرية ان صاحب التعمق الذهني قد لا يلتقط في بعض احواله الى تنصيبه بل يتجه اليه لا شعوريا تحت تأثير موامل قوية بعيدة الغفاء في منطقة العوامل الباطنية فهو صادق بينه وبين نفسه حين يعلن اليك تجربة التزير في نتجه اذا اردنا بالصدق موافقة النقد للاتجاه الشعوري في رأي النادل ولكنه غير صادق حين تحلل اعبائه الدبلومية التي قد يجعلها جهلاً تماماً لندرك ما القوى التعمق على مبنية من فضاء ، وعلى القاريء ان يدرس نادله دراسة وافية ليعلم مذاهبها التي يمسك بها في مختلف المآئين الرأي من سياسة وادبه واجتماع ما دام يصدر عنها لا حالة ، فالتعصب المذهبى كان ولا يزال مما يضع المهاوئ الكلية دون الصواب الصريح اذا ان صاحب الاتجاه الدينى او السياسي او الاجتماعي لا يستطيع التخلص من مبادئه

مجاملا ، بل نريد أن يكون هذا الود الإنساني مدعما إلى تفهم الآخر على حقيقته من ناحية وماملا على تبول المتفوّد له وانتقامه بها يحمل من تسديد وتوجيه، مما أفسر بالفقد في حديثه وتدبيه غير قوم رأوا الاستعلاء والسيطرة بباب المأخذة والتفضي شنوا حربا طاحنة كان الأولى أن تكون مسامرة هادئة حتى لقى وتر هند الناقدين أن الشدة العنفية هي طريقة التصويب والتقييم ، كما انتقلت المدوى إلى جميرا الفراء ماخذوا يتبعون أصحاب القسوة المفرطة معججين ، وقد تتعجب حين ترى بعض المترممين في ميدان النقد قد نالوا بسلطتهم المفرطة ما لم ينزله الشرفاء من أبناء الكلمة وأرباب المدوء المتن وان كان مع هذه الجمرة المشغوفة بتسوّة النقد قلة منصلة تنفر من الضجيج المفتعل ، وتسد آذنيها لدى الفرقعة الصاخبة ، وهي طائفة المستثيرين من ذوي النظر البعيد ، ومن الحظ الحسن ان يكون هؤلاء على قلتهم اداة الترجيح الحتيّة في المعركة اذ يتولون نيساعون .

ونحن في مصر تقدّمتني العلوم الإنسانية فتشعب نروهاها واتسعت ميادينها وأصبحت تهدى المثقف المعاصر بزاد دسم يعيشه على النظر الثابت والمكر الصحيح، وإذا كان الناقد مازما كل الالتزام ان يلم الماما حسنا بخبر ما ينتجه الفكر الإنساني من علم وفلسفة، لتسع آفاقه الفكرية ، فقد شهدت المارك الأدبية في هذا المهد نقاشا حادا حول ملة هذه العلوم الإنسانية بالفقد المعاصر ، فذهب فريق من الكتابين الى تقدير النقد ودعمه على أساس عملية ترتکز على هذه العلوم بمعنى أن تكون من علوم النفس والاجتماع والجمال أساس مالحة للنظر النقدي الا ان عالم النفس حين يلم بالنفس الإنسانية ويعلم نوازعها المباينة وتياراتها المصارعة وما تسببه المقدمة النفسية من صراع ، وما تمثله الغرائز من أهواء ومبولاته يستطيع على نهوض هذه المعرفة النفسية ان يجعل النص الأدبي تحليلا ييرز مكان التوّة وأسباب الضفت في جملته وتنتميه، كما ان عالم الاجتماع حين يرمي موقن الأديب من مجتمعه واثر المجتمع في تكوين الأديب وثوابين مشاربه، وتنازع اهوانه فإنه يلمس اثر ذلك فيما قدم من انتاج ادبى ، وربما التمس له بعض العذر في ما يخالف وجهة النظر العامة بعض المخالفة ، وكذلك عالم العمال الذي درس أصوله والمن بتاليه ومرف مدّى ما توصل إليه في البحث من حاسة العمال وميزان الشيء الجميل شأنه بتاليه الجمالية يستطيع ان يزن القدر الأدبي ميزانا علما لا تقبل به النساج

الذكرية في سهولة مفرطة ليجعل الى الحكم النزيه على اثر أدبي لا يرتضي منحاه وفي تاريخ النقد العربي امثلة كثيرة لشيوخ يعتقدون مذاهب خاصة في الحديث والقدم تصل متولهم من التكثير الصحيح ، لهناك من يتصبب للجهالين وحدهم ، ولا يكاد يصل فغيرهم في مجال الاستشهاد وهناك من يفسح مدره لمضم الاسلاميين والاميين الى دائرة رضاه ويقت موقن السخرية مما احدثه ادباء العباسية من انتاج ، كما وجد ايضا من شيوخ النقد الديم من ينزع منه رداء التنصب ، وينظر الى النص الادبي نظرة مجردة من التنصب لاتجاه معين يصدر عنه فيما يتول ولعل ابن تبيه قد انسح من نفسه ومن غيره حين تزال في كتابه من الشعر والشعراء : « ولم اقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من تلد او استحسن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتكلم منهم بعين البخلة لتقديمه ولا المستاخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل الى الفريقيين واعطيت كل حظه ووفرت عليه حظه ثانى ورأيت من علمائنا من يستجده الشعر السخيف لتقديم ثالثه وبضممه موضع متخيه ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه تبل في زمانه ورأى قائله ، ولم يتصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا متسوحا بين عباده وجعل كل قديم منهم حديثا في مصره ، وكل شرف خارجية في اوله ، لقى ذلك كان جريرا والمرزدق والاخطل يعدون محدثين ، وكان ابو عمرو بن العلاء يقول لقد نبغ هذا المحدث وحسن حق لقى هممته بروايته ثم مار هؤلاء قدماء عندنا ببعد المهد منهم وكذلك من يكون من بعدهم لن بعدنا كالخريسي والمعابي والحسن بن هانئ وكل من اتى بحسن من قول او عمل ذكرنا له واثنينا عليه به ولم يرقمه هندا شرف صاحبه ولا تقدمه » .

ولابد ان نشير الى ملة رابعة للنائد العيد وهي الصناء النسبي الذي يطبعه بطباع المدوء السوادع وينفعه اعتدال المزاج ، واطمئنان الاعصاب فلا يثور لمحالفة او يهتاج لنتيجة بل ينظر الى الاثر نظرة الحكيم العالم بالبواصع العطوف على الإنسانية في ضعفها وكبوتها ، فهو مع النص المتفوّد دارس متزن يعرف دوامع القول ، ويلقن مصاحبها بابتسامة الود حين يشرح وجهة نظره ويضع نفسه مكانه مصورا ما اشتهر في مدره من الاحاسيس حين رسم خلجانه في ما قدم من انتاج ، ولا نريد بذلك ان ينقلب النقد تجريطا

معهم في أن النقد الأدبي يجب إلا تكتدر مشاريعه بهذه التفصيمات النظرية والمصطلحات العلمية بل يظل في مستوى النفي وأصحابها مشرقاً يخاطب الذوق والعقل والمعاطفة دون فشأ ، ولدينا المثال البارز على نساد التبرير العلمي في مجال النقد الأدبي بما نعرفه من انحدار علوم البلاغة في مهودها الأخيرة على يد العقبيين من أمثال السكاكي والتزويني والسعدي وغيرهم من جانب مذهب عبد القاهر في الاستثناء الذي المستند إلى الموهبة البينانية والخبرة الأدبية إذ أن مؤلِّف العقبيين جعلوا من بحوث البلاغة الأدبية مجالاً للمنطق والفلسفة ثم خلف من بعدهم خلف نظر إلى هذه الباحث نظرة المحاكمة والتبرير مختلفاً البلاغة خنتاً فيما كتبوه من متون وحواشٍ وتقريرات؟ فالرأي الفصل فيما نسب من هرّاك حول هذه العلوم الإنسانية أن يلم بها الناقد المما يزيد من ثقافته ومتنه على أن يبتعد منها كل الابتعاد في مجال التطبيق الأدبي الذي يفت أمام النص النفي وجهاً لوجه دون ستار ، وقد ذهب معارضو اعتماد هذه النظريات العلمية في مجال النقد الأدبي إلى الاستشهاد بآثار إساطين النقد الأوروبي مثل لاتسنون الفرنسي حين يقول فيما ترجمته عنه الدكتور محمد مندور « إن الامطلاع العلمي عندما نتلقه في الأدب لا يلقي غير ضوء كاذب ، بل يحدث أن يلتقي ظلمة ، وأحسن في الروح العلمية موتك أولئك الأدباء الذين لا يدرون بناء أي شيء على أنموذج غيره ، بل يتصرفون هم على رؤية الواقع الداخلية في مجال بحثهم ، والعنور على المباريات التي لا تختلف شيئاً خارجاً عنها ولا تضفي إليها إلا أقل ما يمكن والشيء الذي يجب أن تأخذ منه الطبع ليس كما قال مردريك وهو هذه الوسيلة أو تلك بل روحه ». وإذا كان الدكتور محمد مندور في طليعة من نادوا بالإعتماد من اتحام العلوم الإنسانية في مجال النقد الأدبي فقد أيد وجهته بما ترجمه من إسائة النقد في فرنسا من مقالات وكتب تناولت هذه المسائل ، كما لم ينس أجداده العرب حين بحث من آتوناهم المتعلقة بهذا الموضوع نقل من ابن قتيبة قوله في مقدمة « أدب الكاتب » (1) . ولو أن هذا المجبوب نفسه الزاري على الإسلام برأيه نظر من جهة النظر لاحتفاء الله بنور الهدى ونلحظ البعين ، ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاباته وفي علوم العرب ولغاتها وأدابها

الغاصة في شيء ، هذا ما ذهب إليه فريق من الباحثين وتطاعنوا من أجله مع فريق آخر يرى أن الدعوة إلى تعميد النقد الأدبي ودمجه على أساس علمية ترتكز على العلوم الإنسانية خطر داهم بحيط بالنقد الأدبي ، لأنه يصرف الناقد من الذوق الفني الخامس إلى المصطلحات علمية تلتف على دراسته ظلمة بسيمة ، لا تسعد على ارتقاء ذوق أو تفهم احسانات أذ يرون أن محل الناقد الأول هو دراسة النص الأدبي وتفسيره في لغته الأدبية المتذوق بحيث يكت الناقد ليسجل خواصه الذائية محللاً ممسراً دون أن يتمالء بمصطلحات تتف كالصخور الثقبة في طريق القارئ دون جدوى . هذا بعض ما تنازع حوله الفريقان باذلين جهودهم الشاقة في التدليل والتعليل ، م أصحاب الرأي الأول يرون أن العلوم المختلطة تتضاف وتتمتد لتقدم للذهن البشري غداً يسد نظره وينير طريقه ، ولا بد من الالام بها لنصل إلى الحقائق الأدبية دون انحراف ، لأن العصر الحاضر هو مصر الدراسات التجريبية في كل مجال ولا بد أن تطبق هذه الدراسات على الإنسان ليفهم على شوئها من تراجع الناجحة وبواسته خواصه ، وذلك مما يدفع إلى تنفيذ الناقد ثقيقاً بصيراً ، لترتفع البحوث الأدبية إلى المستوى النجمي ذي القواعد المطبوعة ، والموازين الدقيقة ، أما الذين يخالفون ذلك لهم فرأي دماء التنقيب العلمي انفعاليون لا يصبرون على بحث يسرعون إلى الاستجابة إلى تأثيراتهم السريعة عند القراءة العاجلة مما يدفعهم إلى الشطط في الحكم والانحراف عن الجادة ، ولن يكت أصحاب الرأي الثاني عن خصومهم ثواباً يقولون إنهم ينسون وظيفة النقد الحقيقية وهي دراسة النصوص الأدبية ، وتحديد كل معنى وكل لفظ مع ايفاع ملة الانكار وأرتبطها وملامة الشكل للمضمون وكل انعام للمعارف الإنسانية على هذه الدراسة مما يسمى بالناقد من ميدانه ، ولسنا نقول بعدم جدوى هذه المعارف الإنسانية للناقد فهي توسيع مداركه وتنسر فوائمه دون نزاع ، ولكننا نقول إن اتحامها في النقد مما يطمس بريته ويضعف تأثيره وهم بذلك يتناقضون مع أصحاب الرأي الأول في جدوى هذه الدراسات كقاعة عامة للناقد ، ويختلطون معهم اختلاماً يصل إلى حد الفساد والمعنى في محاولة استخدام مصطلحاتهما العلمية وأساليبها النظرية في عملية النقد ذاته ، ونحن

(1) النقد النجمي عند العرب لمندور من 27 - النقد النجمي ص 115 .

ويرأمة اللّفظ يزيد المعنى المكتشوف بهاء وحسنًا ورونقًا حتى كانه أحدث فيه فرارة لم تكن وزيادة لم تعمد وذلك مذهب البحتري » .

و واضح أن الأيدي يتحدث هنا عن الشاعر لا عن الناقد وقد يظن ظان ان الاستشهاد في غير موضعه ، ولكننا نقول ان النقد الادبي في حقيقته الاصلية – عمل ادبى كالشعر ، وكاتب النقد كناظم القصيدة يجب ان يقدم نقاده واشحاح شاعرها بعيداً عن غموض العويس من اللغة والدقيق من المصطلحات ، اذا كان للشاعر ان يشقق بالدراسات الإنسانية كما يشقق الناقد ما ممطلاحت هذه الدراسة لا يجوز ان تنتقل الى الكتابة التقدية سواء سواء .

و اذا كان نعرف ان النقد الادبي يقوم على الذوق المستشف البصير بعرقي النبوغ ومهاري الفمعن في الآخر الادبي ، فليس لكل قاريء ان يقيم من ذوقه الخاص نناندا مصدر الاحكام الادبية ويوزعها ذات الشمال وذات البين كما يشاء ، ولكن صاحب الاستعداد الفطري بالطبعية والمكتسب بالقراءة والموازنة وسعة الخبرة هو الذي يستطيع النناذ الى النص الادبي تحليله وتفسيرها وحكمها ، وهو قادر على ان يندمج فيها يترا اندماجاً يوحى له بكل ما يعن من تقدير او مؤازحة ، مستعيناً بمعاناته ومقته وحسه على اداء وظيفته التقدية ومستجبياً الى هواه نفسه فيها توحى به من ارتياح او نفور ، ولنق ما ادى اليه تمرسه الطويل ومواولته المستمرة في محيط العمل الفني مذوق الناقد لا يقت به هند مجرد الاستحسان او الاست Mehjan بل يهديه الى حبيبات ما يصدر من حكم يمكن وراءه الذهن الصافي والقريحة الخصبة والحس المعيظ لاذق الغلجلات وابعد اللوامح ، ونقد يخالف الناقد الذواقة زميله الذواقة في حكم ، ويكون كلامها صحيح النظرة سليم الاتجاه لأن الحلبة الادبية تتسع لاكثر من اتجاه ، ولأن الطبيعة البشرية تلترق في مدى الاستجابة وقوة الابعاد ولنق ما لا ينس الناقد من خبرات قد تختلف في بعض تجاربها من خبرات زميله ، ومن هنا تجد الناقدان الكبارين يحكمان على القصيدة او المسرحية او المقالة بما قد تتفرق به الاتجاهات ، ومن البعيد ان يصلح الاختلاف بينهما درجة الفساد والتباين وان وقع ذلك فهو من الندرة بحيث لا يمثل تائدة مطردة اذ ان المسلم به انه توجد مع موامل الغلوك عوامل أخرى للاتفاق تحول دون الفساد الصريح ، انما يكون هذا الاختلاف بين الناقدان

منصب لذلك وعدها وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولا يشاه المسلمين وقتل فيه المناظرون له ، ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يقول بلا جسم ماذا سمع الغمر والحدث الغر قوله ، الكون والفساد ، وسمع الكيان والاسماء المفردة والكينة والكببة والزمان والدليل والاخبار المؤلمة ، راعه ما سمع وظن تحت هذه الالتباس كل فائدة ولطيفة ماذا طالها لم يحل منها بطائل ابداً هو الجوهر يتم بنفسه ، والعرف لا يقوم بنفسه ، ورأس الخط النقطة ، والتعلة لا تقسم ، والكلام اربعة ، امر وخبر واستخبار ورغبة . ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي الامر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر . والآن حد الزمانين مع هذين كثير ، والخبر ينقسم الى تسعة آلات وكذا وكذا مائة من الوجوه ، ماذا اراد المتكلم ان يستعمل ببعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالاً على لفظه وقيداً لسانه وعيها في المحال وغللة عند المناظرين » ، ولن نعلق على نقل الدكتور مندور عن ابن قتيبة بشيء سوى ان صاحب « ادب الكتاب » قد ذكر ما يدور من اصطلاحات العلوم في عصره مما تداوله علماء النطق والفلسفة والكلام من امثال الجوهر والعرض والكيف والكببة ، وكل عمر مصطلحاته وتواعده ، فما يذكر اليوم من مصطلحات علوم النفس والاجتماع والجمال شبيه بما دار في عصر ابن قتيبة من غواصات التعربيات ولم يكتفى الدكتور مندور بتقول ابن قتيبة بل عزره بما ذكره ابو القاسم الامدي في الموازنة بين الطالبين حيث قال بعد نقل متشعب :

« اذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة – طريقة السهولة والوضوح – وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعاني من مسلسلة يونان وحكمة الهند ، او ادب الفرس ، ويكون اكثر ما يورده منها بالفاظ متصلة ونسج مضطرب ، وان اتفق في تساميف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليمه تلنا له تد جئت بحكمة وملسلة وممسان طریعتک حسنة ما شئت دعوناك حکیما او سیناک نیلسوما ولكن لا نسمیک شامرا ولا ندموك ادیبا لأن طریعتک لیست على طریقة العرب ولا على مذاہبهم ما ان سیناک بذلك لم تلتحك بدرجۃ البلفاه ولا الحسینین الفصحاء ، وینبغي ان تعلم ان سیوه التالیف وردیه اللّفظ يذهب بطلاؤ المعنى الدقيق وینسدء ویعمیه حتى يحتاج مستمعه الى تأمل وهذا مذهب ابی تمام في معظم شعره ، وحسن التالیف

مداد علم البيان على حكم الذوق السليم الذي هو اتفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب وان كان فيما يليه عليك استاذًا واذا سئلت مما يتلخ به قيل لك هذا ، ننان الدرية والادمان اجدى عليك نفما ، واهدى بصرًا وسما ، وهما بريانك الخبر هيانا ويجمسان مسرك من القول امكانا ، وكل جارحة منك قلبًا ولسانًا ، فخذ من هذا الكتاب ما اعطيك واستبسط بامانتك ما اخطاك ، وما مثلني فيما جهدته لك من هذه الطريق الا كمن طبع سينا ووضعه في بيتك لتناول به ، وليس عليه ان يغلق لك قلبا مان حمل النصال فليس مباشرة القتال .

هذه خطرات أمهد بها للحديث من النقد العربي في اطواره المتعابنة لنطعنى القاريء أصوات تهديه في ارتياح طريق متدة الشعاب ، وهي بعد خلاصة مركرة لبعض ما يدور حول هذا الفن من آراء تشفل النقد والناثدين .

الكبارين غالبا في درجة الحكم ونسبة فهو يترجح بين الحسن والاحسن او العيد والاجود او الشعيب والاسعد ، وهذا حين يكون النقد فيها تأثيرها لا مذهبها ، مقائدها حيث يلتزم الناقد باتجاه ديني او اجتماعي او سياسى يدعموا اليه ، فمن الممكن ان ان يصل الخلاف بين الناثدين الى درجة التضاد ، ومن حسن الحظ ان النوس أصبحت تضيق بالنقاش المذهبى في مجال الادب الخامس ، وتراء عامل تنصب لا يهدى الى الحكم المجرد النزيره انسا النقد ذوق خالص مثقف يستوحى النص دون تقييد او تضييق ، وهذا الذوق هبة عليا تمنع لذوي المواهب وتصقل بالقراءة والنظر والتمرس البصير ، وبهمنا ان ننقل عن ناقد عربي كبير رأيه الخاص في تقدير الذوق الموهوب وارتياح النقد الادبي عليه ارتيازا يجعل كل تعليم دائم لا يكاد يغنى منه شيئا ذلك هو ضياء الدين بن الاثير حيث يقول في مقدمة « المثل السال » « اعلم ايها الناظر في كتابي ان



# الْحَضَرَةُ الْأَكْثَرُ مُهِمَّةٌ

## بَيْنَ الْمَاضِيِّ وَالْمُسْتَقِبِ (١)

الرَّئِسُ اَخْرَجَ اَمْرَأَهُ اَمْرَأَهُ اَمْرَأَهُ

اذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المنهى التارىخي واعتبر الحضارة خاتمة العمران فان مفهوم الحضارة في العصر الحاضر قد امتد الى الوان من المعنى ، هي ابعد واسع مما رواه ابن خلدون في عصره ، وفي بيته العربية في انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدنى من البدائية الى الحضر .

ولن كان بعض العرب القديمان قد استعملوا لفظ « مدنى » بمعنى « اجتماعى » فان مفهوماً آخر ظهر واتصل بها ، اصبح الان يعرف باسم المدنية .

وابن خلدون نفسه كان سباقاً ايضاً في هذا المجال النظري فاستعمل كلمة « التمدن » وكان يعني بها « التحضر » .

على ان تلك المفاهيم اللغوية اتما نشأت في بيته العربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البدائية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا في جهات قليلة جداً خارج العالم العربي .

ولذلك فان لفظ الحضارة في مفهومه العالى ومفهومه الحديث المعاصر بصلة خاصة قد اصبح اكثر اتساعاً مما كان يدل عليه في مفهومه الفلسفى والتقليدى وإذا كان اصل معنى الحضارة « بفتح الحاء وكسرها » الاقامة في الحضر . فان المعاجم اللغوية الحديثة تعرف الحضارة في استعمالها المولد

بنزار الاسلام بأنه دين الحضارة الانسانية الكاملة ، بمعنى انه كان منذ نزوله دين مبادلة ودين معاملة .

وانه انشأ لوناً من الحضارة عرف باسمه . وهو الحضارة الاسلامية .

ومفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية الاسلامية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة في اللغة العربية انها : -

تعنى حياة الحضر والاقامة الثابتة في المدن والقرى وعكسها البداءة . وهي حياة التنقل من البدائية . ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البدائية وحياة الحضر منذ كانت بادية وكان حضر .

وكان اول من تصدى لهذا التمييز على اساس من الدراسة والتسجيل والتحليل العلمي هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون . بل ان هذا العالم العربي هو اول من عالج شئون الحضارة بطريقة علمية تحليلية .

على انه اذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على انها ذلك الخط من الحياة المستقرة . والذى ينافق في مضمونه البداءة . فيبني على القرى والمدن وبصفتي على اصحابها فنوناً منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والسلم والصناعة وادارة شؤون الحياة .

## نام وروحانية صالحة واعتزاز بالمثل العليا والقيم الأخلاقية الرفيعة .

نان واتع الامر يبين للدارس والباحث والمنكر ان الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها ومناصرها وجودها واسباب نمائتها من الاسلام ذاته .

وادا كان ظهور الاسلام قد سبق في الجريمة العربية وما جاورها حضارات اقدم منه . كما سبقته ايضا في البلاد التي انتشر فيها الوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلي او الاقليمي .

نان الاسلام يعطيه الدالية استطاع ان يصنفي على البلاد التي شملها لونا مشتركا من الفكر الديني والحياة والمعاملات وال العلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية حتى اصبح هناك قدر حضاري مشترك بين المسلمين في مختلف الاقطار وببلاد الدنيا .

### دعائم الحضارة الاسلامية :

١ ) ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فاعلة بل ان فاعليته في هذه الناحية شمات حياة الافراد والجماعات من جميع الجوانب . فهي ثورة روحية وثورة في العبادة والتغوس وثورة في الحياة العملية والمعاملات . وثورة في النظم الاجتماعية بل وفي نظم الحكم وصلة العاكم بالمحكوم وكذلك في تشرعيات الجماعة والاسرة .

والشيء المهم في هذه الثورة الفاعلة انها كانت اصلاحا جديدا يمس اساس الاوضاع في حياة الناس .

٢ ) ان الاسلام كان منذ يومه الاول دين دعوه له رسالة يجب على المسلمين ان يبلغها الى الناس كافة . وكانت حياة الشعوب واتصالاتها قد اهلتها لان تتلقى الرسالة الاليمية التي فرضت على اصحابها ان يبشروا بها بين الناس شرقا وغربا . . . ونكرة الدفوة في العقبة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار في النطاق المتمالي وبالتالي تمكّن الاسلام من ان ينشر طابعه الحضاري كمقيدة وكتنط للحياة .

٣ ) كان الاسلام دينا سهلا في مفهومه ولا يركب في مقتداته ونظمه وتعاليمه وكان في الوقت

المطاء بانها : مظاهر الرقي العلمي والفنى والادبى والاجتماعى والاقتصادى فى الحضير .

وقد يكون من المفيد معرفة مفهوم لفظتين اخريين لهما في الحياة الانسانية شأن كبير واسع واضح . وهما : الثقافة والمدنية .

فأصل مادة التثقيف في اللغة العربية : التشذيب والتهذيب والتقويم والحدق والقطانة والماجم الغاوية تعرفنا في الاستعمال المحدث بانها : العلوم والمعارف ، والفنون التي يطلب الحدق فيها . ونستطيع ان نقول انها : تشمل كل ما يتصل بالروح والفكر والعقل والدوق والشاعر ، وهي حصيلة الحياة الانسانية في مجالات الحياة كلها : وتجمع انماط الحياة الروحية والفكريّة والتقويمية والادبية والفنية . ولها صورها التي تتمدد وتتلاقي بين الشعوب والتي يتصل بعضها بتراث للانسانية مشترك ، ويحصل بعضها الآخر بحياة جماعات بذاتها دون سواها .

ومادة مدن ومدن متصلة بالمدنية والعيش فيها والأخذ بأسباب الحضارة وقد اصل لفظ المدينة في المفاهيم الجارية بالجانب المادي والفلقري من الحياة . وذلك من حيث مقوماتها الطبيعية ومنظاثتها الملوسة .

وكذلك من حيث الانماط المعيشية في اسماها المادية . وفي صورها المحسوسة في حياة المجتمع . وما يتصل بهذه المظاهر المادية والحسوسة في حياة الجماعة من قوامه ونظم وآداب .

والحضارة بمفهومها الحديث هي : الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة ومجامع الحياة في صورها وانماطها المادية والمعنية .

ويعبّارة اخرى هي : الخطبة البربرية التي يسير فيها تاريخ كل شعب من الشعوب على الارض ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والماصرة ومنها الاطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الانسان او الجماعات الخامسة من مرحلة الى مرحلة .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بانه دين الحضارة الانسانية من حيث تقدیس " حرية الفكر " ، واعتزاز " حرية الانسان وكرامته " ، وتشجيع المعرفة والنظم والمساواة بين الناس في ظلال اخاء شامل ، وفضل

اكثر التصانى بالحياة فى مفهومها العقيقى وصورتها  
الواقة . وفى الوقت ذاته اصبحت العقيدة على  
اتصال دائم بالبناء الحضارى فى مجال المدنية من  
جهة والثقافية والروحية والمقتبة بـل الاجتماعية  
من جهة أخرى .

6) كان الاسلام دين قيم وضوابط سلوكيه مادية ومعنوية . وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الانفراد ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات .

فالاسلام اعطى نظاماً منكاماً للحياة سواء من وجهة نظر الفرد أم من وجهة نظر الجماعة . وهذا النظام شمل علاقات الأفراد وكثيراً من نواحي الحكم ذاته .

وقد يكون من ابرز القيم التي استند اليها نظام  
الحياة الإسلامية فكرة القيمة الدائمة للإنسان .  
واستنادها إلى فكرة المسؤولية الفردية « كل نفس بما  
كسبت ورثة » « لها ما كسبت ولعليها ما أكتسبت »  
« لكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ثم فكرة الأخاء  
التي يجعل الإنسان المسلم يتمنى إلى جماعة  
المسلمين ويحس بأنه مفتوح من اعضاء الجماعة  
السلمة يعمل لمصلحة الجماعة والجماعة تسمى  
للارتفاع بمستوى الفرد . فهو جزء من كل يكمله  
ويكتمل به وبعطيه ويأخذ منه ويحببه ويحتضنه به .

وليس في الإسلام انفصال بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ومسؤولية المجتمع نحو الفرد لأن هاتين المسؤوليتين هما أولى وسائل الإسلام في الإصلاح الانساني العام .

والاسلام من ناحية اخرى اعترف بالقيمة  
الدائمة للآفراد باعتبارهم مدينيين بوجودهم لله  
مسئولي امامه من اهالئم « وقل اعملوا نسيري الله  
عملکم » والاسلام حينما جعل الفرد مسؤولاً من  
امماله والمسؤولية - هنا تقع عليه وحده - الاسلام  
جعل ذلك ليرفع من قيمة الانسان الدائمة وبصل به  
إلى اعمال الخير والقدرة على الدفع والبناء . وفي  
الوقت نفسه الانسان لبنة من لبنة المجتمع الانساني  
يصل لمصلحة الجميع .

والاسلام لا يعترف بالقهرية التي يدفع بها الفرد في المجتمع قسراً ورغم ما منه كما في الشيوعية لأن الشيوعية من الوجهين العملية والنظرية تستثني من الفرد أن لم يخدم غرض الدولة أو أن لم يتبع طريقة العرب دون تناهى .

ذاته ، دينا مباشرا ينصل نبه الانسان بخالقه دون  
وساطة .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اذا سالت فاسأل الله و اذا استمعت فاستعن بالله » وقد كانت البساطة في العقيدة الإسلامية شاملة لاعيادات ، والمعاملات جميعا .

وما نظن دينا يطلب الى الفرد شهادة ابسط من  
شهادة الاسلام على عمها وعظمتها « لا اله الا الله  
محمد رسول الله » بعبارة سهلة رائعة تقف بالانسان  
على عتبة الاسلام موقعا سهلا .

وكان القاعدة الثابتة لدى من يشر بالاسلام ،  
ان الدين يسر لا عسر « ومن هنا كان الاطمئنان  
الروحي والفكري اول ما يستشعره من يدخل في دين  
الله خصوصا وان اعتناق العقيدة كان لابد ان يأتي  
مبشرة دون وساطة او وكالة ، على ائمه من الحق ان  
نذكر ان هذه البساطة لم تنته بالضرورة الى ذلك  
القدر من الرونة الذي قد يشوه التطبيق .

ولم القوم الاصل الذى لم يحمل البساطة  
تنقلب الى مرونة مشوهة ، هو ان الفرقان كان وعاء  
للمقيدة كلها . حفظها على مر العصور واضغى عليها  
الطابع المشترك فى مختلف البيئات وتحت مختلف  
الظروف .

٤) كان الاسلام دينا رحبا يقبل الاجتهاد ،  
ويبدو اليه في حدود اصول المقيدة . وكان يدمو  
الى سبيل المقلل كما يدمو الى سبيل الفمیر  
والحق . ومن هنا كانت الدعوة الى النظر والى المعرفة  
اساسا من اسس الدعوة الاسلامية وكان التفتت  
المصیر مفتاح الدعوة الحضارية .

والاسلام في رحابته الحضارية استطاع ان يمتص الوان الحضارة في البلاد التي انتقل اليها وان يستمجع عليها طابعاً اسلامياً شاملـاً .

٥) كان الاسلام دينا للدنيا والآخرة معا ولن  
هذا قد اختلف من كثير من الديانات والعقائد التي  
ينبع بعضها في ماديات الحياة ثم يضفي عليهما مسحة  
من المبادرة او الفلسفة ويتابع بعضها الاخر في مجال  
الوحدة التحريرية .

وقد ترتب على ما اتصف به الاسلام من جمع بين الروح والمادة انه اصبح دينا رحبا حبا يلائم حياة الناس ومنظور التطور . كذلك اصبح الاسلام

الثالثة . و اوضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى وهو التعليم و راد التاكيد بذكر القام ثم لفت النظر الى الاصل الذى خلق الله منه الانسان وهو الملق و في قوله تعالى « علم الانسان ما لم يعلم » ما فيه من مكتنون اسرار هذا الكون مما سبّر فه الانسان مبر مسيرةه في هذه الحياة و حتى نهايتها .

واول قسم في القراءان اقسم به رب العزة في ثاني آية نزلت بعد الامر بالقراءة صدر بحرف من حروف المجهاد وكان بالقلم وبما يسيطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون » فاول سورة نزلت من القراءان سورة العلق ومن العلق يخلق الانسان وكانت السورة الثالثة في النزول بسورة العلق هي سورة القلم « وبالقلم يكتب ويتعلم الانسان » .

فانسانية الانسان لا تكون الا بالخلق ولا تتم الا بالعلم « الرحمن علم القراءان ، خلق الانسان عنده البيان » .

وما الطف قول الشاعر :

اذا انخر الابطال يوماً بنيهم  
ومددهم ما يكتب المجد والكرم  
كفى قلم الكتاب مجدًا ورقة  
مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم  
  
والقراءان دالها يهتف بالانسانية « وما اوتيس من العلم الا قليلاً » والقراءان يرفض ان يقف بالعلم عند حد بل يفتح للانسانية باحة ليس لها نهاية .

ولقد وضع الاسلام القواعد السليمة لوزن المعلومات . و تمييز صحيفتها من زائفها فقرر ان المسائل لا تأخذ طابعاً علمياً ولا ترقى الى درجة معلومات الا اذا قامت عليها بينة واستندت الى دليل ومن ثم كان القراءان ينادي دالها « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ، « هل عندكم من علم فتخرجوه » « التوبيخ بكتاب من قبل هذا او اشاره من علم » « ولا تخف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والغواص كل اولئك كان منه مسؤولاً » .

وهذه الآية الاخيرة تنهى من اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية او رؤية بصرية او براهين عقلية وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في المقلبات والسمعيات والمحسوسات .

7 ) البيئة بعواملها المحلية و موقعها الجغرافي قد ساعدت على اعطاء الحضارة الاسلامية ما كان لها من طبيع ومن مكانة . ولقد كانت جزيرة العرب ذاتها منطقة وصل بين اطراف العالم هذه ملتقى القارات الثلاث في العالم القديم . ومن شواطئها تمتد بحار الشمال بادلة بالبحر المتوسط ، وبحار الجنوب بادلة بالبحر الاحمر والخليج العربي . وقد كان عدم اتصال المياه بين الشمال والجنوب سبباً في ان شبه جزيرة العرب كانت نقطة تغيير في وسائل المواصلات وفي ظهور دور الوساطة الذي كتب للعرب ان يقوموا به ولم يكن الامر في ذلك بالطبع مجرد الوسط الجغرافي على اهميته . وانما كان الامر اوسع واعمق .

فهو توسط من ناحية الطبيعة البشرية ، ومن ناحية السنوك الانساني ، ومن ناحية الاعتدال ، في كل ما يتصل بالمادة والمعنى في الحياة . وهي امور اتصلت كلها بطبيعة البيئة العربية . ومن هذه البيئة الوسط انتشر الاسلام شرقاً وغرباً بالبر والبحر على حد سواء .

8 ) القراءان الكريم ذاته وذلك ان القراءان لم يكن كتاب دين ، يبحث على العبادة والتوحيد . وما يتبعها من عقائد ومبادئ وأوامر ونواهي ، كان دستوراً من اعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل الممتدة عبر الزمن وذلك بما تضمنه من التوأمة الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم .

ولقد كان اول اثر من عالاد القراءان في التذكر الانساني اهتمامه الواسع بالعلم وذلك ان العلم اساس التقدم ومرآءة نهضة الامم وعنان حضارتها . وقد كانت نهاية القراءان بالعلم تفوق حد الوصف ، تأمل القراءان وتدبّر ما ياتيه تجده يدعوا الى تحكيم العقل والمنطق في مظاهر الكون واحداث الماضي . والقراءان نفسه مشتق من القراءة والقراءة ادنس مفاتيح العلم للانسان و اول مانزول على محمد عندما كان يتحدث في غار حراء خمس مآيات هي قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

تفى هذه الآيات الخمس بدا الوحي الالهي بالقراءة في اول آية وكرهها مرة اخرى في الآية

فليس هناك معنى من المعاني ولا فكر من الأفكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالأحرف والكلمات تصوّرها صحيحاً حتى المقاطع واسع السمات بارز التسميات .

هذه اللغة فتحت صدرها لتراث الإنسانية الخالدة و MAVAFIR the شرارة الرائمة كما أنسّعت لقومات الأمة الإنسانية الإسلامية التي شرفت بالحضارة وغرت .

بروزت إلى الوجود قوية تتمتع بقوة لغة باللغة اشدها ، فما عرف التاريخ لها طوله وما بدأ إلا لتكون لسان الحضارة الإسلامية في ظلال القرآن .

ولقد اشتراك مع اللغة العربية لفستان آخرين يكتونهما لغتين عموميتين لأنكاري دينية ومقابلية ومذاهب سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة ، وهاتان اللستان هما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

فقد كانت اللغة اليونانية تستعمل من « كمبانيا » في إيطاليا الجنوبيّة إلى الجزر البريطانية ومن نهر الراين إلى جبل الأطلس .

واستعملت اليونانية من أقصى مقلبة إلى شاطئِ دجلة ومن البحر الأسود إلى تخوم الجبنة لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قوبل بانتشار العربية التي امتدت إلى إسبانيا وأفريقيا حتى خط الاستواء وجنوب إاسبا وشمالها إلى ما وراء بلاد التغار فقد استولت لغة العرب الكتابية على جميع أنحاء الشرق الإسلامي .

لقد استوت اليونانية واللاتينية في صف اللغات الميتة منذ بطيء مدينتاهما فما الذي حفظ اللغة العربية حية ؟

قالت الكاتبة « مي » إن الذي كان ياعثرا على قيام الحضارة العربية الإسلامية هو الذي ما زال حافظها إلى اليوم وهو القرآن ، لقد كان الإسلام يرمي إلى التوحيد سواء في الدين والسياسة واللغة .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الإسلام حياً فمن ذا الذي لا يعرف للقرآن فصله في بقاء اللغة العربية حية ؟ ومن ذا الذي يجعل أن اللغة العربية بالالية ما بقى الإسلام ؟ من ذا الذي لا يمترّف بما ادّته هذه اللغة من خدمة للإنسانية وبأنها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضي وحضارات اليوم .

وهذا البیزان الذى وضعه الإسلام يدفع الناس دفماً الى تلمس الادلة . ويمشي بهم في طريق النور والمرارة ومظاهر الكون والرقي .

ولقد دعا الإسلام الناس ان يمعنوا فكرهم في هذا الكون الفسيح وينعموا النظر فيما حوى من عجائب ، ليستغلوا ما حواه من موارد ويستكثروا اسراره واسباب الحياة فيه قال تعالى « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدا الخلق » .

وقال تعالى « قل انظروا ماذا في السماوات والارض » ولم يكتف القرآن بهذا بل ودد كتمة ، العلم ابجيمع اشتراقاتها وتصريفها في سورة وداعياته زهاء سبعيناتة وخمس وستين مرة وهذا وحده يكفي لتقدير المنزلة التي رفع القرآن « العلم » إليها . وكلمة العلم في الإسلام عامة تشمل مختلف قطاعاته وتعدد اغراضه ومراميه .

وهذا كلّه دليل على ان الشخصية الإنسانية لا يرقّبها شيء غير العلم « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والقرآن ملئ بالابيحاءات لتنمية القوى العقبية المضبة إلى النظر في البراهين الدالة على قدراته سبحانه وتعالى الداعية إلى التفكير والتأمل في هذا الكون العجيب الذي يمتليء بالظواهر الطبيعية التي تسير في نظام ودقة عجيبة .

٩) اللغة العربية نفسها هي : من اعرق اللغات العالمية منبتاً واعزها جانباً واقواها جلادة ، وباللغتها عبارة وأثرها مادة وادفتها تعميراً لما يقع تحت الحسن ، وتعبيرها بما يجول في النفس وذلك لمرؤتها على الاشتراق ، ولبولها للتهديب ، وسعة صدرها للتعريب

نزل القرآن الكريم بلسانها فجعلها أكثر رسوخاً وأشد بنيناً والوى استقراراً وبفضل القرآن صارت بعد اللغات مدى واسعها الفتى والذرها على النهومن بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشنه الإنسانية .

واستطاعت في ظل عاليّة الإسلام ، ان تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات وترتفع حتى تصل إلى ارقم احتياجات الناس .

طريقها كالمسخة في مجرى السيل يسم بها ثم يراها ، وليس معنى ذلك أنها ظلت جامدة لا تتطور بل لقد تطورت اطوارا كثيرة بحكم ما تلقت من ثقافات الفرس واليونان والهند ومصر وأسبانيا الالهنية . فوسمتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير وكانت أصبحت نهرا كبيرا تتدالع فيه جداول شتى من المعرفة والتفكير وهو لا ينعرف ولا يغير وجهته بل يجري غزيرا زاخرا متفتتا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود بين الامم والشعوب ، ولقد وحدت العربية بين هذه الامم والشعوب فإذا هي عالم واحد مهما تدانت وتباعدت ومهما شرقت أو غربت .

لغة كبرية انسجها الزمان المطاول واخرجتها الفطرة السليمة والاحساس المرهف والادرك النافذ .

لغة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتتمثل كلماتها خطرات النفوس وتنجلى معانيها في اجراس الانفاس تتمثل في نبرات الحروف كانواها كلماتها نبضات القلوب ومشاعل الحياة ، فالمائني المعنة والمقوله مبينة في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشیاء المشابهة فتشضم للتبه لفظا غير ما وضنه لتبهه ادراكا للفرق الدقيق بينهما فإذا وضمت بعض اللغات لفسرب مثلا كلمة واحدة وضمت العربية كلمات تختلف باختلاف طلة الضرب وموسيقى من الجسم وإذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل حلية في الانسان وكل صفة في مبنية حاجبيه وانقه ولمه واسنانه وغيرها باسماء خاصة وليس هذا مقام التمثيل والتفصيل .

لم هذا الاحساس العاد الدقيق التمثل في المفردات يتجل في التركيب مدهشا ، لكل كلمة لها في الجملة مكان يحسن بها التكلم وان شئت نقل تحس بها الكلمة نفسها لتعطي او تأخذ صوتا مكافئا لهذه المكانة فالكلمة الاصيلة لها انوى الاصوات وهو الصم والآخريات لها الفتح والجر .

وما هذا الا ضررا من الحياة في الالفاظ والتركيب يبين من ادق الاحساس والطفه وإذا اشتغلت اللغات على كلمات هي مادتها ، ففي اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ، ليها مادة وزون تخد المادة او اخلقها او استعرها من لغة اخرى لم سبها في قالب من قوالب الاسماء والانفعال وصورها بالقوالب او الاوزان ، فمن سمع

لقد اندثرت جميع احوالها السامية من ارامية وكنعانية وكلدانية وسريانية وآشورية وغيرها في حين بقيت هي على رغم ما مر بها من مصور الركود وما نشأ ثقبها قوة وحيوية .

انها الرابطة النسبية التي تربط بين اهل البلاد والصيحة الجميلة التي تودعها مكوناتها المقصولة والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسمت مباديء ومثلا مليا لم تفق بها ولم تتكل عن احتمال اهابها بل في ظل حضارة الاسلام مررت وامتصرت وتفامت ونمط نماءها الطبيعي المتتطور من داخلها وهضمت خلابها القوية كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تعلقت واتسعت مآفاقها وانتشرت ظلالها وقضت في دورانها العظيم على كل ما يقف في طريق ابعائها وتفوقها وكل ما يعرقل انطلاقها ويقتل ايجيحتها من التحليق والارتفاع واستطاعت بقوتها الدائبة ان تتشعب الى المهجات الفاضحة وتخرج من كل جولة - جالتها في صراع - بفداء مفید ودماء جديدة وقدرة فائقة وطاقة خلقة .

هذه اللغة دعمها القراءان اذا اخذت تفرض سلطانها في بيتات جديدة في اقطار الارض ولم تمض حقب طويلة حتى هدت لغة الشعوب من اواسط مايسا حتى جبال البرانس في شمال اسبانيا ولم تستطع لغة من لغات هذه البيوت ان تثبت لها او تحول بينها وبين سيادتها .

وقد يكون من اسباب ذلك أنها لغة القراءان وقد يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفني بحيث لم تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيوت ومهمها تكون الاسباب ذاتها اصبحت لغة قوية لام وشمب قد تختلف وتباين في اجناسها وأصل نشائرها ولكنها لا تثبت ان تعيش لها وبها وتحيا فيها حياتها المتنوية الادبية والفنية .

والعربية ما تزال لغة الشرق الاسلامي من الخليج الى المحيط الاطلنطي تتوجه جذورها وترسل اشعتها وشررها الى كل مكان حتى في امريكا تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النازية اقباسا لا تزال تحيى في المجالات والآثار الادبية .

و واضح انها اجيارات آمادا واحتياجا متطاولة من الزمن وقد دلت بها خطوب كثيرة ولكنها وقفت في

ولأول مرة تجد في التاريخ لغة تنشر بهذه التوڑة فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقيّة ولكنها لم تصل إلى أعمال الشعوب ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الأيام في بلاد الشرق ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات غلبتها وتمّقت شعوبيها .

والرومانيون استطاعوا أن ينشروا اللاتينية في المغرب الأوروبي في فرنسا وفي بريطانيا وفي إسبانيا وحاولوا أن يجعلوها لغة منتشرة في شمال أفريقيا فلم يفلحوا .

ولكن العربية استطاعت أن تهُر اليونانية في الشرق وإن تهُر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة في هذه البلاد وإن تهُر اللغة الفارسية نفسها ، ثم إن تهُر اللاتينية في المغرب العربي وفي الاندلس وإن تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلّمها الناس في الشرق والغرب جيّماً .

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغة حديث نحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة ولغة إدارة ولغة الدين وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والإنتاج الأدبي والمعرفي وفي أقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت أن تسع كل النقالات التي كانت معروفة في العصور القديمة .

اسافت ثقافة اليونان على سمعها وسمّتها وسمّوتها واسافت فلسنتهم وفنونهم وطبعهم وفنونهم .

واسافت ثقافة الفرس وثقافة الهند بعد ذلك ثقافات التي كانت متوازنة بين السامية

الفارسية : اداة الفكر العي نقل الناس إليها كتب السماء المترفة مثل التوراة ، والإنجيل والزبور وسائل كتب الأنبياء من السريانية والعبرانية .

ونقلوا إليها ما جاء به الحكماء وسائل ذلك من كتب الفلسفة والطب والتجمُّع والهندسة والحساب .  
10 ) وبجانب هذا وذلك كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية تتصل بالعمر الذي ظهر فيه الإسلام وانتشرت عقبيته . ثم بالعنصر البشري والتكتيكي السكاني للمجتمعات الإسلامية .

ناما من العصر فان الإسلام كان خاتم الأديان السماوية وكان بذلك رباطا لها من الناحية

فاعلا أو مفعولاً ادرك ان هذا الوزن في حركاته وسكناته معنى يلازم في الموارد كلها وبهذا استارت العربية واستبدلت خصائصها حتى نفت من نفسها كل كلمة أجنبية ما لم تخضع لوزانها وتواترها وللasmاء او زان وللأفعال او زان لما لا تزن هذه الأوران فهو أجنبي وبهذا بقيت على الدهر المطالع نقية .

ولقد اختبرها التاريخ الطويل فلم تمحى ولم تعي ولم تتحقق بكل ما ادركه الإنسان من علم وثقفه من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتلاحقة والأمم المختلفة غير كارهة ولا مكرهة .

ولقد اراد الله لها أن تكون لغة كتابه وترجمان وحيه وبلغ رسالته فاستعملت على العالم العصي والمقلي مصورة في كلمات وعبارات وجوزيت على هذا خلوداً ما خلود للإنسان مقل وقلب وما استقام له ادراك واحساس .

وتقلب الزمن وتواتر المعن وثارت اللقتن والعربية ثابتة ناصرة وامحت لغات وخلقت لغات وبذلت لغات وحرفت لغات والعربية هي العربية لم تمح ولم تغير ولم تبدل .  
ما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق العربية لغة العرب وحدّهم بل تفتقها الأمم الأخرى وأولتها من المناية والحفاوة أكثر مما اولت لها أنها أحياناً فشارت لغة العلوم والأداب للعرب وغير العرب حقباً طويلاً ما بين القرب والبعض المشرق ولا تزال على تبدل الأحوال وتواتي الفير لغة أدب وعلم في كثير من الأمم الإسلامية غير العربية .

وما تزال لغات هذه الأمم متّرمة بالفاظ العربية وما تزال تستمد من العربية الحروف والكلمات .

وقد حوت العربية على من العصور أدباً لا تحويه لغة أدباً مواطنة ما بين الصين إلى بحر الظلمات كما يقول العلماء - وزمانه أربعة عشر قرناً من الزمان .

ولا نعرف في آداب العالم قديمهما وحديثهما أدباً انسّمت به المواطن هذا الاتساع وامتّدت به الأعمصار هذا الامتداد .

انتشرت العربية وحدّها بقوتها الخاصة وبقوتها الإسلام وقوّة القراءان وبهذا استطاعت العربية أن تكون لغة عالمية لأول مرة في التاريخ الإنساني .

والالتزام الأداب الفردية والاجتماعية التي تسير بالانسانية الى الكمال والتقدّم

٤ - وفي نظامها الاجتماعي تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على ركائز من المودة والرحمة والاخلاص والاحترام والتعاون والتعارف . وقيام كل راع بمسئوليته .

٥ - وفي نظامها الاقتصادي تقوم على تبادل المنافع والخاد المال وسيلة لا غاية واحترام المكبة الفردية .

٦ - وفي نظامها التشريعي ، تقوم على اصول رئيسية واسعة . وقد تمثلت هذه الناحية في ثروة من الفقه الاسلامي . تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتتمثل فيها حرية الاجتهاد الفكري .

٧ - وفي نظامها الثقافي تعتمد على طلب المعرفة ايا كانت واستخدام العقل في كسب المعرفات وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة . واعتبار الثقافة ايا كان مصدرها ومهدها تراثا عاما للانسانية .

٨ - وفي نظامها التفكري تقوم على حرية الفكر واستقلال الارادة . فلم تنهض العقول ولم تتحرك الا بعد ان عرفت ان لها حقا في طلب الحقائق

ونستطيع ان نصل الى ان الحضارة الاسلامية:

١ - وصلت بين تقديم الحضارات وجدیدها بما حنكت من ثراث الالامين وما اضافت اليه من صنع عبقريتها البديعة الغلابة .

٢ - انتلت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى وانهيار واضطراب في الحضارات واستعباد وظلم اجتماعي .

٣ - اعطت العالم حضارة جديدة تقوم على مقيدة التوحيد في اسبي سورها ومجتمعها جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمي بين الجميع

٤ - اعطت الانسانية ذخيرة حية خلقة من المارف العاد منها الغرب في مصر الاحياء والنهضة ، واعتدت عليهما العالم الاسلامي في بقظته الحديثة وفي بناء نهضته المعاصرة .

التاريخية . كما كان في الوقت ذاته تصحيحا روحيا لصور من البيانات السابقة التي شوهها الزمن . وكان على الاسلام أن يصححها ويتنقّلها ويرد إليها اصلة الفكر التوحيدى .

ولقد كان هذا كلّه مصدر قوة ودنّع للتفكير الاسلامي وما اتصل به من حضارة . وكذلك كان الامر بالنسبة لتصدي الاسلام لمعتقدات غير سماوية .

فهذا التصدي كان الحافر الاصيل للتفكير الاسلامي والنظم الاجتماعية في ان تتحفظ بأسانتها من جهة وان تجدد حيوتها وتوسيع نطاق رحابتها ومرؤوثتها من جهة اخرى .

ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامي مع السوان العضارات التي التقى بها على قوة فثبت كل التحدّيات فانشر طابع الحضارة الاسلامية في فعالية لم يعرف لها مثيل .

ومما يذكر ان قوة الاسلام في انتشاره وتوسيعه عالم حضارته قد تصاعدت بفضل مقوم انساني آخر عظيم هو تنوع السلالات التي دخلت في الاسلام .

ثم هناك ظاهرة اخرى تربّت على كل هذه الجوانب والمواصل وهي ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمني في الحضارة الاسلامية .

ان هذه الحضارة تمثّل بأن كل مقوماتها الجوهرية تتبع من وهي رسالة السماء التي تمدها بالروح والقوة والتماسك . وتوجهها الى الموارنة بين مقاصد الروح ومتطلبات البدن والبعد من الرهان المطل للعمل ومن المادية الجامحة الفاسدة

فالحضارة الاسلامية :

١ - في نظام مقيّدتها تقوم على توحيد الله وافراده بالمبادرة والمعطيات والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة .

٢ - وفي نظامها السياسي تقوم على الشورى والتزول على رأي الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتروّد بكل اسباب القوة والمنعة ، والدّفاع عن مقدسات العقيدة والوطن .

٣ - وفي نظامها الاخلاقي تقوم على خلوص النية وتقدير الشفاعة والتمسك بقيم الخير والحق

ولقد تلمست اوربا انها حضارة المسلمين العلمية فاستقرت من روادها المترفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والزراقة وسائل انواع الفنون الحضارية وبين رجال اوربا بما تعممه في معاهد المسلمين بالأندلس وبما تلقوه من علوم اسس النهضة الحديثة التي ظهر نجعها في القرن الثامن عشر وازدهر في القرن التاسع عشر وتالق في القرن العشرين .

والاسلام بذاته الى العلم هو الذي خرج رجال الحضارة وجهازه العلم واساتذة النسا وعمالقة العلماء امثال :

ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والفرغاني والطوسى والبغدادى والدينوري والرازي والتزوينى والانطاكي والهزاوي والفارقى والخوارزمى والصوفى وجابر والجاحظ وابن البيطار وابن النفيس وابن حيان وابن حمزة والادريسى والسمودى وابن بطوطة وابن زهر .

وهذا ابن الهيثم ( 965 - 1039 ) يبحث في السهل والأودية ويحول فيها طولاً وعرضًا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدججى يسرى على قم الجبال العالية يحدق في الكواكب والنجوم ليحدد افلاكمها ويعرف ابعادها ويقيس محیط الكرة الأرضية بالاجمدة الدقيقة .

وابن النفيس يجري التجارب والاختبارات حتى يثبت ان الدم ليس سالماً مستقراً في الاوردة والشرايين المبثوثة في الكائن الحي . بل هو سائل متحرك يدور في جميع أجزاء الجسم وذلك قبل ان يكتشف ( هارفي ) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسکویه الذي يسبق فلاسفة اوربا وعمرها بثمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهدیب والبیلوجیا .

وجابر بن حيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاصل المواد المختلفة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، وابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول السامة ( الرقاص ) .

هذا كله في الوقت الذي كانت اوربا فيه تعيش في ظلمات العجل والفسوصية والهمجية والتاخر ولم ينقد اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور

5 - وضع بعض اصول المنهج العلمي العدبي كطريقة الشك عند الفرزالي والاطحة بجميع جوانب الموضوع ايجاباً وسلباً . ولقد جاء في رسائل اخوان الصفا دستور علمي ينحصر في ثسعة احكام . وهاهي كما جاءت في الرسالة السابعة :

السؤال الاول هل هو :  
يبحث عن وجود الشيء او عن عدمه

السؤال الثاني ما هو :  
يبحث عن حقيقة الشيء

السؤال الثالث كم هو :  
يبحث في مقدار الشيء

السؤال الرابع كيف هو :  
يبحث من صفة الشيء

السؤال الخامس اي شيء هو :  
يبحث عن واحد من الجملة او من بعض من الكل

السؤال السادس اين هو :  
يبحث عن مكان الشيء او عن رتبته

السؤال السابع متى هو :  
يبحث عن زمان كون الشيء

السؤال الثامن لم هو :  
يبحث عن هلة الشيء المعلول

السؤال التاسع من هو :  
يبحث من التعريف للشيء .

6 - فتحت للانسانية آفاقاً جديدة في البحوث الإنسانية كفلسفة التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون . وعلم الضربات على يد « ابن الهيثم » وأبتدأ مرحلة جديدة في تطور علوم الرياضيات على يد « الخوارزمي » و « عمر الخيام » .

7 - ساهمت بآدابها على نهضة الاداب في اوربا وفتحت آفاقاً جديدة امام شعراء الفرنج وكتابه .

8 - ساعدت حلفاؤها وقادتها بسلوكهم الاخلاقي وبنمادج المرودة والشرف التي تحلى بها على اشاعة المثل الأخلاقية الرفيعة مما كان قدوة لمن أحنتك بهم في العالم او في العرب .

الاسلام وما زالت اسماء العلماء والمصطلحات التي امطأها هؤلاء العلماء المسلمين لفراشب العلم ما زالت حية نابضة في جمبيع اللغات رغم ما نالها من تحرير وتغيير ، ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية باهرار كما شهد لها المصنفو من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا يغون من بحوثهم ودراساتهم الامراضة العلم في ذاته . والذين لا تسيطر عليهم العصبية الهوجاء والسطحية العياء .

واننا نسوق الى العرب بعض النقول التي جاءت على لسان فلاسفة العالم والتي تشهد صراحة وضمنا لمجد الحضارة الاسلامية .

والواقع ان الاسلام ليس في حاجة الى اقوال هؤلاء فهو قوي بذاته لكننا نأتي بها لما نراه من ان كثيرا من كتابنا ومؤرخينا ي flattener حق حضارة العرب . وان ثبتت بعبارة اقرب فقل انهم يجعلونها ولا يعرفون منها الا اللذر البسيط والى هؤلاء واولئك بعض اقوال كواكب الاستشراق والبحوث العلمية والدراسات الواسعة .

قالت الكاتبة الالمانية الدكتورة ( سيجريد هوتكه ) ان هذه الطفرة العلمية العبارة التي تهوى بها ابناء الصحراء من الصدم من اعجب النهضات العلمية الحقيقة في تاريخ العقل البشري فسياحة ابناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة لى نوعها وان الانسان ليقف حالرا امام هذه المجزرة المقلوبة العبارة والتي يحد الانسان في تعليلها وتكييفها .

وقالت ايضا : « وان اوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في هنق اوروبا وسائر القرارات للغرب كبير جدا »

وقال العلامة « كاربتسكي » ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان الابحاث الحديثة قد دلت على تعظيم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت اوروبا في ظلمات القرون الوسطى .

وقال الفيلسوف الفرنسي « الكسي لوازون » : خاق محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل للأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا او المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية فالانسجام قائم بين تعاليم القراءان والقوانين الطبيعية .

وقال العلامة « دربير » المدرس بجامعة ( هارفارد ) بامريكا في كتابه ( النازمة بين العلم والدين ) : « ان استفال المسلمين بالعلم يصل باول مهدهم باحتلال الاسكندرية سنة 638 ميلادية اي بعد موت محمد بست سنوات ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسا جميع الكتب العلمية وقدرها حق قدرها .

ولو اردنا ان نستقصي كل نتائج هذه المعركة العلمية العظى لغرننا عن حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذى نالته الصناعات فى مصرهم فقد استفادت منها فنون الزراعة فى اساليب الري والتسميد وتربيه الحيوانات وسنن النظم الزراعية الحكيمية وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبن وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل من انساع النسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يديرون المعادن ويجدون فى عملها على ما حسنه وهذبوا من سبکها وصنعتها وانما لتدھش حين نرى مؤلفاتهم من الازاء العلمية وما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر .

ويقول فى مواطن اخرى : « ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك اوربا وامراوتها يقدون على بلاد المسلمين ليعالجوها فيها . وقال العلامة « سديرو » في كتابه تاريخ العرب :

« كان المسلمين فى القرون الوسطى متفردين فى العلم والفلسفة والفنون وقد نشروا ما اینما حلّت اقدامهم وتسربت منهم الى اوربا لكانوا هم سببا لنهضتها وارتقالها . وقال العلامة « جيبون » المؤرخ الانجليزي :

« كان من الر تشريف الامراء المسلمين للعلم ان التشر الدوق العلمي فى المسافة الشاسعة بين سمرقند وبخارى الى قاس وقرطبة، وبروى من وزير لاحد السلاطين انه بربع بمالتي الف دينار لتأسيس جامعة علمية فى بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد طلبتها ستة الاف لا فرق ليهم بين هنئ وتقبر .

وقال « دربير » : اول مدرسة انشئت للطب فى اوربا هي المدرسة التي أسسها العرب فى ( بالرم ) من

اولا - ان العالم الاسلامي يشمل منطقة جغرافية تمتد من المحيط الباقي شرقا الى المحيط الاطلسي غربا . مجتازة جاليات ودول اسلامية ذات طاقات بشرية واقتصادية وعالية وحضارية لا حدود لها ومنطقة العالم الاسلامي تتميز بأنها :

1 - تقع من العالم موقع الحرام من جسم الانسان . بعيدة عن القطبين ومسافة من الاعاصير والطوفانات والثلوج والبراكين . ولها دفعه معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية وتناسل الحيوانات البرية .

2 - وانها تمثلت من شواطيء البحار الكبيرة والصغيرة ما يمكنها من الاشراف على عدد كبير من اعظم موانئ العالم كما بها من الانهار والمنابع ما يجعلها من اخصب المناطق واكثرها ازدهارا ونماء .

3 - وان فيها من موارد الحضارة كلماه والشuttle والمعدن والحاصلات الحيوانية والزراعية ما يمكنها من انتهاء الحضارة الانسانية وزيادة الامن والرخاء .  
4 - وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها الى اسنى ما قدر من التقدم والسمو والتجدد .  
5 - وان التجانس المذهبي بين سكان العالم الاسلامي يجعل المنطقة في منأى من الاشتباك المحتوظ في المذاهب الاخرى ويقرب بينها ويحفظ وحدتها ويزيدها تفاعلا وتفتحا وتقدما .

وذلك امور تجعل العالم الاسلامي قوة ايجابية مهيبة الجانب خطوبه الود . يت Hibib المعدو بايه ويخشى سلطانه وتجعله ايضا مهبا للاسهام في بناء الحضارة الانسانية وامانة صنع الحياة وانقاد البشرية من الهوة السحيقة المتردية فيها ووهدة الفوضوية والاباحية والاستعمار والالحاد .

ثانيا - وادا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والموقع وما لها من خصائص ومميزات وما لها من كنوز وخيرات الى الحديث عن الاسلام نفسه فاننا نجد انه دين العقبة العجيبة المحبحة التي جاءت وقت بلوغ العقل البشري طور رشه وكماله وتفتحه .

المقيدة التي تقر التوحيد الخامس والتنزيه البالغ ارقى مسورة وشكاله مقيدة ترفع من قيمة الانسان لانها عصمه بالله الواحد الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في المعاله . « قل هو الله

ايطاليا وابل مرصد اقيم فيها هو ما اقامه المسلمون في اسبانيا باسبانيا وانهم رتوا العلوم القديمة برقية كبيرة جدا واجدوا علوما اخرى لم تكن موجودة من قبلهم .

ولقد امتاز العرب في الجمع بين نروع العلم والادب وفاقتوا غيرهم في هذا الميدان ومن يطلع على كتب محمد بن موسى الخوارزمي يجد ان المؤلف جمع بين العبر والادب .

وانظر الى كتب البيروني تجد ان الادب والرياضيات اجتمعا متعاقبين .. قال العلامة « درابر » : « لقد كان تفوق العرب في المعلوم ناشطا من الاسلوب الذي توخوه في مباحثهم وهذا الاسلوب هو الذي اوجب لهم الترقى الباهر في الهندسة والاثناء .

وقال الكاتب الهندي « فسواني » : التهذيب العربي هو الذي انشأ في آسيا وأوروبا نشأة جديدة وانسانية جديدة .

ان هذه الاقوال التي جاءت على لسان علماء انداد لمرضاة العلم في ذااته تشهد صراحة وضمنا وجملة وتفصيلا لحضاره المأمين ومدى فاعليه الحضارة الاسلامية الانسانية التي لست الانسانية فيها معانى السيادة ومست القلوب فيها معانى السعادة واعتلت في ظلها صروح المجد .

هذه الحضارة ستظل خالدة خلود الابد باقية بقاء الدهر مدوية دوي الاذان لا ينضب لها معين ولا ينتهي لها مدى ولكن ذلك رهين برجوع العرب الى منابع عزهم ، هذا واذا كانت الحضارة الاسلامية لها من الدعائم والركائز المشرفة ما وصل بها الى ذروة ما قدر للانسانية من التقدم ولها من التعاليم والتقييم والاداب ما يسمح لها ان تكون لها فلسفتها الخامسة بوجودها .

فهل يمكن لهذه الحضارة ان تعود الى اشراقها من جديد فتساهم في اعطاء الحضارة الانسانية ذخيرة من القوة والقدرة .

الحقيقة التي لا يسوغ انكارها ان ادب وتعاليم الاسلام كفيلة بان تجعل العالم الاسلامي في وضع يسمح له بان يبني فلسنته الخاصة به والتي تنبع من الفكر الاسلامي . ويتضح ذلك من العناائق التالية :

أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفلاً أحد».

وبالجمع بين السمو الروحي والتهذيب الاجتماعي امكناً للإسلام أن ينتشر في أركان الدنيا بالعدل والحق والأخلاق وسمو المباديء .

والاسلام وليد المقيدة الرائقة الراقصة التي  
تطهر النفس وتذكي القلب وتربي الخلق وتغذى المقل  
وتوقف الفريزة عند حدتها وتعطي كل مطبع من  
مطاعم الانسان معناه الدائني وسيره الطبيعي .

**والعقيدة الإسلامية : عقيدة استعلاء من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها الإحساس بالعزّة من غير كبر وروح الثقة في غير المتراد وشعور الاطمئنان في غير تواكل .**

ثالثاً - أن الإسلام متصل بشؤون الحياة والحكم والفكر ، والاسلام قادر بطبيعته الدائمة على مواجهة تطور الازمان واختلاف البيئات والمجتمعات ، وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التبادل والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجمد ولا يتعارض مع طبائع الامم في حركتها الداخلية المتداة غير المصور .

والاسلام ينظر الى الحياة نظرة كاملة وشاملة ويتدخل في جميع شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالاضافة الى انه دين يهتم بالجانب الروحي من الانسان ويريد منه ان يتتحمل الغلامة في الارض بامانة وقوه وحزم وعزم . نادى الاسلام بامانة وقوه وحزم وعزم . نادى الاسلام بالحرية والاخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها واقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا الى التعاون والتبادل واللودة والالفة .

ويتمكن أن يقول بعبارة أوجزر : انه ما من شيء  
يهم الإنسانية ويشغل بها ويأخذ قسطا من اهتمامها  
الا وله في الإسلام هدی وبيان واهتمام وما من شيء  
يلامس حياة الناس او يتبعقبها الا وله في الإسلام مرق  
يتضمن وأصل هريق .

ولقد أكتملت قوة الإسلام بوحدة المقيدة وجامعة اللغة العربية واشتراك المجتمع في مظاهر المبادئ والعادات والتقاليد زيادة على توحيد الأهداف والغايات من الحياة .

ربما - ان تعاليم الاسلام الفراء صالحة لكل زمان ومكان وفي الاصلاح الاسلامي من كليات وجزئيات ما هو كفيل بقيام مجتمع انساني تسوده روح المصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والاخلاص ولكن ذلك رهين برجوع المسلمين الى منابع عزهم ومجدهم والتمسك باسم القيم الاخلاقية الاسلامية والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابعة بالسمو والمليئة بالجداول المتقدة التي لا يخبو ضوءها .

قال الدكتور جورج سارطون : « ان المسلمين يمكن ان يعودوا الى عظمتهم الماضية والى زمامه العالم السياسية والعلمية - كما كانوا من قبل - اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة في الاسلام والعلوم التي حد الاسلام علم الاخذ بها . »

وقال العلامة دامبرى : « أن روح نظام المسلمين هو الدين والذى أحياهم هو الدين والذى يكفل سلامتهم في المستقبل هو الدين ليس الا » .

ويرى الدكتور فيليب حتى : « ان الشرق الاسلامي هو اليوم في مطلع دور جديد في حياته العلمية كما انه في لجر طور جديد في حياته السياسية وهو دور يمكن ان نسميه دور الابداع والابتكار ضمن اطار الميراث الخالد من القيم الدينية والادبية . ولنا ان نتمنى ان ابناء الثقافة الاسلامية على اختلاف بياضهم سيقومون بقتطعهم في خدمة المدنية والانسانية » .

والدكتور سمت استاذ ورئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية اوهايو يرى انه لو امكن اسارة التماسك الاسلامي في سبيل الفراش ايجابية وتكتيل الامم الاسلامية الكثيرة المختلفة في وحدة حية لامكن ان تغيب هذه الوحدة قوة ايجابية في العالم ..

(شیخ)

# نقد المكتب

## الدكتور ممدوح حقي

### د خير في المكتب الدائم ،

- |                                       |                             |
|---------------------------------------|-----------------------------|
| 2 - نفحات الخليج ، عبد الله سنان محمد | 260 صفحة من القطع الكبير .  |
| 3 - بيت من نجوم الصيف ، علي السبتي    | 172 صفحة من القطع الصغير .  |
| 4 - النور من الداخل ، محمد الغايسز    | 260 صفحة من القطع المتوسط . |
| 5 - الطين والشمس ، محمد الغايسز       | 98 صفحة القطع الصغير .      |

اما الاول والثانى فشعرهما اباعي التسنج ،  
البيت فيه شطران والتالية موحدة ، الا ان  
موضوعاهما متلاحمه متراقبة كانها قصه ذات مقدمة  
وموضوع ونهاية ، وفى ذلك تفوق حسن على كثير  
من الشعراء الاباعيين المعاصرین ، لو لا ان لفتهما  
ليست من القوة بحيث تشبه لفة كبار الشعراء .

واما الثلاثة الاخيرة ، فقد سلكت طريق الشعر  
الحر ، اصابت فى بعضه وضفت فى بعضه الآخر .  
وموضوعاهما على العموم رومانسيه تذكرنا بشعراء  
النهضة الاولى فى لبنان وسوريا ومصر .

وفى طريقة العرض ميل الى الرمزية ، فديوان  
الطين والشمس مثلا ، يعرض الشامر فى كل صفحة  
ثلاثة ابيات ، واحيانا بينا واحدا ، واحيانا مسورة  
رمزية كرجل مصلوب ، او رجل عريان قائد على رأس  
تل وفرق راسه فرما .. وكلها من الرسم القريب  
من السريالي . والديوان كله يقرأ بعنوان نصف ساعة !!

اماى الان ثمانية دواوين لثمانية شعراء من  
الكويت . وقد قرأتها جميعا بلهفة لاني ما كنت امورى  
ان هذه الدوحة العربية الصغيرة بحجمها ، القليلة بعدد  
سكانها ، قادرة على ان تنتج مثل هذا المدد الضخم  
من الشعراء ، فى مثل هذه الفترة التقصيرية من الزمن ،  
ولو كان فى الجلة متسع لتقديرها وتقريرها تصفيلا  
لعملي ، وانها لجدية بذلك ، ولكنني مضططر الى  
مرضها مجملة ، تعرضا بها ، ولذا يفوتو قراءنا العلم  
بالنهضة الادبية المتوبة فى هذا القطر العجيب .

ولاحظت ان ثلاثة من هذه الدواوين انشئت  
باللهجة الكويتية ، ويسمونها هناك « اللغة النبطية »  
فهمتها كلها ولم يفتنى منها الا القليل النادر ، وهذا  
ما يؤكدى بان اللهجات العربية ، مما تبادلت الانقشار  
فيما بينها ، هي متقاربة جدا سواء بغيرها أم  
بتراكيبها . كما اننى لاحظت ارتقاها بمستواها عما  
كنت اعده فىما قبل بضع سنتين ، وهذا دليل واضح  
على الاتجاه الطيب الذى تتجه اليه اللهجات العامية  
فى جميع بلاد العرب نحو اللغة الفصحى . ومع انى  
اعجبت بشamerية اصحاب هذه الدواوين الثلاثة ،  
السادة : وليد جعفر فى « آهات قلبي » وعبد الله  
عبد العزيز الدوىши ، وصقر النصافى ، ثانى لا اراه  
اكثر من شعر محلى .

اما الدواوين الخمسة الاخرى ، فلغتها هرية  
فصيحة على تفاوت فيما بينها قليل  
1 - ديوان صقر الشبيب 460 صفحة من  
القطع الكبير .

اما الكتاب الاخير الذي وقفت منه كثيرا على سفر حجمه ( 93 ) صفحة من القطع الصغير ) فهو «مقالات عن الكويت ، لاحمد البشر» فقد عرض جزءا من تاريخ الكويت الادبي التقديم وجلا ناحية لم يسبقه اليها احد : ابنت بان جبيل كالملة الذي دفن فيه غالب بن معصمة والد الفرزدق ، ما هو الا المكان المسما الان «المقبرة» قرب الجهراء . وان «الفرزدق» نشأ بين قومه هناك ، وانه كان يثوب اليه بعد كل سفر . وعمل هذا فالفرزدق سيد شعراء بني أمية الاولى ، ما هو الا شاعر كويتي ، واذا لم يكن للكويت من نصر فن تاریخها الادبی الا انها انجابت مثل الفرزدق لكتبه بذلك نصر .

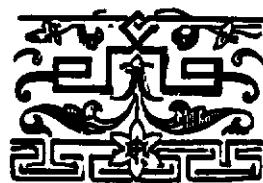
الا ان شاهريه هذا الشاب قد تستوقفك احيانا للتأمل والتفكير .

واحب ان اشير هنا الى كتابين آخرين تلقيناهم من الكويت كذلك هما :

1 - دراسات كويتية - فالاسل خلف 154 صفحة من القطع الكبير .

2 - أدباء الكويت في قرنين - خالد سعد 288 صفحة من القطع الكبير .

وهما كتابان جيدين يوضحان كثيرا مما غمض في تاريخ الكويت الادبی ، ويشرحان كثيرا مما تعدد على الدارس فهمه . وقد انيات مليئها وساعداني مساعدة مجده في تفهم شعراء الكويت فصيحيهم ونبيتهم .



# المُوسِّيَّةُ لِفَتْحَهُ الرُّوح

الأستاذ ابراهيم الدرويش المصري  
مفتتحة التراثة الموسيقية في سوريا

ولما كان التفكير بتأثير المؤثر الغارجي وبالظروف الآتية التي ينشط فيها ، فإن النتيجة التي يصل إليها في حالة التأثير بالموسيقى ، هي نتيجة لا شك أنها من مقومات الفهم الشام والجمال المجرد الذي يتجه نحوية الخبر .

ولم يعد أثر فن الموسيقى محصوراً في إطار الأذن وأشباح العواس ، كنوع من الترف والكماليات كما كان شأنها فيما مضى ، بل تمداه إلى تأدية خدمات جليلة في كل ميدان من ميدانين التربية والمادة والمجتمع .

وكان العرب العالمية الأخيرة اختباراً قوياً لقيمة هذا الفن في ميدانين هذين كالنومية والتوجيه والترقية .

ولقد ادت الموسيقى دورها من قديم كوسيلة للدعائية المشمرة . فقبل قرن مضى تقرباً كانت «بولونيا» لا تندو كونها أمة مستعبدة تتناوب حكمها دولتان قويتان ، روسيا والمانيا وكانت أخبار كفاح شعبها الباسل - نظراً لتأخر وسائل المدينة آنذاك - تصل مشوهة لا تلت و لا تثير إلا عطفاً وفتياً . لقد أخفقت السياسة ونشلت الدعائية في لفت انتظار العالم إلى نصرة بولونيا العجيبة ولكن الموسيقى نجحت فيما أخفقت فيه جميع الوسائل ونجح موسيقى في استدرار العطف على أمته وإثارة ضمير الإنسانية في صالح بلاده . فقد صور شوبان في مقعده (البولونية)

على الدرويش علم من أعلام الموسيقى في القطر العربي السوري .

يأخذ موقفنا من الموسيقى أو ضاعوا ثلاثة :

- 1 - نستمع إليها كوسيلة للترفيه والطرب ، والاستماع الفني .
- 2 - نبحثها كعلم وفن وصناعة ومهنة .
- 3 - نبحثها في أثرها العام كثقافة وسل quo وتوهية وتوجيه ، وفي أثرها التربوي الخاص ، وهو ما يهمنا في هذه الكلمة .

الموسيقى فن دقيق بل لعله أرفع الفنون . هي لغة الروح المجردة عن المادة ، المنطلقة من سلام الحياة وفيودها . هي لغة نبيلة تستطيع أن تائسر إليها كل روح ويطمئن إليها كل قلب لأنها الصدى الذي يعبر عن مشاعر لا تستطيع لغة الكلام أن تجاربها فيها . وارتبط الموسيقا هذا الارتباط الوثيق بالعاطفة الإنسانية يجعل تأثيرها أitsu وأكثر من غيرها من الفنون الجميلة في توجيه الروح والقلب وفي تنفع الطاقات وتغييرها ، كخطوة أولى في سبيل توجيه الفكر البشري .

لان تأثير الموسيقى لا يزول بتأثير النفحات واللحن المثبت من الآلة الموسيقية او من العنجرة البشرية ، اذ انها تنقل المشاعر الى مالم جميل مليء بتسبيب المقل ويعلم فيه بحرية وحيوية .

كفاح شعب جريح وصور في العانها نداء الحق  
المهضوم فإذا بهذه المقطوعة الموسيقية ترمي خدمة  
لم تدعا السياسة فقط الى شعب مناضل مكم .  
وتحررت بولونيا لأن موسيقى (شوبان) قد حررت  
الضمير البشري .

ومندي أكثر من مثال على أن الموسيقى تستطيع  
بasherat الدولة أن توجه الجماهير والشباب والإيجاب  
في التربية والتوعية الهدافة ، توجيهها كليا .

مثالنا على ذلك موسيقى ( فاكنر ) الالماني التي  
أدت دوراً هاماً في حياة المانيا ، فقد اوحى مقطوعاته  
إلى الشعب الالماني روح التضال والكافح في سبيل  
البقاء والاتحاد ، وكانت هاملاً قوياً في تكوين المانيا  
 أيام حرب السبعين ، لم يستخدمت ثانية لني النهوض  
 بالمانيا بعد هزيمتها في الحربين العالميتين الأولى  
 والثانية فقد أدخلت في البرامج الدراسية وفي  
 الشهادات العامة وبشت في نفوس الشعب الالماني  
 فوجهته إلى التفاني في محبة الوطن والتربوية وخدمت  
 أغراض السياسة أيضا .

وقس على ذلك نشيد ( المارسيلياز ) الذي كان  
 من عوامل حماسية الثورة الفرنسية وقد الف كلماته  
 ولحنه الثائر ( روجيه دي ليل ) . وانشيد معركة  
 بور سعيد العربية عام 1956 واخص بالذكر نشيد  
 ( الله أكبر ) ، ثم بعض أناشيد الثورة في الجمهورية  
 العربية السورية . وهناك أمثلة لا حصر لها .

ولم يقتصر عمل الموسيقى على الميادين  
 الروحية بل تعدتها إلى الميادين العطيبة ، إذ ان  
 استخدامها في المصانع خلال الحرب الأخيرة وما  
 بعدها ، قد أدى إلى زيادة الإنتاج زيادة كبيرة  
 ملحوظة .

ولا شك إذا قلت بأن الدول الكبرى كالولايات  
 المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ومعظم الدول  
 النامية وأخص بالذكر سويسرا التي ظهر فيها الربى  
 ( جاك دلكروز ) مؤسس مدرسة التعليم والتربية  
 الموسيقية عام 1913 – كانت سبابة في ادخال  
 الموسيقى كوسيلة من وسائل التربية ، فقد ابنت  
 الاختبارات العلمية الدقيقة إن الموسيقى تلعب دوراً  
 هاماً في تكوين شخصية ونفسية الطفل في سنيه  
 الأولى وهي دور المراهقة والشباب أيضا .  
 ولذا أصبحت الموسيقى من مؤشرات الحضارة  
 الحديثة كعلم وفن وصناعة ومهنة ووسيلة خطيرة من

وسائل الدعاية والتوجيه والتوعية والتربية والتعليم .  
 كما ان الموسيقى تزيح العقل كما يزكي الاستجمام  
 الجم لمابنه من نشاط لكري نشاهد اثره واضحاً  
 جلياً في تفكير الطفل وزيادة قابلته للفهم والاستيعاب .  
 وهكذا نلمس للموسيقى آثاراً ثلاثة في التربية :

1 - اثرها في التوجيه والتربية العامة  
 للشعب .

2 - اثرها في تربية الروح القومية والمحبة  
 الانسانية .

3 - اثرها التربوي في المدرسة .

لهذا كان لا بد لنا اذا ما اردنا ان نقوم على تربية  
 جيل جديد يتوقف عليه ازدهار شأن امتنا ان نأخذ  
 بين الاعتبار مسألة ادخال الموسيقى بصورة جديدة  
 في وسائل التربية كعنصر اأساسي للتربية النفسية  
 والخلقية وتقريرها في مناهج التعليم العام بجميع  
 مرافقه واحتبارها في الشهادات العامة ، والمعلم على  
 افتتاح المعاهد الموسيقية لرئاسة الموهوبين والمعاهد  
 الشعبية لتنقيف الهوا ، وتنظيم الامور الموسيقية  
 والفنية بها باخلاص ونراة في كل من الاداء  
 والتأشيريون . على ان يكون هدفنا دوماً توجيه فن  
 الموسيقى توجيهاً سليماً للتأثير على مقبلة رجال  
 ونساء اللذ بما فيه دعم بناء الامم .

وارى ان تكون الموسيقى قطعة من حياة الطفل  
 ذكرى كان ام اثنى و خاصة في مرحلة رياض الاطفال  
 والتعليم الابتدائي ، وارى ان تربى فرالر الطفل  
 ونفسيته تربية موسيقية وخلقية قوية بتوجيه فني  
 تربوي ، يستطيع ان ين溥 الى مشاهده ويسعى بها .  
 وبهذا تسهل مهمة العربي والعربي لان الموسيقى  
 اداة فعالة في تدريب مقبلة الطفل وتهذيب نفسيته  
 وتوسيع مداركه في الطريق التي ترسمها قوامه  
 التربية .

ولنضرب مثلاً للمجهود العربي في هذا المجال  
 بحياة علم من الاعلام الموسيقى في القطر العربي  
 السوري هو الاستاذ علي الدرويش : فقد ولد وتوفي  
 في حلب 1884 م - 1952 م .

كان جده الاكبر من اصل مصرى عربي ، خلف  
 ولد اسماء ابراهيم ، كان ابراهيم هو والد على  
 الدرويش يشتغل بتجارة الاقمشة وقد نشأ نشأة  
 مصافية دينية ، تعلم القراءة والكتابة في الكتب

ويقي في هذا العمل زهاء عشرة اعوام متالية ، كان خلالها دائم البحث والتنقيب عن اصول الموسيقى ودقائقها بصورة عامة والموسيقى والالحان والمؤلفات العربية التركية بصورة خاصة . لذلك فان الشيخ علي تأثر كثيراً بأساليب والحان الموسيقى التركية التي طبع بها الموسيقى العربية بمولفاته والحاناته، وقد لحن عدداً كبيراً من الالحان باللغة العربية ومن الالحان الآلية كالبشارف والسماعيات ، ومن الالحان الملووية باللغة التركية وهي الحان مطبوعة بطبع الخشوع والوقار والمعروفة باسم « آبين شريف » ومن الحانه آبين كرديلي حجاز كار وغيره ..

رحل الشيخ علي رحلته الاولى من حلب الى امارة المحمرة في ولاية البصرة وقد ارسل في طلبه امير المحمرة على راس فرقة موسيقية فتانية وذلك بعد ذيوع شهرته خارج البلاد السورية، وعندما سافر الى المحمرة كان عمره حوالي السابعة والعشرين عاماً بعد ان استقال من وظيفته في الملووية نهائياً . وكان تاريخ سفره الى المحمرة وعودته منها ما بين عام 1912 الى عام 1914 م . وقد هاد الى بلده حلب في بداية الحرب العالمية الاولى فقد امض في ضيافة ( الامير خزعل ) ستين كأن فيهما موضع حفاوته واكرامه مع اعضاء فرقته الموسيقية .

انتهز فرصة وجوده في تلك البلاد فزار البصرة وبغداد وطهران ومنها سافر الى الهند وحل في كراتشي وبومباي ثم قفل راجعاً الى حلب ابان الحرب العالمية الاولى أيام حكم السلطان رشاد كما ذكرت.

وفي عام 1914 حتى عام 1923 م . سافر الى البلاد التركية قاصداً استنبول بصحبة شيخ تكبه حلب « مامل شابي » وهناك في استنبول اتم الشيخ علي دراسته العالمية في الموسيقى في معهد « دار الالحان » الشهير . وقد عين بعد ذلك مدرساً للموسيقى في مدينة « قسطموني » وهي مركز ولاية قسطموني الواقعة شمالي تركياً قريباً من شاطئ البحر الاسود . وقد الف في مدينة قسطموني فرقة موسيقية نحاسية امتازواها من طلبة المدارس الثانوية ودور المعلمين والصناع واليتم الاسلامي كانت هذه الفرقة تعرف في المناسبات الرسمية وغيرها . وكانت اقامته في مدينة قسطموني تسع سنوات تزوج خلالها من هناك .

وقد انجز في هذه الفترة كتاباً في دراسة الموسيقى من تأليفه في خمسة الى سبعة أبواب .. ثم

والمدارس الدينية وكان ذلك صوت حسن ومن اتباع الطريقة المولوية « التكايا المولوية » في المهد التركي المثماني ، فكان لذلك اثر كبير ورثه منه ابنه العزيزي ، ومنذما كان الفتى الصغير على يدرس في المدرسة الابتدائية ، ينتهز العطل المدرسية وخصوصاً أيام الجمعة ليزور والده في التكية للслушان الى حفلاتهم الخاصة ، فكان يستمع طويلاً الى انشيدهم وموسيقاهم الصوفية ويعجب بها ومن هنا نشأ تعنه بالموسيقى وشغفه بها .

اتس شيخ التكية « مامل جلي » بالشاب على صوتاً جميلاً وميلاً قوياً للموسيقى فاوكل اليه مهمة اداء الاذان في شهر رمضان .. ثم طلب من والده ان يلقنه الحان الطريقة المولوية واغانיהם كي يشارك ابنه علي في حفلاتها وكانت تضم جدران التكية المولوية في ذلك الحين « عثمان بك » الملقب « كجوك عثمان » مؤذن السلطان عبد العزيز سابقاً الذي نفاه السلطان عبد الحميد عند توقيع الحكم وعلى يدي « عثمان بك » تلقى على دروسه الاولى في مبادئ الموسيقى وقواعدها الاولية . ثم راز مدينة حلب في هذه الفترة من الزمن موسيقى تركي من أشهر نافخي « الثنائي » يدعى « شرف الدين بك » وقد أخذ عنه علي الشاب دراسة النفح بالثنائي : وفي تلك الانباء كان يجمع ما بين دراسته في المدرسة اثناء النهار ودراساته الموسيقية في التكية اثناء الليل . وهنديماً أنه دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة العثمانية للعلوم الدينية سابقاً وهي « الخضرية » والكلية الشرعية حالياً وكان من أساتذتها المرحوم الاستاذ الكبير الشیخ بشیر الفری . ومنذما أنهى دراسته في هذه المدرسة بعد اربع سنوات كان ما زال منكباً على دراسته الموسيقية وقد لقب بالشيخ علي لتقديمه في الفن الموسيقي على اقرانه وتفوته فيه ، ثم دراسة في المدرسة العثمانية ولقب بالدرويش أيضاً لانسابه الى الطريقة المولوية فاطلق عليه الشيخ علي الدرويش ، وكان يطلق عليه ايضاً « علي دده » بالتركية لانسابه الى الطريقة المولوية . لذلك فقد اتقن هذا الشاب اللغتين العربية والتركية وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة .

وقد عينه بعد ذلك شيخ التكية ( مامل جلي ) في وظيفة ( قدو زادباشي ) رئيس جماعة الموسيقيين في « المطرب » وهو المكان الذي كان يجلس فيه جماعة العازفين والغنّيين اثناء حفلاتهم الخاصة ،

ادن ملكي صادر في سراي راس الذين بالاسكندرية في 18  
تشرين الاول عام 1931م. وذلك للسفر مع ديرلنجبه  
الى تونس للعمل معه على اتمام ابعاله في الموسيقى  
البربرية.

وقد اشترك للشيخ علي في عام 1932 م . في مؤتمر الموسيقى العربية الذي مُقدَّر في مدينة القاهرة بدعوة ملكية رسمية . هذا المؤتمر المُسْمَى بالرعاية الملكية والذي اشترك فيه نخبة من أستاذة الشرق والغرب ودام انعقاده قرابة شهر . سافر الشيخ علي إلى تونس ومكث هناك من عام 1931 م حتى عام 1939 أي حتى بداية الحرب العالمية الثانية . هنالما سافر إلى تونس عام 1931 م . كما ذكرت سابقاً ومكث هناك مدة أشهر ، عاد إلى القاهرة بعد أن طلب رسمياً للمؤتمر الموسيقي العربي وأثر انتهاء هذا المؤتمر سافر إلى تونس محبة البارون ديرنجيه للعمل معه على إتمام إبعاده ودراساته حول الموسيقى العربية بعد أن ترك القطر المصري نهائياً ، وبعد شهرين من وصوله إلى تونس الغفراء ، تعاقد مع وزارة المعارف التونسية في مهدي العطارين والرشيدية لتدريس الموسيقى . فلمكث في تلك الديار ذهاء ثمان سنوات كان يطوف خلالها مع ديرنجيه في جميع البلاد التونسية وشمال أفريقيا للبحث عن الالحان البالية من آثار الاندلسيين الذين هاجروا قديماً إلى تونس والتبر وأن واكثراً من سكان قرطبة وغرناطة وأشبيلية وقد كانت هذه الإبعاثات البارون ديرنجيه مبالغ طائلة ولكن الشيخ علي وفق إثناء ذلك إلى جمع وتوثيق أربعة عشر «نوبة أندلسية» وعشرين ملحظاً لهذه النوبات وجملة موشحات الأندلسية . وقد استطاع الشيخ علي الاحتفاظ لنفسه بنسخة من هذه النوبات والموشحات الأندلسية لتكون في حوزته .

وقد اسس الشيف علي هند عودته الى مدينة حلب خلال العطل الصيفية مع رهط من اصدقائه من هواة الموسيقى حوالي عام 1934 م . نادي موسقيا لتدريس الموسيقى ونشرها باسم « النادي الموسيقى بحلب » وكان مقره وتقىد في باب النصر، ثم انتسب عضو شرف في نادي « دوحة الميماس للموسقيين والتمثيل » في مدينة حمص وكان في تلك الانباء مصوا عاماً في حزب الكتلة الوطنية الذي كان يترأسه الزعيم الراحل ابراهيم هنانو نسـد الانتداب الفرنسي، فلحن الكثير من الانشيد الحماسية والوطنية في مناسبات مديدة . نادـا ما انقضت العطلة الصيفية عاد الشيف علي مقر عمله في تونس .. وتم مـلـ

عاد بعد ذلك الى مدينة حلب تاركا في قسطموني اجمل  
الذكرى وخلف مدادا من التلاميد اصبعوا اسائدة من  
بعده .. وعندما عاد الشیخ على الى اهله وذويه نى  
حلب كانت سوريا حينذاك تحت الانتداب الفرنسي .  
مكت ثلاث سنوات الف خلالها الكثیر من الالحان  
الفنانية والآلية .، مثل سهامي هجم هشيران وسامي  
نهاند ولوتقا فرحفزا وفیرها . و قد بحث في هذه  
الفترة من الالحان العربية القديمة التي اشتهرت بها  
سوريا وخاصة مدينة حلب لجمع من التراث العربي  
الشعبي القديم وفيره ودونه وسجله بالعلامات  
المusicale الحديثة كالموشحات والقدود والأدوار  
ونامل « اسوق العطاش » ورقص السماح مع تدون  
الحانها .

ثم انتسب عضواً هاماً إلى نادي «المنال» النفسيّة، وكان من أعضائه الأساتذة المرحوم شرف الدين الفاروقى والدكتور فؤاد رجائي والاستاذ سعد الدين القدسي مؤسس النادي وغيرهم.

وفي هذه الفترة سافر على رأس فرقة موسيقية الى استانبول ، ثال هناك نجاحا باهرا ثم عاد مصطحبها معه مدددا شخصيا من الكتب والمؤلفات الموسيقية في شئ الفروع والاختصاصات في اللغات التركية والعربية وغيرها ، وفي عام 1927 م حتى عام 1931 م رحل الشيخ علي الى القطر المصري ، بعد تسلمه دعوة رسمية من النادي الموسيقى الشرفي بمصر الذي اسس في القاهرة عام 1913 م . ذهب لتدريس الموسيقى هناك بعد ان اتفق اعضاء النادي المذكور الذي شمله الملك فؤاد الاول برعايته وعلى راسهم رئيس النادي مصطفى بك رضا ، على شراء كتاب مؤلف في الموسيقى للشيخ علي وتدریسه مدة اربع سنوات بصورة مبدئية على ان يكون للنادي الحق في نشر الطبعة الاولى من هذا الكتاب . وتعرف اثناء اقامته في مصر على كثير من الشخصيات الفنية وغيرها . ودرس عليه في هذه الاثناء بعض المشهورين الان كالاساتذة : محمد عبد الوهاب ، رياض السنباطي والسيدة أم كلثوم . وكان الشيخ علي يعود الى حلب خلال مطلة النادي صيف كل عام . وفي عام 1931 م اي قبل انعقاد مؤتمر الموسيقى العربية بستة واحدة تعرف الشيخ علي في مصر بـ مستشرق الجليزي يلعن البارون ديرلنجه والذى دعاه هذا الاخبار للعمل معه فى تونس لاتمام ابحاثه فى الموسيقى العربية بعد ان اعجب بقدراته الفنية ثم استحصل له من طريق النادي الموسيقى الذى كان يعمل فيه على

عن عمر ناهز الثامنة والستين وقد شيعت جنازته في حفل رهيب مشى فيها بعض الجهات الحكومية وقد جاء خصيصاً من أئمة المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق للاشتراك بتشييع جنازته إلى جانب أئمة وطلاب المعهد الموسيقي في حلب حيث كبر من الجمهور ، ودفن في مقبرة آفيول بحلب .

وأورد هنا مقتطفات من قصيدة شعرية الشاعر التونسي محمود بورقيبة يمتدح بها في تونس حينذاك المرحوم الاستاذ علي الدرويش عنوانها : - رابطة الفن بين تونس وشقيقها سوريا -

يقول الشاعر محمود بورقيبة :

لمدة الفن اجلالي واعظامي  
إلى «العلی» إلى ذي المركز السامي  
إلى الذي حل بالخضراء فافتصرت  
من فنه علم أوزان وأنفاس  
إلى الذي كان يلقى من شبيتها  
دوماً عواطف تقدير واحترام

إلى أن قال :

« على » بلغ سوريا الشقيقة من  
حضراتنا كل تبجيل واعظام  
وعد لتونس يا استاذ مسودة ار  
هار الربيع لها في عذب تبسام  
وانشر باجوالها فنا رفعت لـ  
راساً كريماً فاضحة شامخ الهمام

إلى أن قال :

سر مدة الفن نحو الشام وابق لنا  
الذكرى العزيزة ذكرى خير أيام  
واحمل إلى الشام من خضراتنا ارجا  
مربيون ود هميق بالحسنا نامي  
والشرق في صدره لا زال يجمعنا  
والفن قد ربط الخضراء بالشام

أيضاً في الإذاعة التونسية وقام من تونس مع بعض الأصدقاء برحلات إلى أوروبا وحضر بعض المهرجانات الموسيقية لدور الأوبرا والستافوني إذ كان يعجب جداً بذلك الموسيقى التي وصلت إلى ما وصلت إليه في تطورها من الرقي والكمال .

وفي هذه الآثناء توفي البارون دريلنجيه ماسونا عليه بالنظر لخدماته الجليل للموسيقى العربية وقبل مغادرة الشيخ على الديار التونسية انتم عليه باي تونس آنذاك بوسام الافتخار من الدرجة الثالثة تقديراً له على خدماته للموسيقى العربية في المملكة التونسية .

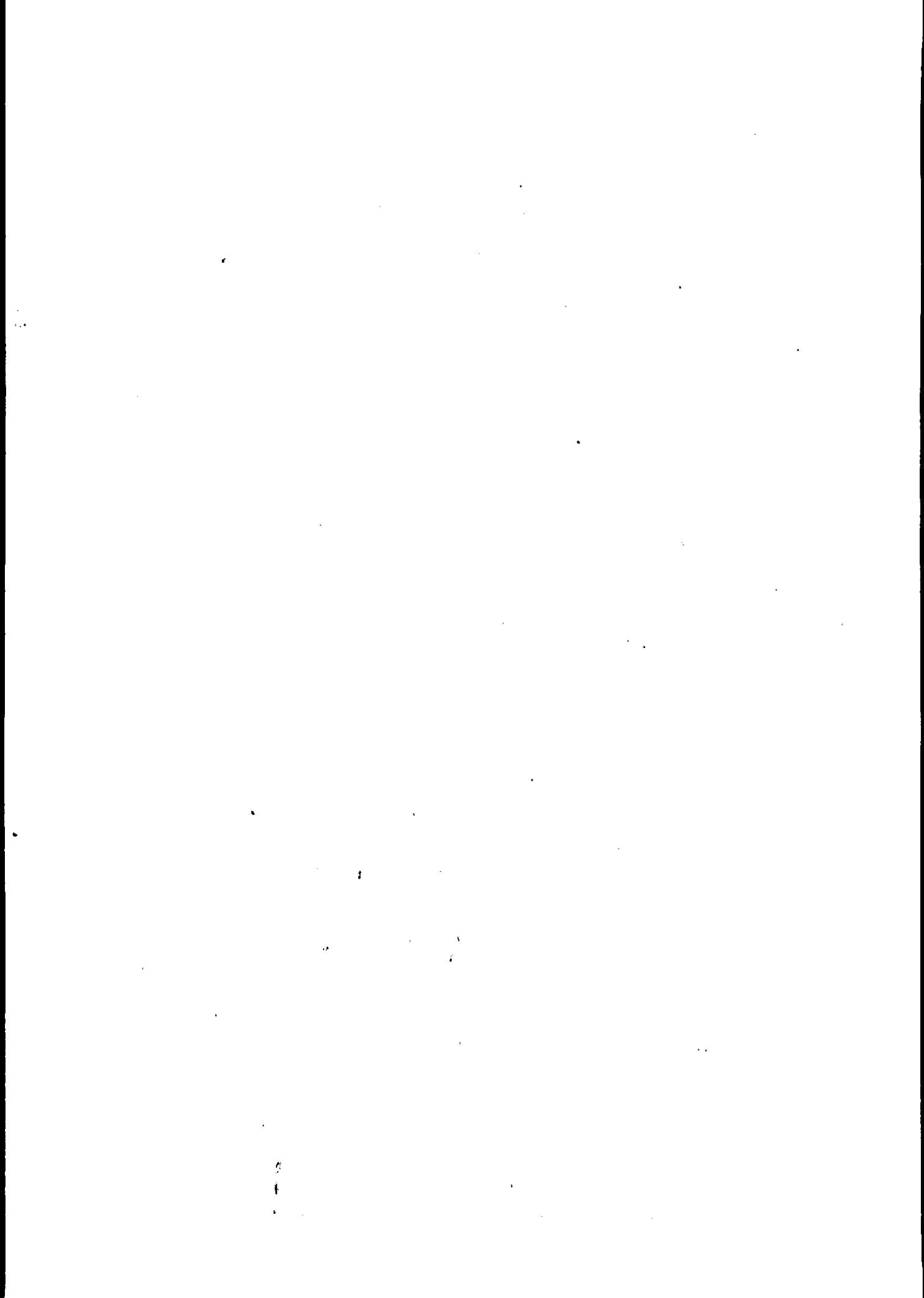
وفي ابتداء الحرب العالمية الثانية عام 1939 م قتل الشيخ على راجعاً إلى وطنه تاركاً آثاراً طيبة واصدقاً ومتلاميداً أصبحوا معلمان نهضة الموسيقى في تونس ومنهم الاستاذ صالح المهدى رئيس اللجنة القومية للموسيقى حالياً ، وعندما عاد إلى حلب الف كتاباً في الموسيقى بعنوان « النظريات الحقيقة في علم القراءة الموسيقية » .

وفي عام 1942 م . حين الشيف على ميسدا ومدرساً في المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق .

وفي عام 1944 م . سجل في محطة الإذاعة في القدس بفلسطين لجنة كبيرة من المؤشحات القديمة ثم عمل مدرساً في معهد الفنون الجميلة في بغداد من عام 1945 حتى عام 1951 م . وقد سجل في إذاعة بغداد أيضاً مدة تسجيلات من المؤشحات القديمة وبقي هناك زهاء ست سنوات ، وفي عام 1946 م . كان الشيخ على الدعامة الكبرى في تأسيس المعهد للموسيقى في حلب ولدى عودته الأخيرة إلى الوطن عام 1951 م . عاد إلى عمله السابق في المعهد الموسيقي ، هذا المعهد الذي أسسه المرحوم الدكتور فؤاد رجالي ثم حين الشيف على إلى جانب عمله في المعهد مستشاراً فنياً في دار الإذاعة السورية في حلب إلى أن وافته المنية في مدينة حلب يوم الخميس المصادف في 12 ربيع الأول 1371 هـ . الموافق في 26 تشرين الثاني عام 1952 م

# المُعْلَمَةُ الْعَرَبِيَّةُ

- التحقيق العلمي من الدكتور مصطفى جواد  
للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني
- الفكر العلمي العربي في شخص العباس بن فرناس  
للأستاذ سعيد الدبوه جي
- اعلام اللغة : احمد نارس الشدياق  
للأستاذ محمد جميل بيه
- تاريخ جامعة الدول العربية  
للشيخ طه الوسي
- عروبة المسلمين  
للكتور اسعد حومد
- دراسة حول نهاية الادب للنويري  
للأستاذ عبد العليم الندوبي



# التحقیق العلی

## عند الدکتور مصطفی جواد

محمد ابراهیم الکنائی، الأستاذ في جامعتی القروین  
ومحمد الخامس «المغرب الأقصى»

أوفد المكتب الدائم الأستاذ محمد ابراهيم الکنائی ليمثله في حفل تابین  
المرحوم الدکتور مصطفی جواد ببنداد وقد القى الأستاذ باسم المكتب الدائم المحاضرة  
الاتیة :

ومنها الاخذ من نحو البصريين دون الكوفيین ، مع ان  
مذهب البصريين منك لطبيعة اللغات .

وفي (الصرف) بين بطانة مكرة (المطاومة) و  
(المصدر الصنامي) / و (عدم النسبة للجمع) .

وفي مشكلة مجممات العربية ومدرداتها يذكر ان  
اللغة العربية محتاجة الى معممات تستوعب الفصيغ  
وغير الفصيغ ، والقدم والمولد ، والعربي والمغرب ،  
ما ورد في كتب المسلمين الى زمان انتطاع التاليف  
الحقن .

ويذكر ان الكلمة العربية لها قيمتان دالما ، قيمة  
معجمية لا حياة فيها ، وقيمة استعمالية حيوية ، وانك  
اذا تصنحت هذه المجممات اللغوية المداولة تلما  
تجد الشواهد التوانية لاستعمال الكلم مع انها اندم  
الشواهد تسجيلا واصحها .

فالمجممات ينبغي فيها ان تأخذ وجوه استعمال  
الكلمات في القرآن الكريم ، وتجب دراسة القرآن  
دراسة لغوية ودراسة نحوية مودا على بدء . لئلا ذلك  
تعنى للعربية من كبوتها وتتوسيع .

ويترى ان من اعظم ميسرات العربية على  
طلابها والكتاب الناشئين وضع (قواعد فامة)  
تفثیم في كثير من الایضان عن مراجعة المجممات ،  
وقد 16 خامدة امثلة لما يتترجحه من التواعد .

ان الناظر في كثير من آثار النقد الدکتور مصطفی  
جواد رحمة الله ، — ولو كان مuggla ، يتجلّ له  
بوضوح منانة ثقافته واتساعها وعمقها ، وأطلاعه  
الواسع ، واستقلاله التکري ، ومعرفته الكبيرة بالكتب

نهو ذو ثقافة لغوية متميزة . شديد الحرص على  
سلامة التعبير العربي من المفسخ والانحراف عن النهج  
السلیم . وهو في نفس الوقت شديد العناية بمسايرة  
اللغة العربية لركب التطور ، ومواجهة المشاكل التي  
تعترض سبيلها ، وهو اذا كان عارضا بالتراث معتزا  
به قادرا له حق قدره ، فإنه في نفس الوقت يفرق عن  
معربة واسعة بين ما هو من جوهر العربية وذاتها  
الثانية على اساس المنسات التي لا تحتمل تطورا ولا  
تبديلا . وما هو من اجهادات المجتمعين التي يحقق  
لغيرهم ان يناثرهم فيها وأن يدلّي من جهة بتجربته  
الخاصة ، حسبما جرت عادة الباھثین في مصر  
ازدهار الفكر العربي . وهو بهذا التفكير الاصيل المتحرر  
في نفس الوقت ، يواجه مشكلة المصطلحات ومشكلات  
نحو العربية وصرفها : من الجمود وعدم الابداع ،  
ويعنى بالجمود اتباع قديماء التحويين في سرد القواعد  
من غير مراعاتها على كلام العرب وشعرهم الخالي من  
الضرورة .

ويذكر من اسباب اختلال النحو اختلالا ماحشا  
لصله بما يسمى (علم المعانی) الذي كان من النحو ،

واللغة في التعبير ، وعدم القاء الكلام على مواهنه ، واللغة في المنطق ، والتواضع وعدم الدعوى .

وكما يتجلّى فيها بوضوح ثقافته الكبير بالكتاب ومعرفته الواسعة بطبعاتها وخطوطها ، والصحيف والستيم من طبعاتها ، وما هو منسوب خطأ لنمير مؤله ، ومن هو مؤلف بعض من جهل مؤله منها وما هي قيمتها ، وما هو تام منها وما هو ناقص ، والموجود منها وأمكنة وجوده ، وما هو مجہول المكان ، مان ذلك يتجلّى أيضاً فيها نشره عن الكتب من دراسات ومقالات لا تعد ، مما يؤكد صحة ما قاله الفقيه رحمة الله عن الكتب والمخطوطات في الحديث الذي نشرته مجلة (اثلام) في الجزء الأول من السنة السادسة بتقلم الاستاذ سالم الالوسي : ( انها عmad حياته وسر بيته ) .

وتديماً قيل : ( العلم معمرة المظان ) فمن لم يعرف المراجع التي تناولت الموضوعات المختلفة وفيه هذه المراجع من الناحية العلمية ، لم يستطع معرفة ما يحتاج معرفته او لم يكن على ثقة من صحة ما بجده فيها .

ومن أمثلة تحقيق الفقيه العلمي في دراسته للكتب، بحثه التيم عن ( الصانع من معجم الأدباء ) لياتقوت الرومي الحموي ، فقد بين فيه وتنوع النقصان فيه ، وفي مواضع لم يتبه لها ناشره مرجلبوت ، وفقدان القسم الثاني من الجزء الثالث والشك في كون الجزء الرابع أصلًا أو مختصرًا فقط ، وأن السابع مختصر فقط ثم شك في أن يكون كل من الجزاين الرابع والسابع منتزجين من ( معجم الشعراء ) لياتقوت الحموي ، إن لم يكونا جزاين منه ، ثم عتب بذلك ترجم تعتبر ضائعة من معجم الأدباء مثل عليها من مطالعاته وتصفحاته ، وقد وقعت منها على 46 ترجمة في العدددين السادس والسابع من مجلة ( المجمع العلمي العراقي ) وقال : له صلة ، فما ادرى انثر شيئاً بعد ذلك أولاً ؟

ويعتبر ميدان تحقيق المخطوطات من ابرز ميدانات التحقيق العلمي .

وغير خات انه كان للعرب وال المسلمين في عصور ازدهار الحضارة العربية والثقافية الإسلامية تقليد رائعة في ميدان تحقيق المخطوطات ، فقد كان المؤلف يكتب تاليته ويصححه ، ثم يعطيه على الطالب وهو يمسك نسخته ، فيصحح الطالب بين يدي المؤلف ما

وكل هذا في متذمة محاضراته عن ( المباحث اللغوية في العراق ) وقد اشار في اواخرها الى مؤلفاته في هذه الموضوعات : ( المعجم المستدرک ) الذي نشر منه شيئاً في ( مجلة المجمع العلمي العراقي ) تحت عنوان ( بحث في سلامة اللغة ) و ( المصباح النذير ، المصباح المنير ) و ( قل ولا تقل ) و ( فقه اللغة العربية ) على حسب مباحث العلم الحديث في الباحث اللغوية ، وقال : ان فيه مباحث من قبيل الابداع ، لا التحسين والاتباع ، ( وكتاب الفلطب والإبداع ) قال : وتغلب عليه الجدة والاستنفاط . و ( نهج السداد ، في كلام النقاد ) و ( معجم الجمل العربية – الفرنسية ) وحقق ونشر بالاشتراك ( الجامع الكبير ) لابن الأثير في البلاغة . وقد كان يعرف الى جانب العربية والفرنسية المارسية والالمانية .

وهو كذلك ذو اطلاع واسع في التاريخ ولبروعه المختلطة من تاريخ الحوادث والتراجم والحركة المكرية ووصف البلدان وآتوال الرحاليين والأدباء في ذلك .

وقد نشر في هذه الموضوعات كثيراً من المؤلفات والبحوث والدراسات ، وحقق كثيراً من المخطوطات

مثل دراسته من ( ابن التوفيق / وعن ابياتة الادارية بمصر ) ، ومن ( اصلهان ، معقلل الادب العربي في ايران ) و ( معجم موسوعي واسع وامياني واستطيون من حملة العلم والاثر ) و ( الثقافة المعلية والحال الاجتماعية في مصر ابن سينا ) و ( الفتورة واطوارها واثرها في توحيد العرب والمسلمين ) و ( جوان القبيلة الكردية النسبية ومشاهير الجوانين ) و ( علم ابن النديم باليهودية والنصرانية ) وكلها نشرت بمجلة المجمع العلمي العراقي ، و ( سيدات البلاط العباسي )

كما نشر بالاشتراك ( دليل خارطة بغداد ) وحقق وعلق ونشر ( الجزء التاسع من الجامع المختصر ) و ( نساء الخلق ) كلامها لابن الساعي . و ( تكملة اكمال الاكمال ) لابن الصايغوني ، و ( المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيش ) والقسم الرابع من ( تلخيص مجمع الاداب لابن التوفيق ) . وهذه الآثار – وغيرها – من آثار الفقيه الى جانب كونها تدل على سعة ثقافية وتنوعها ومتانتها وأصالتها ، تتسم في الغالب بطبع التحقيق العلمي ، من جهة .

وتدل من جهة أخرى على ما كان يتصف به الفقيه من الكثير من اخلاق العلماء ، من الثبات والتحري

المتعلمين إلى الميدان — ولهم من يحملون شهادات عليا من جامعات أجنبية — وقيامهم بأعمال مشوهة باسم التحقيق العلمي ، من دعا إلى وضع رسائل من المنح العلمي ل لتحقيق المخطوطات ، فيها الإسميل وفيها النقول .

وتد كان المتقد — رحمة الله — من أبرز العاملين في ميدان التحقيق العلمي للمخطوطات ، ولكن لا نعرف له رسالة خاصة أو مقالاً عن النهج العلمي لهذا التحقيق (١) وبالرجوع إلى بعض أعماله في هذا الميدان نستطيع استخلاص بعض آرائه في الموضوع .  
وستتعدد عمنه في رسالة (نساء الخلقاء) لابن الساعي التي نشرتها (دار المارف) بمصر بدون تاريخ ضمن سلسلة (ذخائر العرب) رقم 27 مرجحاً في هذا البحث .

### ١) اسم الكتاب

سُمِّيَ الْمُؤْلَفُ كِتَابَهُ (جَهَاتُ الْخَلَاءِ مِنَ الْحَرَائِرِ وَالْأَمَاءِ) وَسِيَاهُ مَاحِبُّ (كَشْفُ الظُّلُونِ) (نساء الخلقاء) لمجمع المحقق بين الاسميين بتقديم الثاني لوضوح معناه ، وتأخير الأول نظراً لعدم استمرار استعمال الكلمة (جهة) فيما كانت تستعمل فيه .

### ٢) مؤلف الكتاب

لم يكتب اسم المؤلف على النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب .

وتد نسبه الاستاذ مكرم بن خليل مدرس التاريخ بجامعة استانبول إلى كمال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الطوطى المؤرخ ، لكنه المحقق لبيان بطلان هذه النسبة التي لا دليل عليها لا في الكتاب ولا خارجه ، وتد أربعة أدلة على أنه ابن الساعي لا ابن الطوطى استغرقت خمس صفحات .

ثم بين خطأً أهياً كتابة اسم المؤلف على الكتاب ، وذكر أن المؤلف المعروف في زمان قد تذهب شهرته أو كثير منها في مصر آخر وأورد أمثلة على ذلك

### ٣) التعريف بالمؤلف وعصره

لقد كان الترتيب الطبيعي يتضمن تأخير التعريف بالمؤلف ومصره إلى ما بعد إثبات أنه ابن الساعي لا

عساه يكون قد صدر منه أثناء الكتابة من خطأ ، وبعد مراعاة الطالب من متابلة جميع الكتاب مع المؤلف يكتب له المؤلف بخط يده وتوبيعه على نسخته شهادة بأن الطالب قد قرأ عليه هذا الكتاب وقابله معه حتى أصبحت نسخته هذه طبق أصل المؤلف ، ويضيف المؤلف لذلك ما مفاده اعتقاده بأن هذا الكتاب من تاليفه وأنه موافق على صحة هذه النسخة باذنه لهذا الطالب (وأجازه) له أن يروي عنه هذا الكتاب ، وهكذا يفعل هذا الطالب عندما يصبح استاذًا مع طلبه ، فتتفرق من نسخة المؤلف الأصلية مروع طبع الأصل بقدر من تراوحاً على المؤلف وقابلوها معه وأجاز لهم روایتها عنه ، ثم تتفرق عن كل نسخة من هذه النسخ المطابقة لأصل المؤلف نسخ مديدة طبق المروع المشوهة منها ، وهكذا دواليك .

وقد عرف تاريخ الثقافة الإسلامية نسخاً أصلية مصححة ومتقابلة استمرت الأجيال المتعاقبة في مختلف الأقطار تتناقلها وتنقابل عليها المروع المستنسخ منها ، وتتصل روایتها من مؤلفها أو ناسخها بالسند المتصل جيلاً بعد جيل ، وكان أهل العلم يتناسون ويتغافلون في الحصول على هذه النسخة ويعزفون لها ثنيتها . على أنه لا نكران أنه كان إلى جانب هؤلاء المثبتين المحررين المتنين طائفة أخرى من النساء الجاهليين الذين لا ذمة لهم ، مما استحقوا معه أن يسموا بالمسخين !

وظهرت المطبعة العربية أول مرة في أوروبا وقام أعلام غير مسلمين بطبع بعض المخطوطات العربية لغيرهن خاصة . وعلى نطاق محدود ، وكانت هنديم امكانيات مادية كبيرة ، ولم يكن بعضهم يخلو من معرفة وروح علمية .

ومنذما انتقلت المطبعة العربية إلى البلاد ذات الثقافة العربية قامت بعض المؤسسات الرسمية بأسناد مهمة تصحيح المطبوعات العربية إلى طائفة من أهل العلم ، فنشرت مخطوطات مهمة لا تنتمي إليها في كثير من الأحيان ، ولكن تحول نشر المخطوطات إلى عملية تجارية كان نكبة فظيعة للكتاب العربي مسخاً فنيما ، مما دفع بعض المخلصين للتراث العربي في بعض البلاد العربية إلى القيام بحركات لإنقاذ الكتاب العربي بنشره نسراً ملريا .

ولكن هؤلاء المحتفين لم يسلكوا منهاجاً واحداً في التحقيق ، وزاد الأمر تعقيداً تسرّب جماعة من انصاب

(١) علمت بعد القاء هذا البحث في المهرجان التأبيني أن له بحثاً مخطوطاً في الموضوع .

## ٥) اصلاح اخطاء النسخة

ذكر المحقق انه صحيحاً ما في النسخة من خطأ النسخ ، ملائمة نقل في عدة مواضع ما لم يذهبه من الكتاب ونسخ ما هو غير واضح ، الى اخطاء املائية يرتكبها .

وقد حدث خلل في النسخة : وهو ان قسماً من اخبار احدى المترجمات ادغم في اخبار ترجمة اخرى ، فاستوجب ذلك تبيتها واصلاح الخلل ، ولم يتبه على ذلك احد قبل المحقق .

ونشير الى ان من محتوى المخطوطات من يحافظون على ما في النسخة كما هو مواباً وخطاً ، ثم يعلقون في الحاشية ببيان الاخطاء ووجه الصواب فيها ، ومنهم من يصلح الاخطاء ، في الاصل ويذكر في الحاشية ما كانت عليه في المخطوط ، ووجه اصلاحها .

وقد سلك التقيد هذا المسك الاخير في ( نساء الخلق ) اربعاً وعشرين مرة ، منها ما هو خطأ نحو ، ومنها ما هو خطأ في الاعلام ، ومنها ما اصلحه اعتماداً على المصادر ، ومنها ما اصلحه لعدم مناسبته المقام ، ومن امثلة :

ومطريها ( بمعزمه ) ... يؤوب الى نوائحها .  
مكان ( بمعرفة ) قال : لا محل للمعرفة فيه ، وانما العبرة في صيغة المطرد بمعزمه الى التوافع !

ولكن المحقق ابقى اخطاء اخرى على حالها ونبه على خطئها مثل ( الرزازين ) التي هي تصحيح الزرادين و ( تصر الخلاة ) والصواب تصر ( الرمالة ) ( وظفرسي ) الدامي الملوى ، وهو قريب من ظفر ابن الدامي الملوى .

وتارة يبتلي الخطأ على حاله ويضيف كلمة ( كذا ) اليه . هذا كله فيما انتفع فيه وجه الخطأ ،اما ما كان محتملاً منه يبتليه على حاله ويدرك الاحتمال في التعليق ، فقد وردت في المخطوط - مثلاً - كلمة ( ملتبتها ) ويجوز ان تكون ( ملتلتها ) كانوا نعمت ذلك احتراماً لمديها .

## ٦) هل الكتاب تام أم ناقص ؟

استقر المؤلف في تعليق ( من 53 ) انه ناقص .

## ٧) هل القسم المؤلف شرطه ؟

فثم المحقق تصديره بان المؤلف لم يلتزم شرط

ابن النوطي ولا غيره ، ولكن المحقق رأى ان الادلة التي قامت له على انه ابن السامي تبني كل احتمال يمكن في انه لنغيره ، لذلك يعامل هذا الاحتمال اولاً وتصدى للتعريف بمسير المؤلف والمؤلف فاورد ما قاله ثمانية من الرحاليين والمؤرخين من الحالة السياسية في مصر المؤلف . وأورد تائمة باسماء بعض الشعراء والعلماء ، بمعنى العلم الصحيح ، والمؤرخين .

وفي كلامه على سيرة المؤلف ، ذكر مولده ، وأشار الى عدم وجود ذكر لوالده في التاريخ ، وبين معنى السامي وسماع المؤلف للحديث ، ودراسته الادب والتاريخ ولبسه خرقه التصوف وشيوخه .

ثم ذكر ان بعض من ذكروا المؤلف التبس عليهم اسمه ابن السامي بابن الساعاتي ، وبين غلطهم .

وان ابن الساعي عرف بالخازن ، وبين معناه وذكر اسماء بعض من كانوا يختلرون الى دور الكتب في هذا العصر ، وان ابن السامي الف اكثر كتبه في ايام الدولة العباسية ، وان العباسيين كانوا بجيرونه عليهما ، وافتاد : وهذا يطعن في حياده مند اهل التحقيق والتدقيق !

ثم ذكر بعض من استمد من تاليفه ، وقبته كمؤرخ وضعف طعن من طعن فيه ، ثم اورد تائمة باسماء مؤلفاته ومن ذكر كل واحد منها .

ويقع هذا التصدير في 40 منحة بالحرف المسفير بينما تقع الرسالة بتعابيقها في 92 منحة اغلبها بالحرف الكبير .

هذا - وقد سبق للمحقق ان حقق ونشر (الجزء) الناتس مع المختصر ، في فنون التواريχ وفنون المسير) لابن السامي . ومدراه بمقدمة ترجم فيها المؤلف ، وذكر نظم الدولة العباسية في اواخر عهدها ، والخلافة على مهد الناصر لدين الله لم يعتبر عمله في تصدير ( نساء الخلق ) تتميماً لعمله السابق .

## ٤) مصدر النسخة وصفتها

ذكر المحقق - في التصدير - كيف علم بوجود النسخة ومكانها ، وكيف تم تصويرها ثم اخراجها على الورق وتبليمه بشخها ، ووصف خط النسخة وذكر تاريخها .

كتابه بتضمينه آيات نساء الخلفاء ، فقد أضاف اليه من نساء السلاطين والامراء .

#### ٨) شكل الكلمات

وبولي التقى رحمة الله عنابة خاصة للكلمات التي تحتمل الخطأ عند النطق بها بتشكيلها بالحركات مثل : المكري ، وبها والدبيسي ، والسهروردي ، والجنبادي ، وخمارويه ، وبنثا ، والصلع .

وضبط شمعة بفتح الشين والميم ، فرارا من قول من قال : ان تسكن الميم من كلام المؤذين — وان لم يتبه على ذلك .

وأحيانا ينافي المصادر في ضبطها لبعض الكلمات .

فغرب ضبطها الذهبي بالضم . ولكن ورد في الجزء الثامن عشر من الأغاني شعر يدل على ان العين ملتوحة والراء مكسورة .

ويبن بضم الباء وضبطها ممحوا كتاب الاغاني بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

#### ٩) تفسير الكلمات المحتاجة الى تفسير

سمى المؤلف كتابه ( جهات الخلفاء ) — جمع جهة وهي كلية من زوجة الخليفة او حظيته ، او زوجة السلطان او حظيته ، استعملت كذلك في المصر السلاجوقى وما بعده ، واريد بها احيانا السيدة المتزوجة مطلقا . ووردت كلمة ( البدنة ) في كلام المؤلف واحد ابن ابي طاهر وأبى جعفر الطبرى ، بدون تفسير فسرها واستعمل المؤلف كلمة ( الفابرين ) بمعنى الباقين وهذا هو الوجه التصريح في استعمال الفابر وهو الوارد في القرآن الكريم ، وأما استعمال الغابر بمعنى الماфи وكونه من الاشداد كما عند ابن الاتباري فناشئه — من رأى الحق — من تصحيف العابر بالعين البهله .

#### ١٠) التعريف بالأمكنة الوارد ذكرها في النص

اذا ورد ذكر مكان ، وكل الامكنة الوارد ذكرها من بغداد ، فان الملق يعين محل الذي كانت توجد فيه .

لتصور دار الخلافة ومرانتها كانت في الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر بالله في بغداد الشرطية .

ومحلة نهر عيسى تسمى اليوم محلة السوق الجديد من الجانب الغربي من بغداد وما قاله ياتوت عن نهر عيسى مأخوذه من تاريخ الخطيب البغدادي ، واكثر ما في تاريخ الخطيب ماخوذ من كتاب انهار العراق لابن سراپيون .

والظاهر ان سوق الخبازين كان مجاورا لدرب الخبازين المعروف اليوم بدرب العاتولية بشرق بغداد ويعرف بسوق الحيدر خانة .

ومن المعروف ان الحقائق في هذا الموضوع بالاشتراك — كما سبق القول — ( دليل خارطة بغداد ) .

#### ١١) التعريف بالأشخاص

يعلق الحق — غالبا — على اسم المترجمة في الكتاب بذكر مراجع ترجمتها ، وبعض المراجع التي لها فيها ذكر ، مطبوعة ومخطوطة ، مع ذكر الجزء والصفحة ومكان الطبع وتاريخه — غالبا في كل ذلك — ويدرك في المخطوط — زيادة على الجزء والصفحة — المكتبة التي يوجد بها ورقها ، والمكتبة التي توجد بها صورة منه ان كانت هي التي رجع اليها ، ويكرر ذلك كلما ورد ذكر الكتاب .

وقال عن واحدة انه لم يجد لها ذكرها في كتب التاريخ والادب التي وصلت اليها بدة سوى كتاب واحد وقال من اخرى انه لم يقف على ذكر لها في كتاب آخر .

ولكنه لم يشر الى مراجع ١٦ ترجمة ، غالباً

انه لم يقف على ذكرهن من غير ان يتبه على ذلك .

#### ١٢) الرجوع الى المراجع التي احال عليها المؤلف

من ابسط توادد التحقيق العلمي ان يتأكد الحق مما ينتبه المؤلف من مرجع من المراجع . لمعرف هل هو موجود فيه اولا ، وإذا كان موجودا لما هو متدار مطابقته لما نتبه منه المؤلف .

وتدنبه الحق على عدم وجود بعض ما ذكره المؤلف في المصدر الذي رجع اليه .

محمد بن الأخضر ، محمد بن داود هو ابن الجراح ، والمشهور بابن عبد الله الحنبلي في مصر ابن النجار هو أبو عبد الله محمد بن مكي بن أبي الرجاء المكتب تقي الدين .

#### (15) التنبية على أوهام المراجع

ويولي التقى رحيم الله نهاية بالفترة للأوسم الواقعة في المراجع فيتم بالتنبيه عليها وبين الصواب فيها ، فتند نسب ابن خلكان للسمعاني أنه ضبط كلمة جهير بالضم وهو غلط ، مع أن الوارد في (الاتساع) هو النون ، وكذلك ما في مختصره (اللباب) .  
وبناءً بضم الباء ، وضبطها محققاً كتاب الأغاني بدار الكتب المصرية بفتحها .

وظن ابن ثغرى بردي أن ابن السامي كان حنانياً مع أنه شامي ، وقد نبه المحقق على ما يمكن أن يكون السبب في ظنه هذا .

وذكر علي بن الصحن الغزرجي ابن السامي نسماه ابن الخازن والصواب الخازن .

ومن مؤلفات ابن السامي (الاحاديث الثانية) . وقد ورد في بعض المصادر (اليمانية) من غلط النسخ أو الطبع .

ولابن السامي كتابان في نساء الخلق ، وقد حسبهما الذهبي وبعده الصندي وتابعه ابن ثغرى بردي كتاباً واحداً .

وسمي المؤلف أحد شيوخه عبد العزيز بن المبارك ، وجاء في (ذكرة الحفاظ) للذهبى : عبد العزيز بن سعood ، وهو خطأ ، ولم يصح هذا الخطأ مصححوا « معجم البلدن » (طبعة دار صادر بيروت) .

وذكر ياقوت بباب المحول من الجانب الشرقي من بغداد والصواب الغربي .

وتعدد صاحب مختصر بغداد في نسبة خبر للمعتمد أو المعتمد وال الصحيح أنه المعتمد .

ولقب ابن النجار في (النجوم الزاهرة) بمجد الدين بدلاً من محب الدين وهو من خطأ النسخ وعدم التصحيف في الطبع !

فتند نقل المؤلف من الجهمياني لم يجد المعلق الخبر في المطبوع من كتاب (الوزراء والكتاب) لأن المطبوع ناتص كما هو معلوم .

ونقل المؤلف من ابن الجوزي لم يجد المؤلف الخبر في (المنتظم) لأن أنه انتهى قبل ذلك التاريخ ، فالظاهر أن هذا الخبر من (درة الأكيليل) .

ونقل المؤلف من أبي بكر الصولي فاستظرم المعلق أن المؤلف أخذ هذا القول مما ذكره أبو المرج في أخبار أبي العتاهية .

وأورد المؤلف كلاماً مضطرباً ماملاً المعلق من (مروج الذهب) . والذي جرت به مادة محتوى المخطوطات وعليه درج التقى في كثير من تحقيقاته ، (تلخيص مجمع الآداب) مثلاً ، بيان جزء المصدر والصلحة الذين يوجد فيما ما نقله المؤلف .

ولكنه أهل هذا في تحقيقه (نساء الخلق) فتند ذكر المؤلف في ترجمة (عنان) أن لها أخباراً مدونة ذكرها أبو المرج الاصبهاني في (كتاب الأغاني) وذكر المعلق في مراجع ترجمتها الإجزاء : العاشر والعشرين والثالث والعشرين المخطوط . ولكن لم يذكر في أي جزء من هذه الإجزاء يوجد أنه ما نقله المؤلف .

وكذلك في ترجمة هربر ، وبعدة الكبيرة .

وكذلك فيما نقله من (كتاب بغداد) لأحمد بن ابن طاهر ، ونقل من كتاب (الورقة) لابن الجراح فتند المعلق أن المطبوع منه ناتص ، ولكن لم يشر إلى ما إذا كان ما نقله المؤلف موجوداً في المطبوع أولاً . إلى غير ذلك .

#### (13) التعريف بالمراجع

وقد يحيط المحقق التعريف بالمرجع الذي نقل منه المؤلف فتند نقل عن تاريخ ثابت بن سنان بن قرة ، فنقل من القسطنطيني التعريف بهذا التاريخ ، وبيان المدة التي أرخها وأهميته .

#### (14) إيضاح المبهمات

فالحافظ أبو عبد الله البغدادي هو محب الدين محمد ابن النجار وأبو الناسم الأرجي هو يحيى بن أسعد بن بوشن ، وأبو أحمد الامين هو عبد الوهاب ابن سكينة ، وأبو محمد الجنابي هو عبد العزيز بن

وذكر محقق الكتاب الدكتور النافذ محمد حميد الله انه مع سعيه لم يعثر على ترجمة القاضي الرشيد ، مع انه مترجم بتصصيل في مصادر اوردها الحق . وهو من اهل القرن السادس لا الخامس . ثم قال : ونسبة الكتاب المذكور اليه — وهو من تاليف القرن الخامس — خطأ مبين يجب اصلاحه ، ولعله من مؤلفات ابن باشاد المشهور .

و ( طبقات الشمراء ) منسوب لابن المعتز .

#### 18) التبيه على نقصان بعض الكتب

الظاهر ان ترجمة عبد الله بن احمد بن ابي ملاهر تقدت فيها ملحد من ( معجم الادباء ) .

والطبوع من ( كتاب الوزراء والكتاب ) للجهشياري ناتص كما هو معلوم ، وما اكثر المتفق منه !

والطبوع من ( كتاب الورقة ) ( بعنایة دار المعرف ) وتحقيق الاستاذين الدكتور عبد الوهاب عزام ومبد الستار فراج خال من الترجمة التي نقلها ابن الساعي بالنسخة ناتصة .

وقد ورد في ( اخبار النساء ) خبر منقول عن ( الورقة ) لا يوجد في الطبوع .

ولبما نقل من احمد بن ابي ملاهر لا ذكر له في الطبوع منه المعروف ( باخبار بغداد ) .

ونقل من تاريخ هلال بن محسن الكاتب لا ذكر له في الطبوع منه الملحق ( بتاريخ الوزراء ) لم يسأل المذكور ، فهو ناتص .

#### 19) التبيه على خطأ تسمية بعض المؤلفات

كان التقى قد صحيح تديبا مخطوطا غالبا من التسمية وتسمية المؤلف ، سواء في المطبوع (الحوادث العامة ) لكمال الدين ابن القوطي ، وقد صدر ناشره بيتدمتين او لاهما بتلهم صديقنا الاديب الكبير محمد رضا الشبيبي رحمة الله ، وقد جاء فيها : ( ومن رأى — وقد تصلحت الكتاب — انه كتاب ( الحوادث والتاريخ ) لمولده ابن القوطي ، وزاد : وان لدينا من الادلة ما يكفي في نسبة هذا الكتاب الفضل الى العلامة المذكور .

وذكر ابن جبير دار ابن الفرج ابن الجوزي ، مع انها مدرسة بننشا وكان يمكن فيها لانه كان مدرسا يومذا .

وكان انشاء قرية عون ويعين ايام الناصر . واخطأ الصلاح الصندي نسب عمارات الناصر ومنها قرية عون ويعين الى ابيه محمد الظاهر .

ووقع في ترجمة ثابت بن سنان في تاريخ الحكام للتنطلي اضطراب في تاريخ وماته : حيث ذكر مرة انها كانت سنة ثلاثة وستين وثلاثمائة ، ومرة سنة خمس وستين وثلاثمائة . وورد اسم ( شاهفرند ) في تاريخ الطبراني وفي الكامل شاه آمرييد ، وفي بعض نسخ ( مروج الذهب ) للمسعودي ( سارية ) وهو تصحيف .

ورجح ابن خلakan ما ورد عند العماد في ( الخريدة ) على ما ورد عند السمعاني لظننه ان بينهما تعارض ، وبين المحقق انه لا تعارض بينهما .

وورد ذكر ابي بكر ابن العلاف ، ذكر المعلم مصدر ترجمته وقال : وهو صاحب الابيات المشهورة في رثاء البرد ، وليس هي لشعلب كما ذكر الكمال بن الانباري في ( نزهة الالباء ) .

#### 16) التعريف بمؤلفي بعض المخطوطات الففل

نقل المحقق من ( ذيل تاريخ بغداد ) لابن الدبيسي ، نسخة كمبردج ، وزاد : ولم يعلم المفهوس انه تاريخ ابن الدبيسي وقد حققنا ذلك وتأكد لنا .

#### 17) التبيه على الخطأ في نسبة بعض المؤلفات لغير مؤلفيها

تتدم أنه بين أن ( نساء الخلقاء ) لابن السامي لا ابن الدبيسي ، ومن مؤلفات ابن السامي ( اخبار الخلقاء ) ، وأما هذا المطبوع المنسى ( مختصر اخبار الخلقاء ) فهو مدسوس عليه نخله اي انه بعض المزورين الذين اهتدوا للتزوير في كل امورهم وشلؤونهم !

و ( المحسن والأضداد ) منسوب خطأ للجاحظ . وكتاب ( التخارير والنحو ) مجموع المؤلف ، وقد نسب الى القاضي الرشيد ابن الزبير ، وكتب تحجمه ( القرن الخامس المجري ) . قال المحقق : وكل ذلك خطأ على خطأ !

الرابع من ( تلخيص مجمع الأداب ) لابن الفوطي حيث انتصر على مهرس أبواب هذا القسم الثالث من الكتاب ، وومنه أن يثبت في القسم الرابع والأخير منه المهارس العامة التفصيلية للجزء الرابع كله ، ولم أعد إلا على القسم الثالث وحده .

ولكنه تارة ثلاثة لا يضع نهرسا بالمرة مثل سيدات البلاط العباسية و ( نساء الخلقاء ) .

واذا كان مظہر ( سيدات البلاط ) لا يدل على طابع تحقيق علمي ، لخلوه من التعليقات والمصادر الأخرى الصحفيات وما يتبعها ، إلى جانب الصورة التي على الغلاف !

فإن النسخة التي وقفت عليها من ( نساء الخلقاء ) خالية من المهارس والمراجع ، مما أدرى استطعت من هذه النسخة نظر ، أم أن المحقق رأى أن صفر الرسالة في فتن من المهارس ، أو أنها الفيت من طرف الدار ) انتقادا في النهايات !

## 22) أخطاء الطبع

تلما يسلم مطبوع من خطأ مطبعي ، و ( نساء الخلقاء ) التي بذل محتتها رحمة الله جمودا في التحقيق والطبع لم تسلم من خطأ مطبعي !

ومن أمثلة ذلك في من 60 بفتح الواو والمواب الميم ، وفي 135 السادس والمواب الخامس ، وفي 124 الجبارين والمواب الجبارين ، وفي 120 وافتت والمواب وافتت .

وكتير من محتوى الكتب يوردون في آخر الكتاب جدول للخطأ والمواب ولم يرد في ( نساء الخلقاء ) شيء من ذلك !

## 23) نماذج مصورة من الأصل

في أول الكتاب صور 3 صفحات من المخطوط لتكوين القاريء من تكوين لكرة من المخطوط .

### الاستطراد

ومن مظاهر اتساع ثقافة المحقق استطراده العابر المفید .

مالتصوف والتتشبع أخوان ، وأولئك ابن السامي كتبه على المدرسة النظامية قبل موته بتلليل ، كما هو

وثانية المقدمتين بقلم النقيد ، مصحح الكتاب والمعلق عليه ، وقد أورد اسم ( الحوادث الجامعة ) بدون نقاش .

وذكر أول من نسبه لمولده في مصرنا .

ولكنه في تعاليته على ( نساء الخلقاء ) يقول : الكتاب الذي سميته ( الحوادث الجامعة ) استرجحا ظهر أنه غيره !

## 20) التنبية على قيمة بعض الطبعات

ينقل المحقق من ( ونيات الاعيان ) طبعة بلاد العجم ، ثم قال عنها أنها أصح من الطبعات الأخرى .

## 21) اضافة ملحق للكتاب

اضاف المحقق إلى ( نساء الخلقاء ) ملحقا أورد فيه أخبارا متعلقة ببعض المترجمات في الكتاب وردت في ( الذخائر والتحذف ) السابق الذكر .

## 22) المهارس وقائمة المراجع

المهارس مفاتيح الكتب ، لما الكتاب الذي لا نهارس له تكون الاستنادة منه معمبة وفي نطاق محدود . ولهذا كان وضع المهارس من أهم ما يقوم عليه النهج العلمي لتحقيق المعلومات .

وقد اختار موقف النقيد من هذه القاعدة فهو تارة يضع المهارس الازمة والمتغيرة ، مثل ما نعمل في جزء ( الجامع المختصر ) .

حيث اضاف له خمسة مهارس احدها للكلمات المسرة وآخر عمراوي للاخلاق والعادات والشئون الاجتماعية ، وفي ( تكملة اكمال الاكمال ) لابن الصابوني حيث اضاف له اربعة مهارس ، ثالثها للمواائد الشاردة وفي ( الجامع الكبير ) لابن الاثير ثمانية مهارس . وفي ( دليل حارطة بغداد ) نهرسان .

وتارة أخرى يكتفى بمهرس مختصر مثلا معلم نبيا سباء ( الحوادث الجامعة ) .

ومثل جزءي ( المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيسي ) حيث ذكر في الأول مراجع التصحيف والإيضاح والترجم ، وفي الآخر شيئا مختصرا للمرجعين في الجزء ، ومثل القسم الثالث من الجزء

و هذه العبارة الاخيرة ليست من باب التواضع ولكتها الحقيقة الواقعية ، ومدق الله العظيم : ( ولو كان من هنـد فـيـر الله لـوـجـدوـاـ نـيـهـ اـخـلـامـاـ كـثـيرـاـ )

— ◦ —

هذه صورة من ثقافة التقىـد و اخلاقـةـ المـلـمـيـةـ كما تـجـلـيـ لـلـنـاظـرـ فـكـثـيرـاـ مـنـ آـثـارـهـ ، وـمـنـهاـ يـتـجـلـيـ آـنـهـ رـحـمـهـ اللـهـ كـانـ مـلـمـاـ بـارـزاـ مـنـ اـمـلـامـ النـهـضـةـ الثـقـافـيـةـ العـرـبـيـةـ فـيـ هـذـاـ المـصـرـ .

ولعلـ ماـ سـادـهـ عـلـىـ ذـلـكـ آـنـهـ شـقـقـ فـيـ اـوـلـ اـمـرـهـ ثـقـافـةـ اـسـلـامـيـةـ عـرـبـيـةـ مـيـتـيـةـ خـالـصـةـ ، وـلـمـ يـتـعـلـمـ بـالـكـرـ الـاجـنبـيـ الاـ بـعـدـ آـنـ اـنـكـوـنـتـ شـخـصـيـتـهـ تـكـوـنـاـ سـلـيـماـ ، وـلـمـ يـمـسـ بـمـاـ اـصـبـ بـهـ الـكـثـيـرـوـنـ مـنـ اـتـصـلـاـ بـالـكـرـ الـاجـنبـيـ فـيـ هـذـاـتـهـمـ فـنـجـعـ فـيـ مـسـخـ شـخـصـيـتـهـ ، وـقـطـعـ سـلـتـهـ بـتـرـائـهـ الـفـكـريـ وـالـعـسـارـيـ الـمـجـيدـ .

رحمـ اللهـ التـقـىـدـ رـحـمـةـ وـاسـعـةـ ، وـجزـاءـ اـحـسـنـ الـجـزـاءـ ، كـنـاءـ ماـ قـدـمـ مـنـ خـدـمـاتـ جـلـيلـةـ لـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ وـتـرـاثـهاـ وـاحـسـنـ هـرـاءـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ الـتـيـ يـتـقـدـمـ بـهـ رـكـنـاـ مـنـ أـرـكـانـ نـهـضـتـهـ ، وـوـقـعـ تـلـامـذـتـهـ لـمـوـاـصـلـةـ اـدـاءـ رسـالـتـهـ فـيـ خـدـمـةـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ وـتـرـاثـهـ ، وـهـسـىـ انـ يـتـقـومـ الـجـمـعـ الـعـلـمـيـ الـعـرـبـيـ بـجـمـعـ جـبـيعـ مـتـالـاتـ التـقـىـدـ وـبـحـوـثـهـ الـتـرـقـةـ فـيـ اـمـدـادـ مـجـلـةـ الـجـمـعـ وـغـيـرـهـ مـنـ الـمـجـلـاتـ وـطـبـعـهـاـ حـتـىـ يـمـ اـنـتـنـاعـ بـهـ ، وـتـسـهـلـ الـاستـنـادـ مـنـهـاـ ، نـانـ مـجـلـةـ الـجـمـعـ - مـثـلاـ - مـلـاـ - عـلـىـ اـمـبـيـتـهـ الـكـبـيرـ مـحـدـودـةـ الـاـنـتـشـارـ جـداـ فـيـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ .

كـماـ انـ الـوـاجـبـ اـكـيـدـ اـيـلـاهـ مـنـاـهـ خـاصـةـ لـتـارـ التقـىـدـ الـخـطـوـطـهـ حـتـىـ تـخـرـجـ لـلـوـجـودـ وـيـسـتـبـدـ مـنـهاـ تـرـاءـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ كـلـ مـكـانـ .

وـشـكـراـ جـزـيلاـ لـوـزـارـةـ الـاـرـشـادـ عـلـىـ بـثـيـبـاـ لـهـذـاـ الـعـلـمـ الـجـلـيلـ وـاتـاحـتـهاـ لـهـذـهـ الـفـرـصـةـ الـتـيـ مـكـنـتـ زـمـرـةـ مـنـ اـهـلـ الـنـكـرـ الـعـربـيـ انـ يـجـتـمـعـوـاـ فـيـ دـارـ السـلـامـ الـتـيـ اـفـتـتـ الـنـكـرـ الـعـربـيـ وـالـاسـلـامـيـ بـالـاـلـفـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـلـلـيـنـ الـذـيـنـ اـنـجـبـتـهـمـ فـيـ مـصـورـهـاـ الـزـاهـرـةـ ، وـالـذـيـنـ تـادـ الـكـثـيـرـوـنـ مـنـهـمـ الـنـكـرـ الـاسـلـامـيـ وـالـعـربـيـ فـيـ مـخـلـفـ اـنـحـاءـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ وـالـاسـلـامـيـ عـدـةـ تـرـونـ .

عـادـةـ الـعـلـمـاءـ الـوـاقـئـينـ كـتـبـهـ عـلـىـ الدـارـسـ ، وـنـعـلـ ذـلـكـ تـبـلـهـ اـبـنـ النـجـارـ ، وـبـلـنـ اـبـنـ السـاعـيـ بـمـقـبـرـةـ الشـوـيـزـيـةـ بـالـجـانـبـ الـفـرـقـيـ مـنـ بـغـدـادـ ، وـهـيـ مـقـبـرـةـ الـمـوـنـيـةـ وـذـوـيـ الـشـرـبـ الصـوـفيـ وـانـ لـمـ يـتـصـوـنـواـ ، وـلـيـهـاـ دـنـنـ الـجـنـيدـ الصـوـفيـ الـزـاهـدـ الـمـشـهـورـ ، وـلـاـ يـزالـ تـبـرـ الـجـنـيدـ مـعـروـنـاـ مـزـورـاـ .

وـمـنـ شـيـوخـ الـمـوـلـكـ اـبـوـ الـبـيـانـ الـمـكـبـرـيـ الـمـسـوبـ عـلـيـهـ ( شـرـحـ دـيـوـانـ اـبـيـ الطـيـبـ الـشـبـيـ )ـ الـمـطـبـوعـ فـيـ مـرـةـ مـعـ اـنـ تـالـيـفـ عـلـيـفـ الدـيـنـ عـلـىـ بـنـ عـدـلـانـ الـمـوـصـلـيـ الـمـوـلـيـ سـنـةـ 666ـ مـ .

### الـاـمـرـافـ بـالـجـمـيـلـ

وـقـدـ كـرـ المـحـقـقـ التـنـوـيـ بـنـضـلـ مـاـسـيـنـيـوـنـ الـذـيـ كـتـبـ عـلـيـهـ مـخـبـراـ بـوـجـودـ الـمـخـطـوـطـةـ فـيـ اـسـتـانـبـولـ .ـ كـمـاـ نـوـهـ بـالـاسـتـاذـ ( اـحـمـدـ آـتـشـ )ـ الـتـرـكـيـ الـذـيـ مـسـرـ الـمـخـطـوـطـةـ بـالـمـاـيـكـرـ وـفـيـلـ (ـ يـعـنيـ الشـرـيـطـ الـدـقـيقـ )ـ .

وـهـذـاـ تـجـدـ التـقـىـدـ يـعـرـفـ لـكـلـ ذـيـ نـضـلـ بـنـذـلـهـ وـلـاـ تـشـعـرـ اـنـهـ يـحـاـوـلـ فـيـطـحـقـ اـحـدـ مـنـ يـرـدـ ذـكـرـهـمـ فـيـ كـلـامـهـ ، وـهـوـ اـذـ كـانـ حـرـيـصـاـ عـلـىـ بـيـانـ الـاخـطـاءـ الـتـيـ وـقـعـتـ بـيـهـاـ الـمـؤـلـفـوـنـ لـهـ يـعـبـرـ مـنـ ذـلـكـ بـعـبارـاتـ مـهـذـبـةـ وـلـيـةـ ، مـعـ التـمـاسـ الـاـهـذـارـ لـكـلـ مـخـطـنـ وـفـيـلـ ، وـفـيـ كـثـيـرـ مـنـ بـارـاتـهـ الـتـيـ اـوـرـدـنـاـهـاـ سـابـقـاـ اـمـثـلـةـ عـلـىـ ذـلـكـ .

وـقـدـ عـلـقـ عـلـىـ وـصـفـ الـمـوـنـقـ بـالـاـمـامـ :ـ وـلـمـ يـكـنـ الـمـوـنـقـ اـمـاماـ ايـ خـلـيـفةـ ،ـ بـلـ كـانـ وـلـيـ مـهـدـ ،ـ فـانـ سـعـ انـ هـذـاـ تـوـلـ الـمـوـلـكـ بـهـ خـطـاـ ،ـ وـلـعـلـ الـاـصـلـ الـاـمـيرـ .

### الـتـوـافـصـ

وـبـرـجـوـ الـمـحـقـقـ اـنـ لـاـ تـخـلـوـ تـعـالـيـتـهـ مـنـ مـاـشـدـةـ يـطـلـبـنـاـ الـتـارـيـخـ فـيـ اـثـنـاءـ قـرـاءـتـهـ الـكـتـابـ ،ـ وـبـالـبـاحـثـ عـنـ اـسـتـادـهـ مـنـهـ ،ـ وـبـيـزـيدـ :ـ وـلـاـ اـبـرـيـهـ نـفـسـيـ مـنـ تـعـصـيـرـ وـلـاـ مـنـ ذـهـولـ مـاـ نـشـرـ كـتـابـ مـخـطـوـطـ اـوـلـ مـرـةـ لـاـ يـلـغـ الـكـمالـ فـيـ كـلـ الـاحـوالـ .

# الفِكُرُ الْعِلْمِيُّ الْعَرَبِيُّ

الرواية  
في شخص العباس بن فرناس

## حَكَمَ الْأَنْدَلُسَ

الرَّسْتَادُ سَعِيدُ الرَّبِيعِيُّ  
عَصْرُ الْجَمِيعِ الْعَالَمِيِّ الْعَرَبِيِّ

ومناظرات ومجادلات علمية ، وما يلقبه علماء الاندلس من طريف ما أخدواه من المارة .

ويقصد المجالس الأدبية ، ويستمع إلى شيوخها استماع متبع ، يريد أن يستفيد مما يجري في العلاقات وال المجالس ، مما كان يلقى شعراً الاندلس وأدباً لها من جميل النظم والنشر ، ومن غريب الأخبار واللغة التي أخدوها من أهل الشرق .

وكان يتزدّد إلى أصحاب الفنون الرفيعة ، يستمع إلى الأصوات التي وضعوها ، والآلات الموسيقية التي يوتّعون عليها .

درس كتب الطب ، وخصائص الامراض وأعراضها ، وطرق الوقاية منها ، وملاج من أصبه بها .

درس خصائص الأعشاب والأشجار والنباتات ، ووقف على ما تفيده في المراجحة ، وكان يقصد الإطماء والصيادة ويتناقض فيما ظهر له من اطلاعه وتجاربه في هذا العلم الجليل ، الذي يحفظ صحة المجتمع ، ويقيه شر الأمراض .

ابو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس التاكريسي الاموي بالولاه - أحد أساطين العلم والأدب والفن في الاندلس .

لم تقف على ولادة هذا العالم الجليل ، والذين ترجموا له ذكرها : أنه توفي سنة 274 هـ ( 884 م ) وأنه أربى على الشمائل ، ف تكون ولادته في آخر القرن الثاني للهجرة ( حوالي سنة 194 هـ )

اصله من برارة « تاكريتا » ونشأ في قرطبة ، ماسمة الدولة الاموية ، وهي - إد ذات - مركز العلم والأدب والفن في أوروبا ، يشدون إليها الرحال ، ويقتبسون من معارف العرب وفنونهم وصناعاتهم ، التي كانت تبهر عقولهم ، وتأخذ بالبابهم .

في هذا المعنى الراهي بالعلوم والمعارف ، شب ابن فرناس ، وكان ذكي الذؤاد ، سريع الحفظ ، دقيق النظر .

تعلم القرآن الكريم ، ومبادئ الدين الحنيف في الكتايب التي كانت كثيرة في قرطبة ، ثم أخذ يرتاد العلاقات العلمية ، التي كانت تعقد في جامع قرطبة ، ويستمع إلى ما يجري فيها من محاضرات

وأبو القاسم لم يكن من هذا الرعيل القائمه بالسهل البسط ، بل كان يدقق ما يدرسه ، ويتحقق ما يفهمه ، ويتغير ما يقرره ، ويطبق عملياً ما يحتاج إلى العمل ، ليتأكد صحة المدح ، ويستفيد مما أخذ ، فهو أحد العلماء العاملين ، الذين وصفوا أنس الحسارة العلمية والمطيبة في الاندلس : سهلوا الطريق ، وشرحوا الفاعل ، ويسروا المسر ، وابتكروا آلات علمية و المعارف مطيبة .

فأبو القاسم من العلماء الذين علموا وعملوا : عكف على تحقيق القضايا التي درسها ، وهيا لنفسه ما يحتاجه منه من آلات دقيقة ، وأدوات مختلفة والأجهزة العلمية - التي ساعدته على اظهار علومه ومعارفه عملياً ، ورسم طريقة مثل لاهل بلاده . وهي محاولة تطبيق العلم على العمل ، بحيث يتحققون ما يدرسوه ، ويصنعون لأنفسهم الآلات والأدوات العلمية التي يحتاجونها من غير أن يتكلوا عن غيرهم ، وبذا يحق لهم أن يكونوا علماء عاملين ، يسمى بهم ، ويرثى لهم ، ويغتر بآرائهم المزيدة بالعمل بعد العلم .

وعلى هذا فابو القاسم فاق أهل عصره في طرائقه العملية ، نبرز في ملوك وعلماء وعراوف أوجدها من تجاريته في التوليد والاختراع ثم الابتكار ، ومن ذلك :

1 - على صناعة الكيمياء ، وأقام بتجارب وفحوص مختلفة ، واحتدى إلى حقيقة ، لم تكن معروفة عند الاندلسيين ، منها : أنه استنبط صناعة الزجاج من نوع من العجارة ، وبذا يسر للاندلسيين صناعته من مادة بخسة الثمن ، سهلة التناول ، فانتشرت صناعته في الاندلس ، وتغدو فيها .

2 - على علم الفلك والتنجيم ، رائد النجوم والكواكب في انلاكمها ومداراتها ، وصنع الآلات التي تساعده على الرصد . وما صنفه الآلة المعروفة « بذلك الحق » ورلتها إلى الامير محمد بن عبد

واشتهر بين أطباء مصره ، فاتخذه الامراء الامويون (1) طيباً خاصاً لمعالجة الاسرة الحاكمة ، يشرف على صحتهم وطعامهم ، ويرشدهم إلى أرجح الطرق في معالجة مرضاهم .

درس الفلسفة والمنطق والنجوم والعلوم الروحانية ، وجمع الكتب التي تبحث عنها ، والتي محب الحصول عليها ، وترأها قراءة مدققة ، واستفاد منها وأفاد قومه .

اشتغل بال نحو و دقائق الامر اب ، واطبع على آراء النحاة في التعليق وصار من نحاة عصره في الاندلس ، يلخص منه وذكره الزيبيدي في الطبقة الثالثة من نحاة الاندلس ، وقال منه : كان منتصراً في فروض من الاعراب .

كان يقصد أهل الصناعات الرفيعة ، ويدتق باعمالهم وصناعاتهم ، وفنونهم الدقيقة ، ويسالمون من سر ما لم يهدى إلى معرفته بنفسه ، فاقتبس منهم صناعات وعراوف سعادته على ابراز ما علمه ، مما يحتاج إلى عمل آلات علمية .

وهكذا صار أبو القاسم العباس بن فراس متضللاً بعدها علوم وفنون وصناعات ، وآداب مختلفة ، نبرز على علماء زمانه ، بما افرد به من معارف وعلوم لم تهبا لغيره من أهل الاندلس ، حتى انهم اطلقوا عليه « حكيم الاندلس »

## - 2 -

كثير هم الذين تخلعوا من العلم بالأمور البسطة ، التي يسمى لهمها . وبالنظريات المجردة يتكللونها من غيرهم ، ولم يكفلوا أنفسهم عناء البحث والتدقيق فيما درسوه ، أو تحقيق ما علموه ، ولم يحاولوا تطبيق العلم على العمل ، ليتأكدوا من صحة ما نقل إليهم ، أو أخدوه من غيرهم .

(1) اتصل ابن فراس بثلاثة امراء - وكان مقرباً اليهم وهم على التوالى :

1 - الحكم بن هشام 188 - 206 هـ - 803 - 821 م

2 - مبد الرحمن بن الحكم 206 - 238 هـ - 852 - 821 م

3 - محمد بن مبد الرحمن 238 - 273 هـ - 886 - 852 م

عليها اذا ما طارت في الفضاء ، وكان له خير مساعد على هذا تفوقه في العلوم الطبيعية والرياضية والكيمياء ، فاطلع على خواص الأجسام ، واجتمع لديه من المعلومات ، ما حمله على ان يجرب الطيران بنفسه .

كسا نفسه بريش التخله من سرقى العرير (1) ، لثاثته وقوته ، وهو يتناسب مع ثقل جسمه ، وصنع له جناحين - من العرير ايضا - يحملان جسمه اذا ما حرکهما في الفضاء ، وبعد ان تم له كل ما يحتاج اليه هذا العمل الخطير ، وتأكد ان باستطاعته اذا ما حرک الجناحين ، فانهما سيحملانه ويطير في الفضاء ، - كما تطير الطيور - ويسهل عليه التنقل بهما اينما شاء .

اعلن للناس انه يريد ان يطير في الجو ، وان طيرانه سيكون من الرصافة - ظاهر مدينة قرطبة - فاجتمع الناس فيها ليشاهدو البطل يتهدى في سماء قرطبة .

صعد ابو القاسم فوق مرتلع ، وحرک جناحيه ، وقفز في الجو ، وطار في الفضاء مسافة بعيدة عن محل التي وقف فوقه ، والناس ينظرون اليه بدعشة واعجاب ، يهلكون له ، وشاعرهم يقول :

يعلم (2) على المتقاء في طيرانها  
اذا ما كسا جنانه ريح نشم

ولما هم بالنزول الى الارض ، تاذى في ظهره ، وفاته ان الطالر انتا يقع على زمكه ( ذيله ) ، ولم يكن يعلم موقع الذنب في الجسم الناه هبوطه الى الارض ، فاصيب بما اصيب من اذى .

هذه اول عملية جريئة يقوم بها حكيم الاندلس ، يجرب الطيران بنفسه ، وينجح بعمله الى حد ما ، وهذا النجاح الذي سجله حكيم الاندلس ، دفع الناس

الرحمن الاموي : وكتب عليها ابياتا من نظمه تناسب الآلة ، وما تقوم به من عمل :

قد تم ما حملتني من آلة  
اعيا الفلسفة العجائب دوني

لو كان بطليموس الهم صنعة  
لم يشتغل بعجاوی القانون

فإذا رأه الشمس في آفاقها  
بعثت اليه بنورها المحررون

ومنازل القمر التي حجبت مما  
دون العيون بكل طالع حبس

يبدون فيها بالنهار - كما بدت  
في الليل في ظلماتهن الجسون

3 - عمل الميكانيك لمعرفة الاوقات - وهي تقوم مقام الساعة في يومنا هذا ، ورغمها الى الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكتب عليها من نظمه :

الا انني للدين خبير اداة  
اذا غاب عنكم وقت كل صلاة

ولم تر شمس بالنهار ، ولم تشر  
كوناكب ليل ، حالك الفلامات

بین امام المسلمين « محمد »  
تجلت عن الاوقات كل صلاة

4 - التخل في داره هيئه السماء ، وصور فيها

الشمس والقمر ، والكوناكب ومدارانها ، والفيوم والرعد والبرق ، فكان من اماجيب الصنعة والابتكار .

5 - انه اول من طار وحقق في الهواء - كما تطير الطيور وهذا من الاختراعات المدهشة التي قام بها

« حكيم الاندلس » .

قام بعدة تجارب تمهيدية ، درس بها ثقل

(1) شق العرير الابيض والواحدة سرقى  
(2) طم : ملا ، غلب ، والتشم : المتن من النسور .

بالاقدام على محاولة الطيران ، فكان عمله نواة طيبة  
نمط واذ هررت ثم المرة .

على ان تصويره في كيفية النزول الى الارض  
سالما ، لا ينقص من دقة عمله ، وخطوته العريضة ،  
بالاقدام على الطيران بصورة فعلية . فان كل ميل في  
بدايته ، تعقبه دراسات مديدة ، تكمل نواصمه ،  
وتهدب طرقه ، وتحسن عمله ، وهكذا يكون في تقدم  
مطرد مع الزمن ، وحاجة الانسان ، وما زالت  
الدراسات المتتالية تجري على الطيران ، حتى شاهدنا  
سفنًا عظيمة تطير في الفضاء ، حاملة عددا لا يستهان  
به من المسافرين ، مع امتعتهم والاقالم ، تقطع  
المسافات البعيدة ، بساعات معدودات ، كان هذا  
بفضل التجارب التي قاموا بها ، وفي مقدمتهم حكيم  
الأندلس — والفضل للتقدم —

ثم اعقبه بعد قرن من الزمان ، رجل عالم  
فاضل من الشرق ، هو : اسماعيل بن حماد  
الجوهري المتوفى سنة 393 هـ (1003 م) . ولكن  
عمله لم يكن من دراسة ، وإنما من خاطر خطر بياله ،  
نكان خاتمة حياته (1) .

هذا ما قام به المسلمون في المغرب والشرق من  
محاولة الطيران ، فنجع حكيم الأندلس ، ولاقي  
حتله عالم الشرق ، ولكنها فتحا بابا واسعا من اى  
بعدهما في الاقدام على هذا العمل النافع .

كان العباس بن فرناس اديبا شاعرا ، وله شعر  
كثير في أغراض مختلفة ، اتصل بالباطل الاموي ،  
نكان شاعرهم — كما كان طبيبهم — وعاش في اكتاف  
أمرائهم ونظم لهم الشعر في مختلف الأغراض :  
 مدح أمراء البيت المالك ، ووصف حروبهم  
 ومعاركهم مع الاعداء — وقد يشارك بنفسه فيما —

ووصف مجالس الانس والطرب ، وما في نصوصهم من  
جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، وملامب  
وكواب ، ومصالدهم ومطاردهم — وكان يراقصهم بها ،  
رافق الامير محمد بن عبد الرحمن ، لما سار الى  
اخماد ثورة اهل « طipple » مع حلفائهم النصارى  
سنة 240 هـ (854 م) ف الواقع فيهم الامير ، وأحمد  
الثورة بعنف وشدة وشتت التائريين . فقال ابن  
فرناس يصف هذه الواقعة :

ومؤتلف الاصوات مختلف الرحف  
لهم الفلا ، قبل القبائل مختلف

اذا امضت فيه الصوارم خلتها  
بروقا تزوى في السماء وتستخفى

كان ذرى الاملام في ميلانها  
قراقير في يم ، مجرن من القذف

بكى جيلا وادي سليط فاسولا  
على التفر العبدان ، والمعبة الفلف

يقول ابن بوليس لوسى — وقد ادى —  
ارى الموت قدامي وتحني ومن خلفي

قتلت لهم الفا والفا ومئها  
والفا والفا بعد الف الى الف

سوى من طواه النهر في مستحاته  
نافرق ليه ، او تهدى في جرف

لقد نعمت فيه فراحة سورنا  
وسمعت الدقات فسفا على قصف

ووصف ما آلت اليه طipple من الدمار  
والتخريب ، وهم الامير قنطرتها الشهيرة فقال :

(1) كان اماما في اللغة والادب ، وخطه يضرب به المثل في الجودة ، لا يكاد يفرق بينه وبين خط « ابن مقلة » سافر في طلب العلم ، واخذ من مدة شيوخ وخالف الامراء في بلاد ربيعة ومفسر ، وصنف كتابه المشهور « الصحاح » في اللغة واستقر في نيسابور على التدريس والتاليف ، وتعليم الخط ، وكتابة المصاحف ، وله مدة كتب .

ذكر في الطيران ، واعتقد أن في مقدور الانسان ان يتغير اذا ما ادخل له جناحين ، كجناحي الطير ، ولكنه لم يتم بدراسات تمهيدية يجرب بها ما افترضه — كما فعل حكيم الأندلس — فانه صعد سطح الجامع القديم في نيسابور وقال : ايها الناس اني عملت في الدنيا ما لم اسبق اليه ، فساممنا للآخرة امرا لم اسبق اليه ، وضم الى جنبيه مصراحي بباب ، وتابطهما بجعل ، وطscar في الفضاء ، — ولم يكن موقفنا بعمله ، فان مصراحي الباب لم يحملانه في الفضاء ، بل سقطا به على الارض ومات . نكان عمله هذا دراسة سطحية اجمل كبير .

انسحت طبلطة مطلة  
 من اهنا ، في قبضة المقر  
 تركت بلا اهل تؤلهمها  
 مهجورة الاكشاف ، كالقبر  
 ما كان يبقى الله نظره  
 نصب لحمل كتاب الكفر  
 وله تعيدة يعني بها الامير محمد بعودته من  
 طبلطة ، موافقاً عيد الأضحى المبارك أولها :

ان القبول الذي اودى بعدين الخ ..

ولما جدد الامير محمد قصور الرصافة ، التي كان  
 قد شيدتها جده « صقر قريش » عبد الرحمن  
 الداخل ، وزينها بجميل الخارف والكتابات وجعلها  
 من اجمل القصور بهاء ورونقا ، فقال ابن فرناس فيها :

كان قصور الأرض بعد تمامه  
 كثیر له أخفى شخوصاً من الدر  
 فاعجب من امثالها الفرر التي  
 يقيم بين البرد في دعوة الحر  
 وتنتشر الابصار منها إلى مدى  
 الشenze بالاطياد والوحش والزهر  
 كان الذي يخفي الحديث بنجوها  
 على اخفض الاصوات يشدوا على وتر

وكما كان يتحف الامراء بالآلات الدقيقة الصنع ،  
 كان يتحفهم بهدايا طريقة نفيسة ، نظم اربعة ابيات ،  
 وكتبهما بالذهب على تفاحة ، ورفعتها الى الامير محمد ،  
 اولها :

محمد اكرم مستخلف  
 من خلفاء الله في الأرض  
 فسر الامير ، وامر ان يفتح بها ، وكانت ابا  
 القاسم من كل بيت بائف دينار ، وقال : لو زادنا  
 لزدناه .

كان ابو القاسم مرهف الحس ، واسع الخيال ،  
 يستهويه جمال الطبيعة ، وسحرها الخلاب ، دقيق  
 الوصف ، وكيف لا يصف مباحج الاندلس ، ومناظرها

حيث على كشحية من برحاته  
عستان : فهو لم يوق لم يطلق  
حلت عامة راسه فنفوت  
منا مفارقته ، بمثل الرنيق  
وله شعر رقيق يستهوي القلوب ، كقوله :  
فبتنا وانواع النسيم ابتداانا  
ولا غير عينها ، وعني كالي  
الى ان بدا وجه الصباح كانه  
جبين فناة ، لاح بين حجال  
وقوله متغلا :

واحور ما يعني العيون من الفسق  
له كدب في الجد ، احلى من العدق  
والحسن في خديه شمس مقيمة  
وبدر كمال لا يحسور الى محقق  
وما العيش الا ميّة الهجر والموى  
باحور ، ما يبقى هواه ، وما يبقى

- ٤ -

كان ابن فراس موسيقيا مبدعا ، ينظم الشعر ،  
ويضع اللحن ، ويقتضي به ، ويولع على المود ،  
واشتهر بما وضعه من قطع جميلة كانت من نظمه  
وتؤديعه ، وكان أمراء قرطبة يزورون مجالسهم  
باتشاده ومرنه ، واكثر الامراء حبا له هو الامير محمد  
ابن عبد الرحمن ، فناد يوما صوتا من نظمه وتلحينه  
اوله :

الجمل ليس فيه نور  
والعلم ثغر نوره مشهور  
فاجزل له المطام .

ومما يدلنا على سرعة بدينته في نظم الشعر ،  
ووضع الصوت المناسب وحسن توقيعه على المود ،  
ما رواه المرباني ( في طبقات اللغويين وال نحوين )  
قال :

(١) مدينة غربى الاندلس

كان محمود بن أبي جعيل غلاما جوادا - وكان  
ماملا في اخريات أيام الامير عبد الرحمن بن الحكم  
ـ فعمل قبة ادم ـ بلغت الثقة فيها وفي وطالها  
خمسة دينار ـ فاكملت ضريبها على وادي لكة (١) ،  
ومنع شيئا ، جمع له اصناف الكورة ، ووافق ذلك  
اطلاق « عبد الملك بن جهور بن يوسف بن بخت »  
شياعه « بشدونة » فاستجلبه محمود مع بياض الكورة ،  
نشهد وشهدوا ، فلما تقضى طعامهم ، وصاروا إلى  
المؤمنة - ومنهم أحد بنى زرباب - طلع عليهم  
مباس بن فراس زائرًا لمحمود ، فقام محمود به  
والترمه ، وسر جميعهم بدوره ، ثم عرض عليه  
الطعام ، فطعم ، ثم صار إلى المؤمنة ، ودفع ابن  
زرباب يعني :

ولو لم يشقني الظامنون لشافي  
حمام تدامت في الدبار وقوع  
نداعين لاستبكيين من كان ذا هوى  
نوالع ساتجيري لهم دموع  
فاستعادوا الصوت امجابا ، فاعاده .

فلما تقضى فناة ابن زرباب ، مد العباس يده إلى  
المود ، فأخذه وفنى البيتين ، ووصلهما من عنده  
بديمة فقال :

شددت بمحمود يدا حين خانها  
زمان لاسباب الرجاء قطوع  
بني - لسامي الجود والمجد - قبة  
اليها جمیع الاجودین رکوع

وكان محمود جوادا ، فقال له : يا ابا القاسم ،  
افر ما يحضرني من مالي القبة وهي لك - بما فيها من  
كسوتي هذه - ونكون في فسيانتك بقية يومنا ،  
ودعا اليه بكوة للبسها ، ودفع اليه كسوته ، وكانوا  
بومهم كذلك ..

هذه القصة الطريفة من الفنان ابن فراس ،  
تعلمنا على ما كان عليه من النظم الذي يناسب

المقام ، وأنه كان يضع له الصوت ، ويفني بما يعجب  
المرزبـن في الفناء ، بل يفوقهم بذلك

- 5 -

هذا التفوـى في الموسيقى والإيقاع ، ساعدـه على  
حل اصطلاحات كتاب العروض للخليل بن احمد  
الفراهـيـدي (100 - 170 هـ - 786 م) أحد  
مـفاـخـرـ العـربـ وـالـاسـلـامـ .

ذـكـرـ المؤـرـخـونـ : لما دـخـلـ إلىـ الـانـدـلسـ كـتـابـ  
الـعـروـضـ ، للـخـلـيلـ بنـ اـحـمـدـ الـفـراـهـيـديـ وـصـارـ إـلـيـ  
الـأـمـيرـ مـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ الـحـكـمـ ، عـرـضـهـ عـلـىـ عـلـمـاءـ قـرـطـبـةـ  
وـأـدـبـائـهـ لـيـوـضـحـوـهـ لـهـ ، فـعـجـزـوـاـ عـنـ ذـلـكـ ، وـصـارـ  
الـكـتـابـ مـاـ يـتـلـهـ بـهـ فـنـ قـصـرـ الـأـمـيرـ ، حـتـىـ أـنـ بـعـضـ  
جـوـارـيـ القـصـرـ كـانـ يـقـولـ لـبـعـضـ : صـبـرـ اللـهـ عـقـلـكـ ،  
كـعـقـلـ الـذـيـ مـلـاـ كـتـابـهـ مـنـ : مـاـ وـمـاـ . فـبـلـغـ الـخـبـرـ إـلـيـ  
الـقـاسـمـ بـنـ فـرـنـاسـ ، فـتـقـدـمـ إـلـىـ الـأـمـيرـ ، وـطـلـبـ إـلـيـ  
إـخـرـاجـ الـكـتـابـ إـلـيـهـ ، فـفـعـلـ ، وـلـمـ قـرـأـ إـبـنـ فـرـنـاسـ  
وـتـدـبـرـهـ ، عـلـمـ اللـهـ فـيـ هـلـمـ الـعـروـضـ ، الـعـلـمـ الـذـيـ  
ابـتـكـرـهـ الـفـراـهـيـديـ ، وـضـبـطـ بـهـ بـحـورـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ ،  
فـنـكـ أـبـوـ الـقـاسـمـ فـوـامـسـهـ ، وـشـرـحـهـ لـقـوـمـهـ ، فـسـهـلـ  
عـلـيـهـمـ درـاسـةـ هـذـاـ الـفـنـ الجـمـيلـ وـالـاسـتـفـادـةـ مـنـهـ .

أـهـمـ المـصـادـرـ الـتـيـ عـولـنـاـ عـلـيـهـاـ فـيـ هـذـاـ الـبـحـثـ :

بغـيةـ الـلـتـمـسـ - للـضـبـيـ  
الـقـرـبـ فـيـ حلـ الـمـغـربـ - نـشـرـهـ شـوـقـيـ ضـيـفـ.  
جـذـوةـ الـقـتـبـ - للـحـمـيدـيـ .  
الـتـشـبـيـهـاتـ مـنـ اـشـعـارـ أـهـلـ الـانـدـلسـ - الـكـثـانـيـ.  
نـفـحـ الـطـبـبـ - الـقـرـيـ .  
الـحـلـلـ السـنـدـسـيـةـ - اـرـسـلـانـ  
معـجمـ الـادـبـاءـ - يـاقـوتـ  
بـيـتـيـةـ الـدـهـرـ - للـشـعـالـبـيـ .  
طـبـقـاتـ الـلـغـوـيـنـ وـالـنـحـوـيـنـ - الـزـيـدـيـ .  
وـفـيـاتـ الـأـمـيـانـ - إـبـنـ خـلـكـانـ  
بغـيةـ الـوـمـسـاـةـ - الـبـسـيـوطـيـ  
شـذـراتـ الـدـهـبـ - لـابـنـ الـمـمـادـ .  
مـقـالـ فـيـ المـدـدـ 22ـ مـنـ مـجـلـةـ الـعـرـبـيـ لـلـاستـاذـ عـنـسانـ .  
وـفـيـرـهـاـ مـنـ الـمـصـادـرـ ..

# أعلام اللغة

## أحمد فارس الشدياق

### الأستاذ محمد محيي الدين

إلى قرية الحدث على مقربة من بيروت سنة 1809  
فترعرع فيها ، وتعلم في مدرسة مين ورقه . ولما  
مات والده اكتب على المطالعة ، واحترف مهنة نسخ  
الكتب .

ولما مات أخوه بطرس الذي كان حبيس البطريرك  
الماروني في دير قنوبين خاف فارس على نفسه فعاد  
وطنه مغاضبا ، وسافر إلى القاهرة ليكون استاذ  
اللغة العربية عند رجال البعثات الأميركيين . وهنالك  
اكتب على دراسة اللغة العربية وعمل الاتصال بالائمة  
المصريين والعلماء ، فبلغ بعد اعماقها . ولذلك عهد  
به محمد علي الكبير إلى مصر بتحرير جريدة  
الحكومة : « الوقائع المصرية » .

وفي سنة 1824 ذهب إلى مالطة بناء على  
طلب المرسلين الأميركيين ، وليث في تلك الغزيرة  
أربع عشرة سنة يعلم في مدرسة هؤلاء ، ويصحح  
طبعومات مطبعتهم .

وفي سنة 1848 طلبه وزارة الخارجية  
الإنكليزية من حاكم مالطة ليعاون الدكتور « لى » على  
ترجمة التوراة ، فلبى طلبتها ومحث في لندن شهر  
سنوات تعرف خلالها بأكبر علماء أوروبا وأدبائها .  
ومن تلك الكتب « الواسطة » و« كشف المخبا »  
و« الفاريقا » الذي طبعه في باريس سنة 1855 .

وفي باريس ألف وأصدر كتاباً آخر أبرزها  
« سرالي » الذي كشف به الغطاء عن مظلمة اللغة

منذ بداية القرن التاسع عشر بزرت في كل من  
مدينة بيروت ، التي كانت مركزاً لولاية تحمل اسمها ،  
ولبنان في مهديه الانطامي والمعرفيه الممتازة ، بزرت  
نهضة هامة شملت النواحي الأدبية والاجتماعية  
والسياسية . وكان يرجع مصدرها إلى اختلاط هذا  
الشغر والجبل المشرفة عليه باوروبا وذلك بانتقال  
بعض رجال الدين المسيحي إلى مواصم الفرنج ،  
ويتدفق الإرساليات التبشيرية إلى هذين البلدين ،  
وتنافسها في إنشاء المدارس والكليات والمطابع ،  
بالإضافة إلى ما تخلل ذلك من قيام الشركات الأجنبية  
بالمشاريع العمرانية والاقتصادية ، وفي إسفار كان  
يقوم بها تجار بيروت إلى المالك الأوروبي وغيرها في  
سبيل التبادل التجاري .

وفي أواخر القرن المذكور كان شعار النهضة  
اهتمامًا باللغة العربية وآدابها ، وقد حمل لوادها  
أدباء من رجال الدين والدنيا نظموا الشعر وكتبوا  
المقالات وانشأوا الصحف والمدارس ليس في سوريا  
فحسب ، وإنما في غيرها من البلاد المجاورة ،  
واوروبا . وعلى قول جاحظ لبنان العاصي المرحوم  
مارون مبود احمد فارس الشدياق كان الرجل  
الأول في هذا البعث الاجتماعي ، وحامل لواء اللغة  
العربية .

— \* —

ولد فارس الشدياق في قرية مشقوت بلبنان  
سنة 1804 ، ولا حوال سيناسية انتقل والده منصور

ومن رأسهم مفتى البلدة ، والاعيان والادباء ، وكانت الرائيات والاعلام تمشي امام الجنائزه ، ومشائخ الطرق يمشون وراءها يهلوون ويكبرون .

وبعد الصلاة عليه في الجامع العمري الكبير ، وسماع المرائي من نظم ونشر ( على ما ذكرت جريدة لسان الحال في اليوم التالي نقل جثمانه الى قرية الحدث ، ولكن لم يدفن فيها ، وائماً دفن على مقربة منها في محلة الحازمية على جانب الطريق بين بيروت ودمشق حيث ثبّتت الدولة له ضريحًا مرموقاً على نسق مقامات الباشوات والحكام .

— \* —

في نهاية عام 1936 اجتمع في بيروت جمّهور من كبار الادباء والصحفيين والاعيان ، وقرروا الاحتفال بيوبيل الشدياق لمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، واختاروا لجنة ادارية منهم تتولى اعداد مهرجان كبير لاحياء ذكراه ، ولاعادة طبع آثاره . وقد شرفني المجتمعون بانتخابي رئيساً لهذه اللجنة ، ولكن الاسباب التي حالت دون دفن الشدياق في القرية التي ولد فيها ، حالت هذه المرة ايضاً دون قيام هذه اللجنة بما عهد اليها .

ونحن نترك الكلام هنا الى اديب لبنان الكبير مارون عبود . فهو قد ختم كتابه « سقر لبنان » الصادر سنة 1950 بفصل اطلق عليه اسم « صرخة في وَد » : اورد فيه ما اعتبره احتفالاً غير لائق من ملابسات وعقبات . وقال : « عندما ارسلنا الصرخة تلو الصرخة لم تحسب انها جبأها ستدّه في وَاد . فما اصدراها بضع مقالات ، في نهاية عام 1936 نذكر فيها العالم العربي باديب النهضة الحديثة ، وواسع حجر الزاوية في بنائها العلامة الراحل احمد فارس الشدياق حتى اهاب بنا صوت من بيروت : ان انزل العاصمة ، فهبطنا اليها شاكرين للأستاذ محمد جميل بيهم دعوه الى شربنا فيها الشاي والقهوة ، وأكلنا من الحلوي اقراصاً مختلفة . كنا اربعين ، ولكن غير الأربعين الحالدين ، فانتخبنا منا اثنين هشـر وسـولا ... حملناهم الدعوه للشدياق ، وارسلناهم كالغراف ... . كانت هنـنا مظـيمة يوم بـدـانـا ، وتـلكـ هـادـنـا ، نـارـ هـشـيم ، ثم تـنـطـيفـه ، فـماـ ذـاقـتـ الدـعـوـةـ حتىـ اـبـعـثـتـ الـبـصـمـ ، وـاتـانـاـ منـ القـاهـرـةـ نـبـاـ الدـكـتـورـ فـيلـيـبـ الشـدـيـاقـ ( ابنـهـ المـرـحـومـ ) يـتـبعـ بـعـائـةـ جـنـيهـ مصرـيـ لـعـلـ تـمـثالـ

الـعـرـبـيـةـ . وـصادـفـ انـ جـاءـ بـارـيسـ وـقـتـئـ اـحمدـ باشاـ باـيـ تـونـسـ ، فـمدـحـ الشـدـيـاقـ بـقصـيـدةـ كانـ اوـلـهاـ « زـارـتـ سـعـادـ » ، ثمـ بـعـثـ بهاـ اليـهـ بـعـدـ عـودـةـ الـبـايـ الىـ بلـادـهـ فـاعـجبـ هـذـاـ بـهـ ، وـارـسـلـ يـسـتـقـدمـهـ الىـ تـونـسـ عـلـىـ سـفـيـنةـ بـخـارـيـةـ لـبـيـحـ الشـدـيـاقـ عـلـيـهـ هوـ وـهـالـتـهـ .

وـفـيـ تـونـسـ فـمـرـ الـبـايـ الشـدـيـاقـ بـنـعـمـهـ ، وـفـنـدـهـ اـسـمـ النـاصـبـ ، وـفـضـلـاـ عـنـ مـدـيـرـيـةـ الـمـارـفـ مـهـدـ اليـهـ بـرـيـاسـةـ تـحرـيرـ جـرـيـدةـ الرـاـئـدـ التـونـسـيـ . وـفـيـ فـمـرـةـ هـذـهـ النـعـمـ اـعـلـنـ فـارـسـ الشـدـيـاقـ اـسـلـامـهـ ، وـاضـافـ اليـهـ اـسـمـ اـحـمـدـ ، وـتـكـنـيـ بـاـيـ العـبـاسـ .

وـجـيـنـيـلـ ، وـقـدـ ذـاعـ مـيـتهـ فـيـ الشـرـقـ وـالـغـربـ ، اـسـتـدـعـهـ السـلـطـانـ مـبـدـ المـجـيدـ العـمـانـيـ بـوـاسـطـةـ الـبـايـ . وـلـمـ جـاءـ دـارـ السـعـادـةـ « اـسـطـامـبـولـ » وـحـبـ بـهـ السـلـطـانـ ، وـمـهـدـ اليـهـ بـاـدـارـةـ الـمـطـبـعـةـ السـلـطـانـيـةـ طـوـالـ عـدـةـ سـنـوـاتـ . وـفـيـ سـنـةـ 1861 اـنـشـأـ الشـدـيـاقـ جـرـيـدةـ الـعـرـائـبـ ، فـكـانـ تـنـطـقـ بـلـسـانـ الشـرـقـ ، وـمـرـجـمـاـ لـلـصـحفـ الـأـوـرـوـبـيـةـ فـيـ الـقـصـابـيـاـ الشـرـقـيـةـ الـتـيـ كـانـ يـطـلـقـ عـلـيـهـ « الـسـالـةـ الشـرـقـيـةـ » . وـكـانـ هـذـهـ الـعـرـيـدةـ تـحـلـ لـوـاءـ الـعـرـبـ وـالـعـرـيـةـ الـأـمـرـ الـدـىـ الـأـنـسـيـ إـلـىـ اـسـكـانـهـ سـنـةـ 1884 .

وـفـيـ 1886 زـارـ اـحـمـدـ الشـدـيـاقـ الـقـاهـرـ ، وـهـوـ شـبـخـ ، فـاـكـرـمـهـ الـخـيـدـيـبـيـ تـوـفـيقـ باـشاـ ، وـنـوـهـ بـخـدـمـانـهـ لـلـشـرـقـ اـنـفـلـ تـنـوـيـهـ ، وـلـكـنـهـ معـ ذـلـكـ ظـلـ يـحـنـ الـعـاصـمـةـ الـعـمـانـيـةـ فـعـادـ اليـهـ ، وـقـضـىـ نـجـبـهـ فـيـهـ سـنـةـ 1887 . وـقـدـ اـحـتـفـلـ بـمـالـهـ اـحـسـ اـرـادـةـ سـنـيـةـ بـدـفـنـهـ فـيـ تـرـيـةـ السـلـطـانـ مـحـمـودـ ، بـيـنـماـ رـوـثـهـ مـحـفـ الـعـالـمـ عـلـىـ اـخـلـافـ لـقـائـهـ ، وـتـنـقـلـ الـبرـقـ نـعـيـهـ اـلـىـ الـعـوـاصـمـ الـأـخـرـىـ . وـقـالـ مـنـهـ جـرـيـدةـ الـأـجـيـبـيـشـيـانـ فـازـيـتـ مـاـ يـلـيـ : « ضـعـ الـكـتـبـ الـأـنـجـلـيـزـ سـكـبـ وـأـمـرـسـونـ وـدـاـورـ درـوـثـ وـوـايـكـنـفـ وـبـلـويـزـ فـيـ شـخـصـيـةـ وـاحـدـةـ فـجـيـنـيـلـ يـمـكـنـكـ انـ تـصـوـرـ جـيـداـ عـلـمـةـ اـحـمـدـ فـارـسـ الشـدـيـاقـ . وـلـوـ لـدـ الشـدـيـاقـ فـيـ اـورـوباـ لـدـفـنـ مـعـ نـخـبـ الـمـلـمـاءـ ، وـلـنـصـبـتـ لـهـ التـمـاثـيلـ فـيـ اـكـثـرـ مـدنـ بـلـادـهـ . »

ولـكـ الشـدـيـاقـ ( عـلـىـ مـاـ جـاءـ فـيـ دـائـرـةـ مـعـارـفـ الـبـشـرـيـةـ ) كـانـ يـرـيدـ انـ لاـ يـدـفـنـ فـيـ فـيـرـ مـسـقـطـ رـاسـهـ وـلـذـلـكـ فـانـ وـلـدـهـ سـلـيـماـ التـمـسـ الاـذـنـ بـاـنـ يـدـفـنـ فـيـ قـرـيـةـ الـحـدـثـ هـمـلاـ بـوـصـيـةـ وـالـدـهـ . وـكـانـ يـوـمـ تـقـلـ جـثـمانـهـ اـلـىـ لـبـانـ منـ اـهـمـ اـيـامـهـ ، كـماـ كـانـ يـوـمـ اـسـتـقـبـالـ جـثـمانـهـ فـيـ بـيـرـوـتـ يـوـمـ مـشـهـودـاـ اـشـتـرـكـ فـيـ الـلـمـاءـ

لتفقد لكي يطلب معونة الحكومة ، بل اعلن لزائرته حالا انه سيخصم مبلغنا من المال تسع به حالة موازنة المعارف يكون فاتحة الاكتتاب الذي ستجريه اللجنة لتحقيق منهاجاها ، ووهد بأن تشارك مدرسة الصنائع والفنون مع احد مهندسي الحكومة لترجمة الصريح ، فخرج الوفد من زيارته شاكرا » .

ومضى مبود يقول :

« راحت وزارة ابي شهلا ، وجاءت بعدها وزارة ابي اللمع ، ثم سقطت هذه واجهت وزارة ثابت ، ولكن الوزارات لم تكن تحل وترتبط ، فمثنت القضية على قدم وساق الى الاضححال ..

وهكذا ارتحت همة لجنة الشدياق ، اذ علم الامضاء الكرام ، والرئيس المهام انهم ينفعون في رماد ..

وهنا امرأب المرحوم مارون عبود من اسفه على ما افترض يوبيل الشدياق الخمسيني من عقبات ، ولكنه قال : « فلا باس ان تركنا التمثال للذرية فلمها تكون خيرا منا فللجنة تمثال بودلير نامت راهه رباع قرون » .

اما وقد مضى 35 عاما على موعد يوبيل الشدياق الخمسيني توقي خلاصها الداعي الاول لهذا اليوبيل ، واشرفت على اللحاق به حين ان احدا من الذرية لم يذكر في الاحتفال بذكرى الشدياق فاني احببت ان اذكر العالم العربي بمجلة «اللسان العربي» المعترمة ، بالرجل الفذ الذي خدم هذا اللسان خدمات لم يقم فيها احد سواه في مصره ، ولعل الذكرى تنبع المؤمنين .

للقيد ، وتواتت جاسات اللجنة المختارة حتى خطر بيالها ان تقرع باب الحكومة ، فمئة نيلب شجعتها ... أما كرم الحكومة فكان حائما ... واليك ما كتبته جريدة صوت الاحرار العطبرية على السر تلك المقابلة تحت هذا العنوان الضخم « الجمهورية اللبنانية تقدر توابتها » .. « اوفدت لجنة تكرييم امام اللغة العربية وحياتها في القرن الناسع عشر المسؤول عليه احمد فارس الشدياق اربعة من اعضائها : السادة محمد جميل بיהם رئيسها ، والشيخ يوسف زكريا ، وكرم ملحم كرم ، ويوسف يربك فقابلوا فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل ادله طلبوا اليه التلطف بقبول جمل المهرجان تحت رعاية فخامة ، وقد استقبل اللبناني الاول وله اللجنة بحفاوة وقال : « انه شخصيا يعطى على مشروعها ويقدر حق قدره ، ولكنه يطلب الى الوفد ان يجتمع بمعالى وزير التربية الوطنية ويتفق معه على تقرير الامر ، ملا بنصوص الدستور ... وذهب الوفد الى معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فلتى من وزير التربية الوطنية كل عطف وتشجيع ، وقال : انه مستعد لتسهيل مهمة اللجنة بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية ، وقد تلطف وشكر اللجنة باسم الحكومة اللبنانية على اهتمامها بتكرييم نابعة لبناني من نوابع امة العربية ، ووهد بقبول رعاية المهرجان.

وقد بسط معالي الوزير منهج اللجنة لتكريم الشدياق ، ومنه اعادة طبع بعض مؤلفاته ، واختيار مختارات منها ، ثم اقامة تمثال له ، وترجمة ضريحه في الحازمية ، وجعل مدة المهرجان أسبوعا كاملا يشترك فيه المستشرقون ، ووفود الاقطار العربية وشعراؤها وكتابها . ولم ينس معالي الوزير المجال

# تَارِيخُ جَامِعَةِ الدُّولِ الْعَرَبِيَّةِ

## الشيخ طه الوطبي " بيروت "

هذه المرة لم تعتمد على موظفيها العاديين في البلاد العربية امثال السير هنري مكمامون ، وائماً كلفت وزير خارجيتها بالذات ، المستر انطوني ايدن ، بإطلاق تصريح سياسي قال فيه :

« لقد خطط العالم العربي خطوات واسعة في طريق الرقي ، وهو يقمع الان الى تحقيق نوع من الوحدة يجعل منه عالماً متماسكاً ، ويرجو ان تسامده بريطانيا المظمى في يلوغ هذا الهدف . ويسرني ان أعلن باسم حكومة صاحب الجلالة من ترحيب بريطانيا بهذه الخطوة ومن استعدادها لمساعدة القائمين بها حالماً توفر لديها الادلة على تأييد الرأي العام العربي لها » .

غير انه بالرغم من المكانة الرسمية التي يتمتع بها المستر ايدين في حكومته ، فان تصريحه المثير لم يحدث اثره المطلوب في نفوس القادة العرب . لأن هؤلاء كانوا ما يزالون غير مقتضعين بقوة الحلفاء ولاسلامة موقفهم العسكري ، من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان العرب على مختلف اوساطهم كانوا غير مؤمنين بصدق نوايا الانكليز الذي سبق لهم ، الناء الحرب العالمية الاولى ، ان تنكروا لوعودهم ومهودهم التي اسروا في اغداها على الشريف حسين ، امير مكة ، حين استدرجوه للثورة على دولة الغلافة العثمانية الاسلامية . فلما انتصروا على اعدائهم ، لم يتورعوا عن اعتقاله في جزيرة قبرص ، واحتلال الشرق العربي وتقسيم بلاده فيما بينهم وبين حلفائهم الفرنسيين على ما هو معروف ، ولا داعي لذكره في هذه المناسبة .

كان عام 1941 بالنسبة للحلفاء مشحوناً بالمتاجرات والمنامب . وفي اثنائه احرزت قوات الالمان التصارات العسكرية ساحقة على اكثر الجبهات العربية سواء في اوروبا حيث سقطت فرنسا ضربة تحت اقدام الغزاة وتفتت قوات الحور بقيادة رومل على طول شمال افريقيا حتى الحدود المصرية ، وبذا للناس في كل مكان ان هتلر سبب سيد العالم بلا منازع .

وقد ادى هذا الوضع العالمي الى تحريك المشاعر القومية في بلاد الشرق العربي . فنالت الاوساط الوطنية المتحمسة بائارة الجماهير للانتفاض على السلطات العلية باساليب مختلفة ، بلفت احياناً حد الحركات المسلحة ، كما حدث مثلاً في العراق حيث اهلن الجيش العراقي الحرب بصورة رسمية على القوات البريطانية التي كانت ترابط في البلاد ، واستولى على السلطة بعد ان انطر الوصي على العرش وحكومته للهرب من العاصمة بغداد والاعتصام في البصرة تحت حماية القوات الانجليزية التي كانت ممارتها البحرية قريبة منها .

وعلى الرغم من ان الجيوش العلية كانت ولا تزال قادرة على اخماد كل حركة محلية تقوم ضدتها ، بل هي احمدتها بالفعل ، بالرغم من ذلك فان الحكومة البريطانية وجدت ان من مصلحتها يومئذ معالجة المواطنون العرب هناك بالتي هي احسن ، فلجلات الى نفس الاساليب التي سبق لها ان ابعتها في الحرب العالمية الاولى ( 1914 - 1918 ) بيد انها في

وكان تصريح المستر انطونى ايدن الاول بتاريخ 29 ايار 1941 . وفي 24 شباط سنة 1943 جاء ايدن بتصريح جديد ، كرر فيه ما كان قد مرره في السابق من بليل خدمات بريطانيا لمساعدة العرب على تحقيق امانهم في الاتحاد والتحرر ، وذلك في معرض رده على سؤال وجه اليه من قبل احد اعضاء مجلس العلوم البريطاني .

ثانيا ، وكذلك تصريح فرنسا الحرة على لسان الجنرال كاترو . قد قوبل بالافتراض والشك من حكومة سموكم واتاح لها ، على فتوتها ان تدرس الموقف السياسي الحاضر في البلاد التي تختلف من سوريا ولبنان وشرق الاردن وفلسطين ، وتمثل المجموعة السورية المرافقة التاريخية ، وانها لترحب اجمل ترحيب بهذين التصريحين وتسجيلها وتعتبرهما امترانا بجذارة البلاد السورية بالاستقلال والوحدة ، ودليل على تقدير بريطانيا العظمى وفرنسا الحرة للمناخ المشترك التي يمكن ان يضمنها استقلال البلاد العربية السورية ووحدتها للدولتين الحليفتين وللمرء انفسهم سواء في ايام السلم او ايام الحرب . وبناء على هذا الرأي ترى ( اي الحكومة الاردنية ) ان تتفضلا وتسمحوا لها بالاتصال بالحكومات المشار إليها والتعاون وإياها على العمل لتحقيق الغابات الآلية وجمع الكلمة وتوحيد الرأي العام ، وانهما مستند في اقتراحها هذا الى الامور الآتية :

تضمن تصريح المستر ايدن ان الحكومة البريطانية مظيمة العطف على قضية الاستقلال السوري وأنها مستعدة لتأييد السعي الذي يبذله فريق من زعماء العرب لإيجاد نوع من الوحدة العربية .. وان ذلك ليعد اكبر تأييد من الحكومة البريطانية واعظم مطاف منها على القضية العربية .

ثم تضمن قرار الحكومة الاردنية ، الناطق التي ردها مبررة لما جاء فيه .

على ان الحكومة البريطانية استقبلت مذكرة الامير عبد الله وقرار حكومته بفتح ملحوظ وكلفت معتمدتها في الاردن بالجواب عليه في مذكرة جاء فيها :

« .. ان فخامة المندوب السامي ( بفلسطين ) قد احال الامر الى حكومة جلالته .. وامر الى بان ابلغ سموكم رد حكومته بالنص التالي :

« ان المثل الاعلى للوحدة العربية والاستقلال هو مستحود على عطف حكومة جلالته الشام ، على ان القضية يرجع امرها الى تبصر العرب انفسهم ، عندما يكون اليدان اكثر جلاء مما هو عليه في الوقت الحاضر . اما فيما يتعلق بالقرار الموجود قيد النظر ، فان حكومة جلالته تلزم رأيها التأكيد ان كل تقارب من الحكومة السورية او من اية حكومة اخرى من الحكومات ، كانت تضعها حكومة شرق الاردن

ويبدو ان الظروف في سنة 1943 كانت ، بالنسبة للخلفاء افضل منها في سنة 1941 . نظراً لتحول الموقف العسكري بوجه مام الى صالحهم ، فاستقبل ساسة العرب التصريح الانجليزي الثاني بروح ايجابية ، الذي بدا لهم وكأنه فرصة ذهبية ، لا يجوز تفويتها على امتهن ولاسيما وان الحلفاء في ذلك الحين ، ارادوا تبديد الشكوك فيما يقولونه ، فانهروا فرصة انسحاب قوات المحور وفي جملتها قوات حكومة فيشي التابعة لهم ، من منطقة الشرق الاوسط ، فاغلب يقول ، رئيس الحكومة الفرنسية المؤقتة امترافه باستقلال سوريا ولبنان ، كما اهلن الانجليز مزتهم على الاعتراف باستقلال امارة شرق الاردن فيما بعد .

وبالفعل كان اول رد فعل لتجاوب العرب مع المبادرة البريطانية جاء من قبل الامير عبد الله بن الحسين حاكم شرق الاردن الذي كان اول من اعرب عن استجابته لتصريح ايدن ، معلنًا بان العرب سيجتمعون حالاً ، لدراسة التصريح المذكور ، والتصرف على ضوء ما تضمنه من مروض ووهد .

وكان الامير عبد الله يرى ان الظرف اصبح ملائماً للعمل على تحقيق حلمه في بعث مملكة له تضم البلاد السورية في جميع اجزائها التي انتسماً بالخلفاء فيما بينهم بعد الاحتلال الذي فرضوه عليها في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فوجئ مذكرة الى الحكومة الانجليزية بناشدها فيها الغاء الانتداب من شرق الاردن اسوة بالاقطاع السوري الآخر ليتمكن من السعي مع تلك الاقطاع للوحدة تمهدًا للملك الذي يطمع به . وايد الامير مذكرة هذه بان ارسل معها صورة عن قرار اتخذه مجلس الوزراء الاردني بتاريخ اول تموز سنة 1941 جاء فيه :

« ان التصريح البريطاني الاخير على لسان المستر ايدن اولاً ، ولسان السير مايلر لميسون

نصب مبنها ينفي ارجاؤه ريشما تفدو الحالة اثـر استقراراً .

ولم تكن استجابة الامير عبد الله هي الوحيدة التي قوبل بها تصريح ايدن من قبل العرب ، بل ان نوري السعيد قام بدوره بتقديم مذكرة عرفت يومها « بالكتاب الازرق » الى المستر كيزري وزير الدولة البريطانية في الشرق الاوسط ، وقد اعرب هذه المذكرة عن ترحيب العراق بالمبادرة الانجليزية التي وردت على لسان المستر ايدن .

### بيان مصطفى النحاس باشا

ان البيانات التي اصدرها المسؤولون في الاردن والعراق لم ترك اي صدى في الدوائر العربية الاخرى لأن الوضع السياسي في كلتا الدولتين المذكورتين لم يكن يحظى بتاييد هذه الدوائر ولا يرضاهما ، فاتجهت الانظار الى مصر كبرى الدول العربية . وفي غضون اسابيع قلائل تناقلت وكالات الانباء ان مصطفى النحاس باشا ، رئيس الحكومة المصرية كلف وزير العدل في حكومته ، المرحوم صبري ابو علم باشا باي لقسي يوم 30 ماذار سنة 1943 ، باسمه وبصفة رسمية ، البيان التالي :

« اني من قديم معنى باحوال الامم العربية والتعاون على تحقيق اعمالها في الحرية والاستقلال ، سواء في ذلك ، اكنت في الحكم او خارج الحكم ، وقد خطوت في ذلك خطوات واسعة ، صادفتها التوفيق بان اتجه نظام الحكم في بعض الاقطاع العربية الاتجاه الشعبي الصحيح . ومنذ اعلن المستر ايدن تصريحه تذكرت فيه طويلاً ، وقد رأيت ان الطريقة المثلثة التي يمكن ان توصل الى غاية مرغبة ، هي ان تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية ، واتهبت من دراستي الى انه يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع اراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من اعمال كل على حدتها ، ثم تبذل جهودها للتوفيق والتقرير بين اعمالها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، ثم تدموهم بعد ذلك الى مصر بما في اجتماع ودي لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسئ للوحدة العربية كجبهة متحدة بالفعل ، فإذا ما تم التفاهم او كاد ، وجب ان يعقد في مصر مؤتمر برئاسة الحكومة المصرية لاماكل بحث الموضوع واتخاذ ما يراه المؤتمر من القرارات محققاً ما تنشده الامم العربية .»

ويمكن تفسير هذا الموقف السريع والحادي الذي بادر الى اتخاذ مصطفى النحاس باشا من تصريح المستر ايدن ، بأن مصر ارادت ان تدخل الى الحركة العربية من بابها الواسع ، وأن يكون لها في هذه الحركة الدور الرئيسي الفعال ، فلا ترك ، لا للأمير عبد الله ولا لنوري السعيد الاستقلال باخذ المبادرة في توجيه النشاط العربي سواء من الناحية القومية او من الناحية الرسمية ، وهذا ما يعنيه بالفعل ، لركيز بيان النحاس باشا على ان تتولى مصر بالذات الدعوة لعقد المؤتمر العربي في اراضيها وبرئاسة رئيس حكومتها دون سواه .

ونظراً لكانة مصر في العالم العربي وفعاليتها في اليدان الدولي العالمي ، فإن بيان النحاس باشا احدث تأثيره السريع لدى المحافل العربية ، فاستجابت له الحكومات العربية على الفور وكان اول المستجيبين الحكومة العراقية فاولفت وزير داخليتها المرحوم تعين العسكري ومعه جميل المدفعي احد رؤساء الحكومة العراقية السابقين لاجراء مشاورات رسمية مع الحكومة المصرية حول ما جاء في بيان النحاس باشا لاتخاذ الخطوات العملية التي من شأنها اخراج فكرته الى حيز التنفيذ . واتفق الطرفان ، مصر والعراق ، على توجيه الدعوة الى الحكومات العربية كي ترسل ممثلين عنها للمشاركة في هذه المشاورات في مؤتمر تحضيري ، يعقد لهذا الفرض في مدينة الاسكندرية . وقد روى الافتخار يومئذ على الدول العربية المستقلة وكان مددها خمسة وهي : سوريا والاردن والعراق ولبنان ومصر . وقد لبى هذه الدول الخمس دعوة الحكومة المصرية لحضور هذا المؤتمر التحضيري وفي جملتها الاردن نفسه ، الذي ارسل موافقته في كتاب حمله الى النحاس باشا نوري السعيد باشا ، جاء فيه : حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس

باشا ، رئيس الوزارة المصرية الافخم كتابي هذا الى مقامكم الرفيع مع حضرة صاحب الفخامة نوري باشا السعيد ، وقد زارنا بممان وسيزور مصر ليرى رغبتكم في القضية العربية التي قد استمرت انكارانا عنها ملاوة على ما يعلم فخامتها من المبدأ القديم الذي سار عليه بيتنا في القضية العربية . واثنا لنشكر لرغبتكم على ميلكم للأخذ باليد والعمل على التعاون الاخوي الواجب علينا جميعاً في اطارنا المحبوبية ، واثنا حين تكتب كتابنا هذا ، نتمنى لرغبتكم الصحة والعلمية والتوفيق في جميع الاممال .» .

## مؤتمر الاسكندرية التحضيري

استمر انعقاد المؤتمر الذى دعا اليه النحاس باشا فى مدينة الاسكندرية طوال المدة الواقعة ما بين 25 ايلول و 7 تشرين الاول من سنة 1943 . وفي نهايتها أصدر المؤتمرون بياناً رسمياً ، عرف فيما بعد باسم « بروتوكول الاسكندرية » ، وجاء في مقدمة هذا البيان :

أو غيرها للتوفيق بينهما . وتللف منذ الان لجنة فرعية من اعضاء اللجنة التحضيرية لإعداد مشروع نظام « مجلس الجامعة » وبحث المسالى السياسية التي يمكن ابرام اتفاقات فيها بين الدول العربية . » وقد تضمن هذا البيان « البروتوكول » بالإضافة الى نقراته الأساسية قراراتين خاصين ، احداهما من لبنان والاخر من فلسطين . ويمكن تلخيص المبادئ العامة الواردة في هذا البروتوكول بما يلى :

« التعاون في الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها وتدعم هذه الروابط في المستقبل » . وجرى التوقيع النهائي عليه في ادارة جامعة فاروق الاول بالاسكندرية يوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1944 والذين وقعوا عليه هم :

من مصر :

مصطفى النحاس ، رئيس الحكومة  
احمد نجيب الهلالي ، وزير المعارف العمومية  
محمد سبري ابو علم ، وزير العدل  
محمد صلاح الدين ، وكيل وزارة الخارجية  
من سوريا :

سعد الله الجابري ، رئيس الحكومة.  
جميل مردم ، وزير الخارجية .  
نجيب الارمناري ، امين السر العام لرئاسة الجمهورية  
من الاردن :

توفيق ابو الهوى ، رئيس الحكومة  
سليمان السكر ، سكرتير مالي وزارة الخارجية  
من العراق :

حمدى الباجه جى ، رئيس الحكومة  
نوري السعيد ، رئيس سابق للحكومة  
ارشد العمرى ، وزير الخارجية  
تحسين العسكري ، وزير المراقب المفوض  
بمصر .

من لبنان :

رياض الصلح ، رئيس الحكومة  
سليم نقل ، وزير الخارجية  
موسى مبارك ، مدير فرقه رئيس الجمهورية

« البيانات للصلات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين البلاد العربية جماعة ، وحرصاً على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتجيئها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصلاح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانها وسلامتها ، واستجابة للرأي العربي العام ، في جميع الاقطار العربية قد اجتمعوا اي المؤتمرون ) بالاسكندرية بين يوم الاثنين 8 شوال سنة 1963 الموافق 25 سبتمبر 1943 ويوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1943 في هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي العام وتم الاتفاق بينهم على ما يلى :

اولاً : تألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام إليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى « مجلس جامعة الدول العربية » تتمثل فيه الدول المشاركة في « (الجامعة) » على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقيات وعقد الاجتماعات الدورية لتوفيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون فيها وصياغة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء ، بالوسائل الممكنة والمتيسر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها . وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يتبعها ، فيما عدا الاحوال التي يقع فيها خلاف بين دولتين من اعضاء الجامعة ويليها الطرفان الى المجلس للفصل في هذا الخلاف ، فين هذه الاحوال ، تكون قرارات « مجلس الجامعة » نافذة ومنزمه ، ولا يجوز على كل حال الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة ، وكل دولة أن تعتد مع دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الاحكام أو روحها . ولا يجوز في أية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو أية دولة منها . ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يعشش منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة

## اجتماع القاهرة والقرار ميثاق الجامعة

ولما كان اجتماع الاسكندرية عبارة عن مؤتمر تحضيري، والبيان الذي أطلق منه عبارة عن بروتوكول اعدادي ، فان الحكومات العربية التي شاركت في هذا الاجتماع ووافقت البروتوكول ، كلفت من بينها لجنة فرعية لصياغة مشروع نهائى فى تنظيم المبادئ التى تقوم عليها جامعة الدول العربية وهى كلها الادارى . وقد قامت هذه اللجنة بما عهد إليها وقدمت هذا المشروع بشقيه السياسي والأداري فى غضون مدة قليلة لم تتجاوز الاسابيع الثلاثة ، وفي 22 ماذار سنة 1945 ، انعقد مؤتمر هر بي عام اشتراكه فيه مندووبون رسميون عن الدول التى سبق لها ان وافقت على بروتوكول الاسكندرية من قبل ، وقد انضم الى المجتمعين فى هذا المؤتمر مندووبون عن المملكة العربية السعودية والملكة المتوكلية اليمنية ، بعد جهود شخصية بذلها عبد الرحمن عزام باشا لدى المرحوم الملك عبد العزيز مال سعود الذى لم يكن فى ذلك الوقت على علاقة طيبة مع مصر وال العراق لأسباب تاريخية معروفة .

وبعد ان ناقش المؤتمرون فى القاهرة المواد التى عرضت عليهم ، ادخلوا عليها بعض التعديلات التى راوها ضرورية لتجاه المؤسسة القومية التى ي يريدون تأسيسها ثم ذيلوا ما انفقوا عليه بتوافقهم . وكان ذلك فى قصر الزمردان بالقاهرة يوم الخميس 8 ربى الثاني سنة 1364 الموافق 22 ماذار سنة 1945 . وكانت السامة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، بعد ان الفوا كلمة «بروتوكول الاسكندرية» ووضعوا مكانها عناوانا واخر وهو ««ميثاق جامعة الدول العربية»» . والذين وفروا هذا الميثاق نيابة عن دولهم هم السادة :

من سوريا :

فارس الخوري ، رئيس الحكومة  
جميل مردم ، وزير الخارجية

من الأردن :

سمير الرفاعي ، رئيس الحكومة  
سعید المفتي ، وزير الداخلية  
سلیمان النابلسي : نائب سر الحكومة

من العراق :

ارشد العمري ، وزير الخارجية

على جودت الايوبي ، وزير العراق المفوض  
باشطن

تحين العسكري ، وزير العراق المفوض  
بمصر .

من المملكة السعودية :

الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير الخارجية  
خير الدين الزركلى ، مستشار المفوضية  
السعودية بمصر

من لبنان :

عبد الحميد كرامي ، رئيس الحكومة  
يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بمصر  
من مصر :

محمد فهمي التقراشى ، رئيس الحكومة  
محمد حسين هيكل ، رئيس مجلس الشيوخ  
عبد الحميد بدوي ، وزير الخارجية  
مكرم عبيد ، وزير المالية  
عبد الرزاق السنورى ، وزير المعارف  
القومية

عبد الرحمن عزام ، الوزير المفوض بوزارة  
الخارجية

اما اليمن فقد ارسلت الى صنعاء نسخة الميثاق  
حيث وقعتها مندوب المملكة المتوكلية اليمنية وبذلك  
تكون جميع الدول التى اشتراك فى مؤتمر القاهرة  
قد وقعت ميثاق الجامعة بلا استثناء .

يوم 22 ماذار سنة 1945 هو ميلاد جامعة  
الدول العربية رسميًا

تنص المادة العشرون من الميثاق ، وهي اخر  
مادة فيه :

« يصدق على هذا الميثاق وملحقه ، وفقا للنظم  
الاساسية المرتبة فى كل من الدول المتعاقدة وسودع  
وثائق التصديق لدى الامانة العامة . ويصبح  
الميثاق نافذا قبل من صدق عليه بعد اتفاقيه خمسة  
عشر يوما ومن تاريخ استلام الامين العام وثائق  
التصديق من اربع دول » .

وقد نفذت الدول العربية المتعاقدة مضمون هذه  
المادة خلال ايام متقاربة ، واودعت حكومات هذه

بصمة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها . كل ذلك من افراصها تعاون الدول المشتركة فيها لتعاونها وليلاً بحسب نظم كل دولة منها واحوالها في الشؤون الآتية :

1 - الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والمملة وأمور الرعاية والصناعة .

2 - شؤون المواصلات ، ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

3 - شؤون الثقافة

4 - شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسلیم الجرائم

5 - الشؤون الاجتماعية .

6 - الشؤون الصحية .

### ملاحق الميثاق

ويعد أن مددت مواد الميثاق أنواع النشاطات المختلفة التي تقوم بها الجامعة فان مندوبي الدول العربية الذين اشتراكوا في اعداد الميثاق بصيغته النهائية ، كانوا حريصين من تضمينه ملحقا خاصا بالقضية الفلسطينية قالوا فيه :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المسألة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولابية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة نفسها ، غيرتابعة لابية دولة أخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لا أصحاب الشأن فيها . وإذا لم تكن قد مكنت من تولي امورها ، فإن ميثاق المصبة (عصبة الأمم ) في سنة 1919 لم يقر النظام الذي وضعه لها الا على أساس الاعتراف باستقلالها . لوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه ، كما انه لا شك في استقلال البلاد العربية الأخرى . وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت معجوبة لاسباب قاهرة ، فلا يسع ان يكون ذلك حالا دون اشتراكها في اعمال مجلس الجامعة ، ولذلك ترى الدول المؤتمرة على ميثاق الجامعة العربية ، انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة ، والى ان يتمتع هذا النظر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله » .

الدول ونائب التصديق على الميثاق حسب الترتيب التالي :

المملكة الأردنية الهاشمية بتاريخ 10 نيسان 1945

المملكة المصرية بتاريخ 12 نيسان 1945

المملكة العربية السعودية بتاريخ 16 نيسان 1945

المملكة العراقية بتاريخ 25 نيسان 1945

الجمهورية اللبنانية بتاريخ 16 ايار 1945

المملكة المتوكلية اليمنية بتاريخ 19 ايار 1945

الجمهورية السورية بتاريخ 9 شباط 1946

وعلى هذا شأنه ابتداء من يوم 11 ايار 1945 أصبح ميثاق جامعة الدول العربية نافذ المفعول بشكل رسمي ، غير ان الرأي التقى بالاتفاق على ان يكون يوم 22 ماذار 1945 هو المصادق الرسمي لتأسيس الجامعة ، ذلك ان مندوبي الدول العربية المجتمعين في القاهرة وقعوا بمجموعهم تقريبا الميثاق في هذا اليوم .

ونظرا لأهمية هذا الحدث القومي في تاريخ الامة العربية ، فقد قررت جميع الدول المشتركة في الجامعة اعتبار هذا اليوم عينا قوميا تعطل فيه سائر الدوائر والمؤسسات العامة في بلادها من كل عام .

### خلاصة الميثاق

وميثاق جامعة الدول العربية يقع في مشرب مادة الفقه عليها جميع الدين وقعوا عليه لتكون قاسما مشتركا ضمن الحدود التي توافقوا على التزامها فيما بينهم ، سواء في علاقاتهم بعضهم البعض او في علاقتهم مع غيرهم من الدول الأجنبية .

وقد عبرت المادة الاولى من هذا الميثاق من طبيعة الجامعة وافراصها ومبادئها اذ نصت انه :

« تألف جامعة الدول العربية من الدول المستقلة الموقعة على هذا الميثاق ، وكل دولة عربية مستقلة الحق في ان تنسق الى الجامعة ، فإذا رغبت في الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الامانة العامة الدائمة للجامعة ، ويعرض على المجلس في اول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب » .

كما نصت المادة الثانية على ان :

« الفرق من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية لتحقيق التفاوض بينها وصياغة لاستقلالها وسيادتها والنظر

## اختيار القاهرة مقراً للجامعة

اما بضد المكان الذي ينخد مقرًا رئيسياً لإقامة امين عام للجامعة بصورة دائمة مع الدوائر الادارية التي تتبع له مباشرة ، فقد روى ان يكون في مدينة القاهرة . وقد روعي في هذا الاختيار مكانة مصر في العالم العربي ، وهي المكانة التي تستمد قوتها وقوتها من الامكانيات الضخمة التي تتوفر لهذا القطر الكبير سواء بالنسبة لعدد سكانه او بالنسبة للظروف المعنوية التاريخية التي جعلت منه كياناً قومياً تكاملت له اسباب الرهامة الفكرية عن طريق ما فيه من المؤسسات العلمية الكثيرة، الى جانب الرهامة الدينية عن طريق وجود الجامع الازهر الشريف في ارضه . وعلى هذا فقد نصت المادة العاشرة من ميثاق الجامعة :

« تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة على ان يجتمع في اي مكان آخر يعينه » .

## النص على مصرية الامين العام للجامعة

وبعد اختيار مدينة القاهرة مقراً دائماً للجامعة، فان اعضاء مجلس الجامعة رأوا ان يكون كذلك منصب الامين العام لهذه المؤسسة وفقاً على واحد من المصريين ، لا يناظرهم في ذلك غيرهم من الشعب العربية . وقد أكد المجلس ذلك بالنص عليه في الملحق الذي أضافوه في آخر الميثاق وهو يقضي ببيانه النصب الخطير الى عبد الرحمن عزام باشا نظراً لخبرته في الشؤون العربية وسابقته في خدمةعروبة في مختلف اقطارها وامصارها .

## الفارق المحسوس بين بروتوكول الاسكندرية وميثاق القاهرة

وما دمنا قد تحدثنا فيما سبق من ميثاق الجامعة بموجبه وملحقيه ، فاننا لا نرى باسا من ان نتناول بكلمة عاشرة الظروف والملابس التي جعلت من هذا الميثاق يختلف في بعض مواده الرئيسية وملحقيه الافانية من البروتوكول الذي اصدره المؤتمر التحضيري في الاسكندرية عندما اجتمع في هذه المدينة بدفعة من مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية .

ولقد كان اختيار الشخصية العربية الفلسطينية موضوعاً شائعاً بالنسبة لامضاء الجامعة ، وذلك بسبب الاوضاع الصعبة التي كانت تعانيها فلسطين تحت وطأة الاحتلال الانجليزي وهموم الخطر اليهودي الذي يهددها بالزوال من خريطة العالم العربي ، وكذلك بسبب غياب زعميمها سماحة السيد محمد امين الحسيني ومحبته من قادة التضليل الفلسطيني ، في المتنقلات وال蔓اني السحيقة .

غير ان مجلس الجامعة رأى الخروج من هذا المأزق الحرج بتبني اقتراح قدمه السيد محمد صلاح الدين باشا . وهذا الاقتراح يقضي بتعيين السيد موسى العلمي ممثلاً عن فلسطين في ذلك الحين ، وكان الذي وجه نظر صلاح الدين باشا الى هذا الشخص الاستاذ محمد علي الطاهر المجاهد العربي المعروف . والسيد موسى العلمي الذي كان حينئذ مقيماً بمصر هو من رجال فلسطين المثقفين الذين يتمتعون بسمعة مرموقة واسم طيب ، وكان يشغل في بلده فلسطين ایام الاحتلال البريطاني وظيفة مساعد النائب العام .

## موضوع الدول العربية غير المستقلة

وكذلك فان ميثاق جامعة الدول العربية لم يشا ان يحصر اهتمامه بالدول العربية المستقلة ، بل انه تضمن الى جانب الملحق الخامس بفلسطين ، ملحقاً واخر خاصاً بالتعاون مع البلاد العربية فيسر المشتركة في مجلس الجامعة بسبب وقوفها تحت السيطرة الأجنبية كـ لا تحرم هذه الدول وما هو في حكمها من المساعدة في نشاطات الجامعة داخل لجانها المتعددة . وقد جاء في الميثاق في هذا الصدد انه: « نظراً لأن الدول المشتركة في الجامعة ستباشر في مجالها وفي لجانها شيئاً فشيئاً يعود خيراً والرها على العالم العربي كله ، ولأن امانة البلاد العربية فيسر المشتركة في المجلس ينبغي ان يرعاها وان يعمل على تحقيقها فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص ان توفر مجلس الجامعة عند النظر في اسرائيل تلك البلاد في الم atan المشار إليها في الميثاق ، بأن يذهب في التعاون معها الى ابعد مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك بـ ان لا يدخل بهذا لتعرف حاجاتها وتفهم اهانها وآمالها ، وبيان يعمل بعد ذلك على صلاح احوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيئة الوسائل السياسية من اسباب » .

ويمكن القول ان ابرز مواطن الاختلاف بين الميادين وبين البروتوكول ، تكاد تنحصر في موضوعي لبنان وفلسطين .

ملحق لبنان في البروتوكول

تضمنت الفقرة الرابعة من بروتوكول الإسكندرية  
قراراً خاصاً بليبيا هذا نصها :

« زؤيد الدول العربية الممثلة في اللجنة التحضيرية  
مجتمعها احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده  
الحاضرة ، وهو ما سبق لحكومات هذه الدول أن  
امنرت به بعد أن انتهت سياسة استقلالية اعلنها  
حكومة بيانها الوزاري الذي نالت عليه موافقة المجلس  
الشامي اللبناني بالاجماع في 7 أكتوبر 1943 »

اما الميثاق فقد خلا خلوا تماما من الاشارة الى لبنان ، فلم يذكر هذا القطر فيه لا تصريحوا ولا تلميحا ، وليس من شك في ان تخصيص لبنان بممثل هذا القرار المستقل من قبل المؤتمرين بالاسكندرية كان بایحاء من المرحوم رياض بك الصلح الذي كان يتمتع باحترام جميع الرمادن العرب في داخل المؤتمر وخارججه ، ولعل المرحوم رياض بك اراد من وراء ذلك تطمئن بعض الفئات اللبنانيّة الانعزالية الى احترام الدول العربية المؤسسة للجامعة لكيان لبنان بصورة رسمية ونهائية ، هذا الكيان الذي لم يكن حتى ذلك العين يحظى لدى هذه الدول بالقبول والتاييد بسبب ما كان يحيط بنشوئه سنة 1920 من اعتبارات سياسية تتناقض مع الاماني الوطنية هذه العرب في ذلك العين ، فلقد اراد المرحوم رياض بك الالهادنة من المكانة السامية التي كان يحتلها في الاوساط العربية للدعم موقفه الشعبي في نفس لبنان من طريق بادرته هذه ، وبذلك يصب مصروفين بمحجر واحد ، كما يقول المثل السائري ، اثبات وجوده عربيا من جهة وتأكيد ولائه العسادق للبنان في حدوده التي خططتها الانتداب الفرنسي لدى بعض مواطنيه من جهة ثانية .

وَمَا سَاعَدَ رَئِيسَ الْحُكُومَةِ الْبَلْنَانِيَّةِ يَوْمَهُ عَلَى تَمْرِيرِ قَرَارٍ فِي صَلْبِ النَّصْرِ الرَّسْمِيِّ لِبَرْوَتُوكُولِ الْأَسْكَنْدِيرِيِّ أَنْ هَذَا الْقَرْأَرُ وَجَدَ هُوَ وَاسْتِجَابَةً فِي نَفْوسِ زَمَلَائِهِ الْمُؤْتَمِرِينَ الدِّينَ رَأَوْا الْفَرْصَةَ سَانِحةً أَمَامَهُمْ لِحَلِّ «الْعَلَمَةِ الْفَرِيزِيَّةِ» الَّتِي كَانَتْ تَنْهَى اُمَّاصَابَ فَرِيقَ مِنْ أَهْلِ «مُتَصْرِفَيَّةِ جَبَلِ لَبَنَانِ» الْقَدِيمَةِ،

وتشير في نقوسهم الشك والريب بكل ما هو عربى أو  
تتعلّم بالعروبة من قريب أو بعيد ..

يبد أن المؤتمر التحضيري الذي تحول في القاهرة إلى مجلس جامعة الدول العربية رأى المصالح المترادفة بين مصر والسودان، وأنه من المهم أن تتم مراجعة القرارات السابقة التي اتخذت في هذا الشأن، وأن يتم التوصل إلى اتفاق ينبع من المصالح المشتركة بين البلدين.

فلسطين وبروتوكول الاسكندرية

اما بالنسبة الى فلسطين فان بروتوكول الاسكندرية كان قد خصصها في نقرة الخامسة بقرار مستقل جاء فيه :

١ - ترى اللجنة ان فلسطين د肯 مهم من اوكان  
البلاد العربية وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها  
من غير اصرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي ؟  
كما ترى اللجنة ان التمهيدات التي ارتبطت بها الدولة  
البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية  
والمحافظة على الاراضي العربية والوصول الى استقلال  
فلسطين هي من الحقوق الثابتة التي تكون المبادرة  
الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب نحو استتاب  
السلم وتحقيق الاستقرار . وتعلن اللجنة تأييدها  
لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق أمانهم  
المشروعه وصون حقوقهم العادلة . وتصرح اللجنة  
بأنها ليست أقل ثالما من احد لما أصاب اليهود في  
أوروبا من الوبيلات والآلام على يد بعض الدول الاوربية  
الديكتاتورية ، ولكن يجب ان لا يخلط بين مسألة  
اليهود بأوروبا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على  
اختلاف اديانهم وذاهبيهم .

2 - يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في « مندوبية الأمة العربية » لانقاد اراضي المرب في فلسطين الى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع جهاته وعرض نتائجه البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقيد .

ومندما اجتمعت هذه اللجنة التحضيرية في قصر الزهران بالقاهرة واصدرت بيانها « ميثاق جامعة الدول العربية » يوم 22 اذار 1945 ، جاء نص الملحق الخاص بفلسطين مخالفًا جملة وتفصيلاً للقرار الذي

على كافة الفرق المعنيين . واخيراً تركوا البحث في هذا الموضوع تاركين للزمن مهمة البت في الوصف القانوني لمؤسساتهم لتفادي الحرج والانقسام والفشل فيما أخذلوا أنفسهم به لا سيما بعدما سمعوا زميلهم الاستاذ هنري فرهون ، وزير خارجية لبنان يعلن قائلاً : « عندما نعطي كياناً قانونياً للجامعة تصبح لها الشخصية الدولية ، ونفس البروتوكول لا ينص على ذلك ، فإذا أردتم موافقتنا فلتشرك هذه المسألة » .

وهكذا يمكن القول بأن شخصية جامعة الدول العربية من الناحية القانونية بقيمتها غير واضحة ولا محددة المعالم ، مما حمل أهل الدراسات في الفقه السياسي والتشريع الدولي على أن يعتبروها مجرد مؤتمر دائم للدول العربية يرمي إلى القيام بمهام خاصة ومحددة ، وعلى أنه « ليس لهذه الجامعة شخصية كاملة في السيادة والاستقلال سواء في الداخل أو في الخارج » . وهذا هو الرأي الذي تثبت به اعتماده مندوب لبنان الاستاذ هنري فرعون وعلق بقاء حكومته في الجامعة على أساسه .

**الجامعة العربية وعلاقاتها الدولية والعالمية**

هذا فيما يتصل بالشخصية القانونية للجامعة في المحيط العربي البحث . أما فيما يتصل بصفتها القانونية في المحيط الدولي والعالمي ، فان اواز الجدل حول هذا الموضوع لم يكن اقل احتداما منه في صدد الموضوع السابق . ذلك ان بعض الحكومات العربية وفي طليعتها لبنان كانت تصر دائما على ان تنفي من الجامعة الصفة القانونية التي تحولها حق التكلم باسمها في المحافل الدولية كهيئه الامم المتحدة ، او من طريق المراسلات الرسمية مع الدول الاجنبية الاخرى . وكانت معارضة هذه الحكومات قائمة على ان القول باعتبار الجامعة العربية هيئه اقليمية يتعارض ومتدا السبادة القومية لكل دولة من دولها على حدة .

و هنا لا بد من القول بأن الحكومة اللبنانية كان لها يومئذ التصريح الاولى في معارضته الصفة القانونية الدولية للجامعة ، وعندما كان عبد الرحمن عزام باشا يقوم في أمريكا بجولة دعائية لصالح القضية المصرية اثناء نظرها في مجلس الامن التابع لجامعة الامم المتحدة ، نقلت جريدة المصري من لسان الاستاذ هنري فرمون قوله :

تضمنه البروتوكول بهذا الصدد ، اذ رومي في نصي  
الميثاق عن فلسطين ، ان يدور في العموميات الخامسة  
التي لا تلزم اعضاء الجامعة بآية مبادرة محددة من أجل  
انقاذ فلسطين من الاخطار الاستعمارية والصهيونية  
التي كانت تهدد كيانها بالزوال والتي ازالته بعد ذلك  
بالفعل .

وقد أثار هذا الموضوع في قرار فلسطين باليثاق يومئذ تساؤلات كثيرة وددتها الصحف على السنة بعض القادة والزعماء الوطنيين . على أن هذه التساؤلات بقيت دون أي جواب من قبل المسؤولين العرب ، والتعليق الوحيد الذي مدر في حينها حول هذا الموضوع هو ما نسب إلى الأمين العام السيد عبد الرحمن عزام باشا من « الخواجات عاززين قوله .. »

وطبيعي ان هذا الجواب المنسوب الى عزام باشا ابقى علامه الاستفهام عالقة حيث هي في اذمان المتسائلين لأن عبارة « الخواجات عاززين كده » لم تحمل اليهم الجواب الذي كانوا يتوقعونه . وكل ما حصل هو ان الظنون الجهنط الى ان المقصد بالخواجات « هم الانكمايز » ، الامر الذي جعل الناس غير مطمئنين الى جدية الكلام الوارد في الميثاق بصدق قضية فلسطين والدي، يؤسف له ان الايام قد كشفت فعلا فيما بعد ان سوء ظن الناس كان في محله ! .

الصفة القانونية والوضع الدولي  
لجامعة الدول العربية

بعد أن قدمنا جامدة الدول العربية في إطارها القومي العام وأغراضها الوطنية المختلفة ، فإنه يجدر بنا أن نقدم هذه المؤسسة الهامة من خلال مفهومها القانوني سواء في ملاقاتها الرسمية باعضاً منها من الدول العربية أو فيما كانت تقوم به عن طريق أمينها العام من اتصالات مع حكومات الدول الأجنبية والمؤسسات العالمية كهيئات الأمم المتحدة واللجان المتفرعة عنها .

والملحوظ ، ان الذين وضعوا ميثاق الجامعة بما  
فيه من مواد أو ملاحق أو تنظيمات لم يحاولوا تحديد  
وضمنها القانوني لا هرليبا ولا دوليا ، وذلك على الرغم  
من أن البحث في هذا الوضع أثير أكثر من مرة وأستقطب  
اهتمام الدول الامماء واستدرجهم الى كثير من الحوار  
والمناقشات الجدلية التي تميز بالحدة والعنف . الا  
أن الأعضاء كانوا يدورون دائما حول الحمس دون أن  
يرتّوا في صيغة ، أو ينتهيوا منه الى رأي حاسم يجمع

« بما انه ليست للجامعة اية شخصية قضائية (اعله يزيد قانونية لإنه لا يخسн العربية السليمة) فان امينها العام لا يخرج من كونه موظفاً كبيراً ادارياً . ومن الواضح انه ليس له اية صفة لبذل مثل هذا المسمى على حساب الجامعة . وتعتبر هذه الجامعة بمثابة مؤتمر دائم للدول العربية ، وان الدول العربية تعرب من آرائها بواسطة حوكمانها وزرالها المفوضين » .

على انه مما يشير الى الدقة والاستقرار ان موقف لبنان من هذه المسألة كان ينافق بعضه بعضه حتى في نفس الحكومة الواحدة ، اذ بينما كان رأي وزير خارجية لبنان كما بینا آنفاً . فان رئيس الحكومة اللبنانية المرحوم عبد الحميد كرامي في ذلك الوقت نجده عند نظر قضية جلاء القوات الفرنسية من سوريا ولبنان يصر ، وفي مجلس الجامعة بالسدات بان « لبنان يتمسك بتحقيق الجامعة في كل مؤتمر يعقد بين الدول الكبرى لعلاج هذا الامر » .

اما مندوب سوريا المرحوم سعد الله بك الجابري فقد ذهب في الامتناد على قانونية الوجود الدولي للجامعة الى ابعد مدى حين قال : « ان سوريا تؤثر ان لا تمثل هي ويمثل مجلس الجامعة » .

وبالفعل فان المجلس قد أصدر يوم 5 يونيو 1945 بناء على طلب مندوبي سوريا ولبنان قراراً متضمناً هذا التمسك بتمثيل الجامعة وتفضيله على تمثيل الدولتين أصحاب الشأن المباشر ، وكان هذا القرار باجماع آراء الدول الممثلة في المجلس ، وهو اعتراف اكيد وصريح بالصلة القانونية الدولية للجامعة .

والواقع ان جامعة الدول العربية كانت تعتبر نفسها ذات شخصية دولية غير مشكولة في قانونيتها . وقد كان امينها العام عبد الرحمن عزام باشا يمارس نشاطه ويقيم اتصالاته وعلاقاته مع الحكومات الأجنبية والمنظمات الدولية من خلال هذا الامتيار . وعندما بحث مجلس الجامعة في اجتماعه العادي الخامس قضيتني ليبيا وفلسطين مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ، فان هاتين الدولتين تناطحتا رسمياً وبماشة مع جامعة الدول العربية في موضوع حلدين البلدين .

على انه في 13 حزيران 1946 حسم الجدل حول هذا الموضوع ، اذ اصدر مجلس الجامعة المنعقد في بلودان قراراً يوصي فيه الدول العربية بان تطالب الحكومة البريطانية بالامتناد بجامعة الدول العربية صراحة ، وان تعتبر ما يوجه اليها الامين العام ، ضمن

## حدود الميثاق صادراً من الجامعة بوصفها هيئة اقليمية قاتلة بذاتها .

وبالفعل فان حكومات الدول العربية عملت على التو بهذه التوصية التي سرعان ما تقيّدت استجابة رسميّة من بعض الدول الاجنبية ، فأعلنت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها في ذلك العين : « ان الحكومة البريطانية مستترف رسمياً بالمخابرات الخاصة بالمواضيع السياسية والتي توجه من قبل جامعة الدول العربية ، وسيوجه الرد منها الى الامين العام للجامعة ، بنفس الطريق الذي اتبع في ارسال الخطاب المتعارض عليه » . وعمليًّا البيان يان هذا الكتاب الرسمي من طرف الوزارة البريطانية يعني اعتراف هذه الحكومة بكتاب الجامعة وصفتها القانونية . حتى ان الحكومة الإسبانية لم تكتف بالامتناد الشكلي بالصيغة الدولية لجامعة الدول العربية، بل انها تجاوزت ذلك الى مدى ابعد ، وتقدّمت الى مجلس الجامعة عبر مذكرة رسمية تلتزم فيها معاونتها في محيط السياسة الدولية وتاييدها في مواقفها السياسية عندما تدعى الحاجة الى ذلك .

## اعتراف هيئة الامم المتحدة بالكيان الدولي للجامعة

هذا ، ولم يقف الاعتراف بالشخصية القانونية لجامعة الدول العربية عند حدود الحكومات الاجنبية وحسب ، بل ان هيئة الامم المتحدة نفسها ، تقد اعترفت هي الاخرى بهذه الشخصية وذلك عندما أقرت جميعيتها المومية اقتراحها قدم اليها بدعة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي الى النظر في انشاء لجنة اقتصادية لشرق الاوسط واعترفت فيه « بان تعاون اللجنة مع البيشات الاقليمية في الشرق الاوسط كالجامعة العربية » من شأنه أن ييسر للجنة مهمتها » .

وعلى الرغم من ان قرار هيئة الامم المتحدة الذي أصدرته جميعيتها المومية ، نسر يومها بأنه نوع من الامتناد « الواقع » بالجامعة ، الا أنه على أي حال يعتبر اعترافاً ضمنياً بالشخصية الدولية لهذه المؤسسة الاقليمية . وقد ذكر عبد الرحمن عزام باشا في حديث نشرته له جريدة « الحياة » الباريسية في مددتها الصادر يوم 23 آذار 1969 ان الجمعية المومية للامم المتحدة اتخذت سنة 1950 قراراً بقبول الجامعة كمنظمة اقليمية تخدم اهداف الامم المتحدة في الشرق الاوسط .

اقطاراتها ، بل انها تجاوزت في نفاذها الدبلوماسي هذا  
النطاق القومي فاصدرت قراراً بتوسيبة الدول الاعضاء  
بهيئه الامم المتحدة بالاعتراف بالجمهورية الاندونيسية  
عندما حصلت هذه البلاد على استقلالها وتخامت من  
الاستعمار الهولندي . وهكذا ...

### الجامعة توسيي بانشاء جيش موحد للدفاع عن البلاد العربية

عندما تعرض مجلس الجامعة لبحث الاعتداء  
الفرنسي على سوريا ولبنان 1945 ، اقترح المرحوم  
توفيق السويدى تزويد هذين البلدين بجيش عربى  
مشترك لمساندتهما في الدفاع عن كيانهما الوطنى ،  
وقد علق عبد الرحمن عزام ياشا يومئذ على هذا  
الاقتراح بالتحميد وقال : « ان هدف الجامعة العربية  
هو ان تكون في المستقبل مسؤولة عن الامن داخل  
نطاق دول الجامعة وتستمد هذه السلطة من نفسها  
ومن شعوبها . وقد يقرها مجلس الامن الدولى على  
ذلك ، وسيأتي اليوم الذي يكون فيه للدول العربية  
قوة دولية كافية لتأمين الامن في نفس هذه الساحة ..  
مستندة الى مجلس الامن نفسه ! » .

### محكمة عدل عربية تابعة للجامعة

و قبل ان نأتي على ختام هذا الحديث فانه لا بد  
لنا من الاشارة الى ان المرحوم رياض بك الصلح سعى  
سعياً حثيثاً لاجل انشاء « محكمة عدل عربية » في  
ساب تنظيمات الجامعة العربية ، تكون مهمتها النظر في  
الناحية القضائية في التزامات التي يمكن ان تقوم بين  
الدول الاعضاء في هذه الجامعة ، وذلك من اجل تحديد  
الحالة القانونية للدول المتنازعة . على نحو ما هو متبع  
في محكمة العدل الدولية في لاهاي بهولندا ، فيسر ان  
هذه الفكرة الجليلة لم يكتب لها الخروج الى حيز  
التنفيذ وطوى البحث فيها بعد افتيا المرحوم رياض  
بك في سنة 1951 .

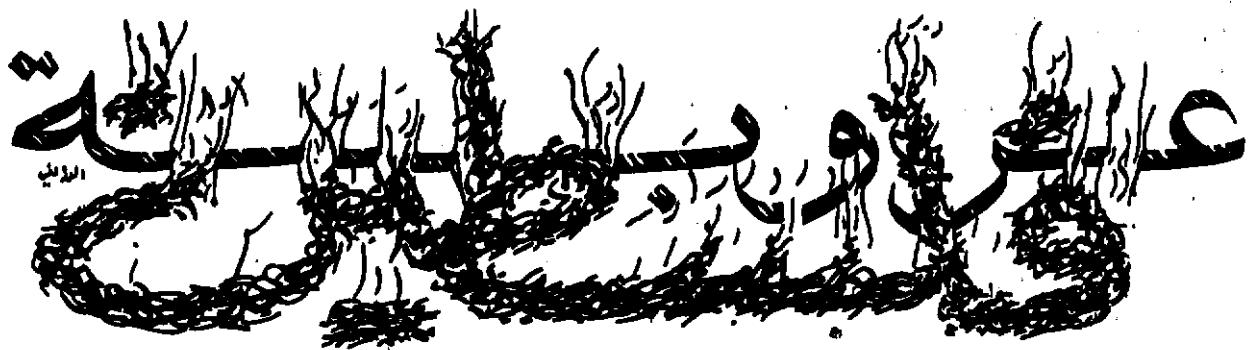
وايا ما كان ، فان جامعة الدول العربية ما لبثت  
ان أصبحت عربياً ودولياً ذات شخصية قانونية قائمة  
بلاتها رغم ان المندوب اللبناني اصر على اعتبارها  
بمتابة مؤتمر يجمع الحكومات العربية للتشاور فيما  
ي بينها في درس القضايا الخاصة بالعرب مما يعرض عليه .

### الجامعة تتصرف على أنها هيئه قومية إقليمية

وان الجامعة ، قد تصرفت فعلاً على أنها هيئه  
سياسية إقليمية ، من ذلك أنها تقدمت الى مجالس  
الوزراء بالدول العظمى عبر مذكرات متعددة تبين فيها  
وجهة نظرها في مصير ليبيا وتطلب الاشتراك بهذه  
الصلة في اى لجنة تحقيق يمكن ان ترسل اليها لتعرف  
رغبات سكانها في تقرير مصيرهم . وطالب الحكومة  
البريطانية باتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف هجرة  
الإيطاليين غير المشروعة الى البلاد اليبقية .

وبعثت بذكرين الى الجمهورية الفرنسية ،  
احداهما بشأن تحرير المرحوم محمد المنصف باي  
تونس الذي كان اسيراً في فرنسا وعادته الى عروشه  
الذي افتُصب منه بغير حق ، والآخرى بشأن اطلاق  
سراح المرحوم الامير محمد عبد الكريم الخطابي زعيم  
ثورة الريف بمراكنة الإسبانية . كما أنها قامت بجهود  
خاصة في سبيل منع تنفيذ احكام الاعدام التي اصدرتها  
الحكومة الفرنسية بالجزائر بحق عدد من المجاهدين  
الجزاريين سنة 1945 . وكذلك ارسلت مذكرة اخرى  
الى فرنسا تطالبها فيها بتنفيذ التزاماتها كدولة ثالثة  
إقليمي لا تتمتع بالحكم الذاتي مما هو منصوص عليه في  
ميثاق هيئه الامم المتحدة . وايضاً فان الجامعة قامت  
بالتوسط لدى الحكومة البريطانية الداعوة الهيئة العربية  
للفلسطينيين الى الاشتراك في مؤتمر لندن ، واتصلت بهيئة  
الامم المتحدة بشأن تحديد موعد اجتماع اللجنة المأذونة  
لللجنة الصحبة للامم المتحدة هذه انعقادها في جنيف  
بسوسيرا .

بل ان الجامعة لم تكتف بالاتصالات العالمية التي  
قامت بها لصالح قضايا الشعوب العربية في مختلف



## دكتور أسعد حموه "دمشق"

وكان القادة الصهاينة والقادة من أنه لن يصدر عن العرب والمسلمين رد فعل جدي، لاحراق المسجد الاقصى، وان الرد لن يكون اكبر من احتجاجات واصحاحات لن تثبت ان بهذا، ولن يكون لها على الصهاينة اثر ولا ضرر.

وكان موشي ديان هو القائد الصهيوني الذي دامت الاحلام الخادمة اجفانه، بل يقترب اسمه في التاريخ بتحقيق دولة ( اسرائيل الكبرى ) ، والقضاء على كل اثر للعرب والاسلام فيها . وان نصر حزيران الرخيص الذي حققته قياداته على العرب ، قد ناق جميع تقديراته وآماله ، فظن ان ما حللت اسرائيل بتحقيقه ، على مدى اجيال وقرون ، اصبح ، بعد نصر حزيران ، امرا سهل المتناول قريبا للتحقيق ، فطمع بان يكون هو ذلك البطل المحقق لاحلام قومه .

واندفع ديان ومقابته في مفاصلاتهم ، وجرائمهم، التي يلتفت ذرورتها في احرار المسجد الاقصى ، ليجمعوا مود العرب والمسلمين ، وليجربوا رد فعلهم ، حتى اذا وجدوه هزيلا ضعيفا ، عادوا الكرة لاحراقه بشكل تام ونهائي .

وفي الواقع كان رد فعل العرب والمسلمين شعيبا، لا يتناسب وتدسيبة المكان الذي اشعل الصهاينة فيه النار ونسوها. ولكن يجب ان نعرف للامانة والحقيقة، بأن العرب أنفسهم - اصحاب المصلحة المباشرة في ارض فلسطين ، وفي الحفاظ على قدسية المسجد الاقصى - لم يحسنوا الائدة من هذه المناسبة ، ولم يحسنوا

ابطء الصهيونيين نشر العرب عام 1948 ، في القضاء على احلامهم في اقامة دولة لهم في قلب العالم العربي ، في البقعة المقدسة فلسطين ، وراد في جرائمهم نجاح مدوائهم على مصر عام 1956 ، اذ اشتراكهم في المعركة دولتان كبيرتان هما انكثرا وفرنسا ، بينما ترك العرب مصر لمصيرها ، تواجه العداون لوحدها .

وبالفعل النسوة والخيالة بالصهيونيين حد الجنون اثر ظفرهم ، خدوا وفيلة ، بالعرب في معركة حزيران 1967 فاستخفوا بالعرب وقدرائهم على الحفاظ على ما تحت ايديهم من ارض وتراث ، فانطلقت من انواه المسؤولين الصهاينة اصوات واصحاحات ، تفطر بوضوح دون توربة او تمويه ، المخطط الصهيوني البعيد المدى ، من فس والحق وتوسيع على حساب الارض العربية . ولم يستبعدوا التفكير في الامتداد على الاماكن المقدسة الاسلامية في العجاجار .

اما القدس فقد اعتبر الصهاينة امرها منتها ، فامرروا باحرار المسجد الاقصى ، الذي يمثل احد المقدسات الكبرى للعالم الاسلامي ، غير مقيمين وزنا لرد فعل العرب ، ولا لغضب المسلمين المنتشرين في اسقاع الارض . اذ كانوا يريدون ان ينتهوا ، وباسرع ما يمكن ، من القضاء على كل ما يربط العرب والمسلمين بالقدس ، والارض المقدسة فلسطين ، ليسهل عليهم امر ترحيل من تبقى من العرب في القدس والمدن الفلسطينية الاخري ، الى البلاد العربية .

ولا شك في أن السعي الجدي لتحقيق التنسيق والتقارب بين مصر ولبيا والسودان ، ستتلاؤ خطوات أخرى نحو الوحدة بين الأقطار الثلاثة ، تجعل تلك المنطقة المتلاصقة ، التي تضم قرابة خمسة ملايين كيلومتر مربع من الأرض وخمسين مليونا من البشر ، كتلة واحدة في المعركة ، ونواة تستقطب الأقطار العربية الواحدة بعد الأخرى ، لتجتمع شملها من جديد .

وأتنا لا نشك في أن التصريحات الظاهرة التي صدرت وتصدر كل يوم ، عن قادة المنصريين في إسرائيل ، والتي تكشف عن تواليهم وأهدافهم ، وأطمعهم التوسيعية ، وإن تدئيمهم للقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس والخليل وبيت لحم والناصرة ، وافتداهم التكررة على الوطن العربي ، ستكون بهذه النهاية بالنسبة لهذا الجسم الغريب الذي أريد زرعه في جسم الأمة العربية ، ويوم ينهار هذا الكيان القائم خلاماً لمنطق التاريخ ، ولمقولة المصير ، سينال القادة المغامرون جزاء وفانا على ما افترضوه بحق الإنسانية والقدسات من جرائم .

وليس زمام إسرائيل هم أول من طرأ على هذا الأرض وحاول تدنيس مقدساتها ، والإساءة إلى شعوبها ، وليس موشى ديان ومصابته هم أول المغامرين الذين افراهم التفرق ، والنزاعات العارضة بين شعوب العالمين الإسلامي والعربي ، بالاستطالة على العرب والسلميين وعلى مقدساتهم ، وبالسخرية من قدرائهم ، وأمكاناتهم في رد الآذى وال الحق المزيفة بالمعتدلين . فمنذ قرابة ثمانين عام حل في جنوبى البحر الميت ، مغامر صليبي خادر ، فرقه التصاريات عارضة ، حققها الصليبيون على المسلمين في المنطقة ، فظن أن بإمكانه تدنيس المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة ، كما دنس من سبقه المقدسات الإسلامية في القدس والخليل ، واتخذوا من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة مريضاً للخيول ومهجعاً للجنود .

وكان من نتيجة ذلك أن فتحت جرائم ذلك المغامر عيون العرب والمسلمين على حقيقة الخطير المحدق بهم وب المقدساتهم في المنطقة كلها ، وأدركوا أنه ما دام هناك مستقر لجسم غريب في أرضهم ، فلا أمن ولا سلام ولا أطمئنان ، فتحركت أوتال تتلو أوتالاً من المجاهدين ، من كل أرض من أراضي الإسلام ، مليئة دعوة الجهاد ، تقاتل وتحارب ، حتى كانت معركة حطين ، التي دفع ذلك المغامر قومه إلى خوضها وهم

عرض قضيتهم ، ولم يعرفوا ما يريدون بالضبط من وراء دعوة اقطاب المسلمين إلى مؤتمر الرباط . وفي اعتقادنا أنهم لو أبموا صيحة الجهاد التي اطلقوها ، بتنظيم جدي لإيفاد متطوعة ومحاربي من العالم الإسلامي ، لرأينا اليوم زحوفاً تتلوها زحوف من الأبطال المستميتين ، يتدقون على ميدان المعركة ، من كل أرض انطلقت من مآذنها صيحة ( الله أكبر ) ، ملبيين داعي الجهاد المقدس ، ليقضوا على العدو الذي دنس مقدساتهم ، أو لينالوا أجر الشهداء على الأرض المقدسة في المعركة المقدسة .

إن الصهيونيين يستمدون على العرب كل من يستطيعون ، باسم الدين ، وباسم القومية ، وباسم المصالح الاقتصادية والسياسية .. الخ ، لا يغطون في عون يائهم وان صفر . ونحن نستبعد هنا كبيراً ، بل معيناً من العون لا ينضب ، كان يمكن أن يكون في كفتنا ، وكان يمكن أن يؤثر تائراً فعلياً و حقيقياً على أولئك الذين يدعون إسرائيل ، ويمكثون لها ، لو أتنا أحسنا التصرف ، وعرفنا ما نريد ، إلا وهو عون العالم الإسلامي ، ذي المصلحة الحقيقة في أن لا يكون في المنطقة خطر يهدد مقدسات الإسلام في فلسطين والجهاز .

وعلى كل حال فقد كان لاحراق المسجد الانهى ، ولتصريحات رعما إسرائيل وتهديداتهم فائدة إذ فتحت عيون العرب على حقيقة ما يراد بهم ، وعرفتهم بحقيقة وضعهم ، الذي يغري الاعداء بهم . فادركتوا أنه ما لم يتم تضامن حقيقي بين الدول العربية ، بانتظار قيام وحدة بين أقطارهم ، تستطيع اقامة دولة مصرية وجيش مدرّب قادر على استيعاب الملمح الحديث والسلاح الحديث - فأنهم لن يستطيعوا رد الطامعين بهم ، وستبقى حفنة من المغامرين ، تستخف بهم ، وتستهزئ بهم وتحدهم في كل يوم وفي كل ساعة ، وتضربيهم في مقر دارهم كلما شاء لها هواها ان تلهم بذلك

وقد كانت أول بادرة للتضامن تصدر عن العرب ، وتشعر برفض هذا الواقع المؤلم ، هي الاجتماع في مؤتمر الهرطوم ، الذي فقد اثر النكسة ، على دعم الامكانيات المادية والمسكرية للدول المواجهة مع العدو ، وعلى وقف النفاوض مع العدو ، وعلى رفض الصلح معه . وتلت ذلك تورقان في ليبيا والسودان ، كان من شأنهما وضع امكانيات القطرين الشقيقين في الميزان العربي الفعلى في المعركة المصيرية .

لها كارهون ، فوقع في يد صلاح الدين أسيرا ، فلم يعف عنه ، لا أنه اعتبره مجرما ، وقاطع طريق ، ولم يعتبره محاربا يحترم قوانين العرب .

ومنذ ذلك اليوم أدرك الصليبيون أن دولتهم قد أصبحت في حكم المقتضى عليها بالرول ، وتتابع من خلفوا صلاح الدين المهمة التي بدأها ذلك البطل ، حتى تدفوا باخر الصليبيين في البحر ، بعد مائة وعشرين من الغروب التوالي من يوم حطين .

وها نحن نسوق قصة ذلك المغامر الصليبي (أرنات ) أو (رينودوشابيون ) لعلها أن يكون فيها علة للعرب ، وهبة للمغامرين .

## — أرنات —

تدفقت سيول الصليبيين على المشرق عام 1097 م ( 490 هـ ) تزيد — استجابة لنداء الكنيسة — استرجاع القدس من أيدي المسلمين ؛ ووجد الامراء المغامرون في أوروبا الفرصة سانحة ، فتبنتوا المشروع لعامهم يفوزون بamarat واقطعات في الشرق ، مستغلين حماسة البيسطاء والسلج من دعمتهم العصابة الدينية لتحقيق رغبات الكنيسة . وكان من بين أولئك الامراء المغامرين ، أمير فودمني الاصل استقر إياوه في جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية ، وكان من نصبه في الميراث أرشا صفيرة في جنوب إيطاليا لا ترضي طامعه الواسعة ، فاسرع بوهمند أويتمند كما تسبّه الرواية على رأس من تجمع تحت لوائه ، ينضم إلى الجيوش الصليبية في الجانب الشرقي من م McBق البوسفور .

وبعد حروب وأهوال وفظائع ومذابح ،تمكن ثلاثة أرباع المليون من الصليبيين من شق طريقهم إلى سوريا ، وكان أول ما احتلوه فيها ، مدينة انطاكية ، التي دافع عنها حماتها المسلمون أشرف دفعاً وأشجعه طوال شرة أشهر . ولو لا الخيانة التي افرت أحد القادة الداخلين حدثنا في الإسلام ، لما تمكّن الفرنج من احتلالها ، ولتبدل سير التاريخ كلّه في المنطقة .

وطمع بوهمند في أن يقيم لنفسه امارة في انطاكية وخلف رفاته ، القادة الآخرون ، أن تفسد اطماع بوهمند خططهم الرامية إلى التعاون مع الامبراطور البيزنطي ، أسحق كومين ، وضرب المسلمين نوة صليبية بيزنطية موحدة . وكان الامبراطور قد أخذ

المهود والمواليق على القادة الصليبيين بأن يبعدوا اليه ما يحتلونه مما كان ثابعاً في الماضي للأمبراطورية البيزنطية ، وخصوصاً انطاكية .

ولكن بوهمند لم يكن يفكّر في غير صالحه الخاصة ، فرفض الاستماع إلى النصائح والاعتراضات ، ولم يمكن بعيله ومدواره ، من الفوز بamarate انطاكية، رغم معارضة بعض زملائه .

وسار الامراء الصليبيون الآخرون جنوباً ، وأقام كلّ منهم امارة لنفسه ، فكانت هناك مملكة في القدس ، وامارة في طرابلس ، وامارة في الرها ( او ره ) .

وأصبح بوهمند بلاه على المسلمين من جيرانه ، وكان أكثر خطفه منصباً على حلب المجاورة لانطاكية ، لم يسر بوهمند من قبل الفاري ابن الدائشند ، أمير التركمان في الاناضول ، ولكن لم يلبي أن فاوشه وأطلق سراحه لقاء ثدية كبيرة ، فعاد بوهمند يتبع اعتدائه نحو من حوله من المسلمين والبيزنطيين .

وتقى البيزنطيون على بوهمند حته بيمينه ، واتكاله لحقهم في السيادة على انطاكية ، فافتتحوا نرمة هزيمة الفرنج — وفيهم بوهمند — في معركة حرجان عام 1104 م، وأسرموا يحتون الخطأ نحو كيليكيا واللاذقية التابعتين لامارة بوهمند . فخارت قوى بوهمند وشعر بالخطر الشديد المدق به ، فحمد بالأماراة إلى ابن اخته تانكرييد ، وذهب إلى أوربا ، ليشنّر حملة صليبية أخرى ، هدفها افتتاح انطاكية من خطر المسلمين والبيزنطيين . ولكن بوهمند ذهب ولم يعد ، وتزوج هناك من أميرة فرنسية رزق منها بولد يعرفه التاريخ باسم بوهمند الثاني .

وفي الفترة بين ذهاب بوهمند الأول إلى أوربا ، ووصول بوهمند الثاني إلى الشرق ، تعاقب على انطاكية أميران نورمنديان ، أحدهما يدعى تانكرييد ، والآخر روجيه ، وقد قضى المسلمين على روجيه وعلى جيشه في معركة البلات على الطريق بين حلب وأنطاكية .

وفي عام 1128 م ، وصل إلى انطاكية بوهمند الثاني ، وهو شاب فارغ الطول ، قوي البنية ، جميل الملامع ، قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، واقتصر استعمال السلاح ، حتى بدأ قرائه به . وما هو إلا أنّ تسلم امارة انطاكية حتى تزوج باليس الابنة الثانية لملك القدس بودوان الثاني ، وبأشعر الاهارة على جيرانه المسلمين ، وبما فتّة الحصون القرية من

الارضيه ، فحقق بعض النجاح ، وقد زاد ذلك النجاح المحدود في صلبه وفروعه .

وتقى المسلمين ، وقضوا على الجيش الصليبي واكثروا فيه القتل ، حتى ذكر ابن الباري ، انه من فى ارض المعركة ليلا ، بعد اكثر من سبعين عاما ، قتيل له ان نظام القتلى الفرنج ما زالت منتشرة فى تلك الارض . وعاد المسلمين الى حصن الاتارب فسلموه من الفرنج ، فاخربوه حتى سووا بناءه بالتراب ، لكيلا يتربوا الرما يرمى الى الرهبة فى قلوب اهل حلب ، ومن حولهم من المسلمين .

وخافت الاميرة الشابة على ملكها ، فأخذت تراسل زنكي سرا ، وتضع نفسها تحت حمايته ، فاساء ذلك الفرنج الدين تسببت اليهم انباء اتصالاتها بالمسلمين . واخذ الجميع يفكرون في وسيلة يتمكنون بها من ابعاد الاميرة (اليس) عن حكم انطاكية ، وقد وجدوا ان خير الوسائل لذلك هي البحث من زوج الاميرة الطفلة الوارنة (كونستانس) .

ووجدوا لها اخيرا شابا جميلا من نبلاء فرنسا ، هو الكونت (ريمون دوبوييه) فقدم الى انطاكية على انه سيكون زوجا للاميرة (اليس) ، لكي يامنوا معارضتها في دخول ريمون الى انطاكية .

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت الاميرة بعقد قران ريمون على ابنتها كونستانس ، فانسحب الى اللاذقية .

سلم ريمون دوبوييه ادارة انطاكية ، نيابة عن زوجته ، وكان فارسا نجدا ، ولكن خصاله ومميزاته ضاعت امام هنكة هنادي نور الدين محمود ، الذي خلف اباها في حكم حلب ، في عام 1146 م فانشأها من الفرنج جميع ما كانوا يحتلونه شرقى العاصي ، كما انثراها منهم جميع اماراة الراها .

وفي 29 حزيران (يونيو) 1149 م ، ظفر نور الدين محمود بجيش انطاكية ، منذ قرية (اتب) (القريبة من جسر الشغور) وبادله تكريبا ، وكان ريمون بين القتلى . فاصبحت كونستانس وصيحة على ابنتها بوهمند .

وقد شعرت الاميرة ، لاول مرة ، بعد موتها زوجها بلدة الحكم . وسر البطريق لشعورها هذا ، فاخذ يشجعها على عدم الزواج مرة اخرى ، لكيلا

وفى يوم من ايام شهر شباط (فبراير) 1131 ، اتجه بوهمند من انطاكية الى كيليكيا ، على رأس قوة من فرسانه ، يريد ان يلحق به الامارة الارمنية ، بعد ان توفى صاحبها وابنه ، فانقض عليهم جيش التركمان بقيادة الغازى بن الدانشمند (آسر بوهمند الاول عام 1101 م) ، واحاط بهم احاطة تامة ، وانهال عليهم رمي بالبال ، فخرموا على الارض صرحي ، وكانهم اعجاز نخل منقر ، وفيهم بوهمند نفسه .

ولم يترك بوهمند من الارولاد غير بنت صغيرة لا يتجاوز عمرها السنتين ، اسمها (كونستانس) فسلمت امها الاميرة (اليس) ادارة الامارة ، تحت وصاية ملك القدس .

ومرت الايام ثقلا على الاميرة الشابة في ادارة اماراة واسعة ، يطبع بها جيرانها البيزنطيون من الشمال ، وال المسلمين من الشرق . وكان خطر المسلمين قد اصبح مقلقا فعلا ، اذ سلم امارتي الموصل وحلب امير شهم ، وبعد المدة ، قوي العزيمة ، هو هنادي الدين زنكي ، وقرر ان يخوض بال المسلمين حربا ضروسا مع الفرنج ، ليزيل ما تجمع في نفس المسلمين من هيبة الفرنج في ميدان الحرب . فسار بجيشه الى حصن قريب من حلب ، هو حصن الاتارب ، الذي طالما ارعب فرسانه اهل حلب ، وخرموا زرورهم ، ونهبوا اموالهم .

وتجمع الفرنج للدفاع عن الحصن ، وسال زنكي رجاله ماذا يرثاون . فاشار عليه بعضهم بالانسحاب من الارض التي يعتلها العدو ، والعودة الى حلب ، وأشار عليه آخرون بالتراجع الى اراضي حلب ، فاذا لحق بهم الفرنج ، امكنهم انشاب المركبة في ارض اسلامية .

وكان زنكي قد قرر في نفسه خوض المعركة مهما كانت النتائج ، فقاتل لرجاله ، ان الفرنج قد استطاعوا على المسلمين كثيرا ، وقد اصبح ماؤفا لديهم ان يروا تراجع المسلمين واحجامهم من القتال كلما راوا تجمع الفرنج ، ولذلك فانه يرى ان يديق المسلمين باسمه للفرنج ، ليذكروا ذلك في المستقبل ويقدروه . وأنه يرى ان اي تراجع امام الفرنج سيجرئهم ، ويضعف من عزيمة المقاتلين المسلمين . وخلاص من ذلك الى القول بأنه يرى ان يقدم المسلمين

يأتي امير جديـد يقضـي علـيه بالاـنتصـار علـى عـملـه الـديـني وحـسـب .

وحاـول مـلك الـقـدـس سـوهـو اـبـن خـالـة كـونـسـانـسـ انـيـجـد لـهـا زـوـجا يـحـرـرـهـ منـ مـسـؤـلـيـةـ الاـشـرافـ عـلـىـ اـنـطاـكـيـةـ ، وـيـسـتـطـعـ النـهـوشـ باـعـاهـ الدـفـاعـ عـنـهاـ فـيـنـ اـنـطاـكـيـةـ ، فـوـافـقـ عـلـىـ الزـوـاجـ ، بـعـدـ اـنـ جـنـاـ (ـارـنـاطـ)ـ عـلـىـ قـدـمـيـهـ ضـارـعـاـ مـتـوسـلاـ .

تمـ الزـوـاجـ الاسـطـورـيـ ، وـتـسـلـمـ اـرـنـاطـ حـكـمـ اـنـطاـكـيـةـ فـاسـهـاـ بـعـقـلـيـةـ المـفـارـمـ الفـظـ ، وـكـانـ اوـلـ ماـ اـسـتـهـلـ بـهـ مـهـدـهـ فـيـ الحـكـمـ ، هـوـ الـانتـقامـ مـنـ بـطـرـيرـكـ اـنـطاـكـيـةـ (ـايـمـريـ دـوـ لـبـمـوجـ)ـ .

لـقـدـ كـانـ بـطـرـيرـكـ شـيـخـاـ هـرـمـاـ يـوـمـ تـمـ الزـوـاجـ ، وـكـانـ يـشـارـكـ الـامـيـرـ مـشـارـكـةـ فـعـلـيـةـ فـيـ اـدـارـةـ الـامـارـةـ ، فـاـسـتـهـلـ حـكـمـ وـسـلـطـةـ وـسـرـ بـهـماـ اـيمـاـ سـرـورـ ، لـذـكـ وـجـدـ مـنـ مـعـلـحـتـهـ اـنـ تـبـقـيـ الـامـيـرـةـ دـوـنـ زـوـجـ ، تـدـبـرـ الـامـارـةـ ، لـيـكـونـ هـوـ الـحـاـكـمـ الفـعـلـيـ ، وـالـمـوـجـهـ الـاـولـ ، تـصـدـرـ الـامـوـرـ فـيـ اـنـطاـكـيـةـ مـنـ رـايـهـ وـنـهـيـهـ .

وـلـمـ تـمـ الزـوـاجـ فـوـجيـهـ بـطـرـيرـكـ بـهـ ، فـامـتعـضـ وـسـادـهـ اـنـ يـصـبـحـ تـابـعـاـ لـجـنـديـ مـفـمـورـ ، لـيـسـ لـهـ مـنـ العـيـزـاتـ فـيـرـ غـرـامـ الـامـيـرـ الطـائـشـ بـهـ ، فـاطـلـقـ لـسـانـهـ فـيـهـ ، وـأـفـلـهـ لـهـ الـاحـتـقارـ وـالـازـدـرـاءـ ، وـهـوـ لـاـ يـعـلـمـ اـنـ عـدـوـ الـجـدـيدـ لـاـ تـقـفـ قـسـوـتـهـ هـنـدـ حـدـ .

### قصـوـةـ اـرـنـاطـ وـغـنـوـهـ

وـسـرـعـانـ مـاـ تـنـطـورـ الـصـرـاعـ بـيـنـ الرـجـلـيـنـ ، فـاءـ اـرـنـاطـ بـالـقـبـضـ عـلـىـ بـطـرـيرـكـ ، وـجـلـدـهـ فـيـ السـاحـةـ الـعـامـةـ حـتـىـ اـدـمـيـ جـلـدـهـ ، تـمـ اـمـرـ بـهـ فـشـدـ اـلـىـ وـتـدـ ، وـهـوـ عـارـيـ الـجـسـدـ ، تـحـتـ اـشـمـ الشـمـسـ الـلاـهـيـةـ ، وـطـلـيـ جـلـدـهـ بـالـعـسـلـ ، لـتـجـمـعـ عـلـيـهـ الـحـشـرـاتـ وـالـهـوـامـ ، تـلـسـمـهـ وـتـشـرـبـ مـنـ دـمـهـ .

وـقـدـ اـسـتـاءـ النـاسـ فـيـ اـنـطاـكـيـةـ مـنـ هـذـهـ الـوحـشـيـةـ ، التيـ يـعـاملـ بـهـ اـمـيـرـهـ الـجـدـيدـ رـجـلـاـ هـرـمـاـ لـهـ مـكـالـتـهـ الـدـيـنـيـةـ فـيـ نـفـوسـ النـاسـ ، وـلـهـ فـضـلـهـ فـيـ الدـنـيـعـ مـنـ اـنـطاـكـيـةـ ، فـيـ اـيـامـ الشـدـةـ ، بـعـدـ مـصـرـعـ رـيـمـونـ دـوـ بـوـاـيـهـ وـوـصـلـتـ اـنـيـاهـ هـذـهـ الـعـامـلـةـ الـفـلـذـةـ اـلـىـ مـلـكـ الـقـدـسـ ، فـاـوـنـدـ عـلـىـ جـنـاحـ السـرـعةـ وـسـوـلاـ ، يـسـتـنـكـ عـلـىـ دـيـنـوـ وـيـسـتـفـظـمـهـ ، وـيـأـمـرـ بـاطـلـاقـ سـرـاجـ بـطـرـيرـكـ ، فـقـمـلـ . تـمـ بـدـاـ لـارـنـاطـ اـنـ يـتـفـاهـمـ مـعـ الـامـيـرـ الـطـورـيـ الـبـيـزـنـطـيـةـ لـمـحـارـبـةـ اـمـرـاءـ الـارـمـنـ فـيـ كـيلـيـكـاـ ، لـعـلـهـ يـفـوزـ بـشـيـءـ مـنـ اـرـاضـيـهـ ، وـلـكـنـ سـرـعـانـ مـاـ اـنـقـلـبـ عـلـىـ الـبـيـزـنـطـيـينـ ،

وـفـيـ ذاتـ يـوـمـ يـوـمـ 1152ـ ، لـمـحـتـ الـامـيـرـ الشـابـ فـارـسـاـ يـدـ زـيـهـ عـلـىـ اـنـهـ حـدـيثـ مـهـدـ بـالـوـصـولـ اـلـىـ الشـرـقـ ، فـاغـبـجـتـ بـهـ وـاستـدـمـتـهـ اـلـيـهـ ، وـتـعـرـفـتـ عـلـيـهـ ، فـزـادـ اـعـجابـهـ بـهـ . وـلـمـ يـكـنـ ذـلـكـ الشـابـ غـيرـ المـفـارـمـ رـيـنـوـ دـوـشـايـونـ (ـاوـ اـرـنـاطـ كـمـاـ تـسـمـيـ الـرـواـيـةـ الـمـرـيـيـةـ)ـ الـذـيـ سـيـجـرـ الـمـالـكـ الـصـلـيـبيـةـ كـلـهـاـ إـلـىـ الـهـاوـيـةـ فـيـ مـعرـكـةـ حـطـبـينـ ، وـهـوـ الـذـيـ سـيـجـرـ غـدرـهـ وـمـحاـولـاتـهـ الصـبـتـ بـالـقـدـسـاتـ إـلـىـ الـمـوتـ بـيـدـ الرـجـلـ الرـحـيمـ صـلـاحـ الـدـيـنـ الـأـيـوبـيـ .

وـتـكـرـرـتـ مـقـابـلـاتـ الـامـيـرـ وـالـفـارـسـ الـفـتـيـ ، حـتـىـ اـفـرـسـتـ بـهـ وـاـنـفـقـتـ مـعـهـ عـلـىـ الزـوـاجـ ، وـوـجـدـ المـفـارـمـ الـجـرـيـهـ فـيـ هـذـاـ الفـرـامـ لـرـمـسـةـ تـحـقـقـ لـهـ اـكـثـرـ مـاـ كـانـ يـطـمـعـ بـهـ وـيـحـلـ ، فـلـمـ يـشـأـ اـنـ يـضـيـعـهـ . وـكـانـ لـاـ بـدـ - بـحـسـبـ التـقـالـيدـ اـيـامـ النـظـامـ الـاقـطـاميـ - مـنـ الـحـصـولـ عـلـىـ موـافـقـةـ مـلـكـ الـقـدـسـ ، بـوـدـوـانـ الـثـالـثـ عـلـىـ الزـوـاجـ ، بـصـفـتـهـ الـوـصـيـ الـشـرـعـيـ عـلـىـ الـامـيـرـ وـهـاـلـ الـامـارـةـ ، وـكـانـ بـوـدـوـانـ اـذـ ذـاكـ مـنـهـمـاـ فـيـ حـصـارـ مـيـنـاءـ هـسـقـلـانـ فـيـ جـنـوـبـيـ فـلـسـطـيـنـ ، سـوـمـسـقـلـانـ هـيـ آـخـرـ مـاـ يـبـقـيـ بـيـدـ الـفـاطـمـيـيـنـ مـنـ مـلـكـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ - لـطـارـ اـلـيـهـ الـفـارـسـ الـمـفـارـمـ ، يـوـجـوـهـ الـموـافـقـةـ عـلـىـ الزـوـاجـ .

وـمـجـبـ الـمـلـكـ مـنـ هـرـابـةـ اـطـوارـ اـبـيـةـ خـالـتـهـ ، كـيفـ تـقـبـلـ الزـوـاجـ مـنـ شـابـ مـفـمـورـ ، لـاـ ثـرـوـةـ لـهـ وـلـاـ جـاهـ ، بـيـنـماـ سـبـقـ لـهـ اـنـ رـفـضـتـ الزـوـاجـ بـخـيـرـةـ الـامـرـاءـ وـالـنـبـلـاءـ الـذـيـنـ عـرـضـوـاـ عـلـيـهـ فـيـ الـعـاصـيـ؟ـ مـعـ اـنـهـ كـانـ مـنـ الـمـكـنـ انـ يـكـونـ فـيـ ثـرـاءـ هـؤـلـاءـ الـنـبـلـاءـ ، وـنـفـوذـ بـيـوـتـهـمـ ، وـالـسـاعـ

وشرع المحاصرون في نصب آلاتهم ، وقدف الاسوار بالمجانيف ، وبعد مدة قصيرة من الحصار ، اقتحم الفرج أسوار البلد وأحتلوها ، فلما المدافعون عنها إلى القلعة وتابعوا دفاعهم .

وهرف ارناط بما ينتويه بودوان من تسلیم شیزر وما حولها للكونت دوفلاندر ، فاستاء من ذلك واعتراض على هذه الفكرة ، مدعيا ان شیزر وما حولها تدخل في نطاق المجال الحيوي لانطاكية وان على تیری ، اذا تسلم امارة شیزر وأواسط العاصي ، ان يكون تابعا له حسب التسلسل الاقطامي . واستاء تیری بدورة من هذه الفكرة ، فإنه لم يكن يخطر له على بال ، وهو المتحدر من امرق البيوتات واكرمنها ، ان يدين بالولاء والطاعة لمغامر افاق حمله الحفظ الى كرسى الامارة ، واملن رفشه لما اترحه ارناط . واشتد الخلاف في المعسكر الصليبي حتى كاد يؤدي الى ما لا تحمد مقبه ، فلم يجد بودوان بدا من رفع الحصار والانسحاب من شیزر لكيلا يكون احتلالها سببا في نشوب حرب اهلية بين الصليبيين .

### خضوع الجناد

استاء الامبراطور مانيويل كومينين ، اشد الاستياء من هجوم ارناط ورميده الارمني على قبرص ، ومن الغطائط التي ارتکبها ، ولكن ظروف الامبراطورية ، وما كانت تواجهه من مشاكل في اوروبا ، لم تكن توسم له اذ ذاك بالتفكير في معاقبة المجرمين .

ولكن بعد ان تحرر الامبراطور من الكثير من مشاشه ، تحرك في عام 1158 م ، على راس جيش كبير الى كيليكيا ، فسحق امارات الارمن فيها ، واستولى على اميات المدن ، واقام مسكنه قرب المصيصة بانتظار تحركه لمعاقبة ارناط .

وعلم هذا بما ينتويه الامبراطور ، فجزع جزع الجناد المجرمين ، وخارت قواه ، وشن تفكيره ، ولم يعد يعرف ما يصنع ، بعد ان ادرك ان جرائم قد اسلمه لمصيبره ، وأنه لن يجد بسببيها ، معينا له في محنته . وبينما كانت هواجس ارناط تعذبه وتقص مضجمه ، لا حت لاحد المقربين منه فكرا ، وجد فيها الفرج والخلاص ، وهي : لماذا لا يخرج ارناط الى معسكرو الامبراطور تابا متذرا ، ويضع نفسه تحت رحمته وتصرفه ، ويعلن له الامتناف بطاعته والتبعية له ؟ فقد سبق لوالد الامبراطور أن هفى من ربموه

وتفاهم مع الارمن على محاربتهم ، وأصد ارناط وطوروس امير الارمن حملة مشتركة على جزيرة قبرص – وكانت مقاطعة بيزنطية – فلم يشعر اهل الجزيرة الا والقوات الصليبية والارمنية تهبط في اراضيهم وتنكل بهم .

وقد ارتکبت القوات الفارسية من الغطائط والقبائح ما تشعر لهوله الابدان ، فصلمت آذانا ، وجلعت آذانا ، وهتك اعراضا ، ونهبت اموالا لا يحصلها مد ، وعاد المفامر وابدءهما مثقلة بالتبني والفنان .

### طبع ارناط وانبياته الفشلا مخطط الصليبيين لاحتلال شیزر

كانت شیزر قلعة حصينة تقوم على الشفة اليسرى لل العاصي ، وقد اعجز الصليبيين احتلالها ، بفضل دفاع امرائها ، آل منقد وبفضل موقعها الجغرافي ، ومنشأة أسوارها . وفي عام 1157 م ، ضربت هزة ارضية مدن سوريا فاخربت اكترها ، وكان الخراب الذي اصاب شیزر كبيرا ، وكال آل منقد قد تجمعوا في قصرهم لحضور حفل فيه ، فانهار عليهم القصر ، ولم ينج منهم غير اسامي الذي كان منفيا خارج شیزر ، وغير امراة و طفل منهم ، اخرجها من تحت الانقاض .

وفي ذلك العام ، واثر الهوة التي الحق الدمار بالمدن السورية ، وقع امير سوريا وبطلها نور الدين محمود مريضا ، حتى اشفى على الموت ، فبدأ للصليبيين ان يغتنموا الفرصة ، ليحتلوا شیزر ، ويبتوا اندامهم في حوض العاصي من جديد .

وبدا للملك بودوان الثالث ان يحتل ما يمكن احتلاله من اواسط حوض العاصي ليسلمه الى الكونت (تیری دوفلاندر) يقيم له امارة فيه ، تفييد من الامكانيات الضخمة التي يتمتع بها بيت الكونت وامارته في فرنسا ، وبذلك يستطيع تخفيض العبء الثقيل الذي أصبحت تثوء به الامارات القائمة في الشمال ، بعد القضاء على امارة الراها .

وفي اواخر تشرين الاول (اكتوبر) من عام 1157 م تجمع حول شیزر جميع الامراء الصليبيين ، مع جيش ارمني يدعمهم ويمثل ممثليهم ، وانضم اليهم الكونت تیری دو فلاندر ، ومن معه من الفرسان القادمين للحج والتجدة .

دوبيايه ، واكتفى بالاعتراف بتبنيه والولاء ، ورفع علم الامبراطورية على قلعة انطاكية .

وبعد الفكرة لارناتل اخاذة . فانه اذا استطاع ان يدفع المقابل من نفسه ، وان يزجل احتلال انطاكية ولو الى حين ، يكون قد حقق كسبا لا يستهان به . فقرر السير بنفسه الى المعسكر الامبراطوري ، وارسل قبله رسولا من رجال الدين ، يهدى السبيل ، ويلطف الجو . وتمكن الرسول بعد ذلك ودهائه وجميل اهتماده من تهدئة ثائرة الامبراطور ، ومن تخفيف تهمته على ارناتل .

وبينما كان ارناتل وصحابه يسيرون مسرعين قرب قرية الجومه ، شمالي هربى هزار ، انقض عليهم فرسان حلب ، وفتكوا فيهم فتكا ذريعا، وقتلوا اكثراهم ، وجبن الاخرون فاستسلموا ، وكان بين المسلمين ارناتل . ونجا قليلون هاربين ، يخبرون فرنج انطاكية بانباء المركزة ومصير ارناتل .

والتي ابو بكر بارناتل وصحابه على ظهور العمال ، وکانهم بعض المتعاق ، ودخلوا بهم حلب ، فاسرع الناس يتفرجون على هذا الشهد الذي لم يعد يشير فضولهم كثيرا ، لكثرة ما تكررمنذ ان تولى عمار الدين زنكى وابنه نور الدين محمود امور حلب . ووصلت العمال باحمالها امام قلعة حلب التاريخية ، فائزلات الاحمال ، واستيق ارناتل الى سجنها ليقضى فيه ستة عشر عاما من حياته الشقية .

وبعد ان توفى نور الدين محمود ، موحد سوريا ومصر ، كان ابنه الملك الصالح ، صفيرا ، فاختلف الامراء من حوله ، ايمهم يكفله ، ليبسيط سلطانه على الدولة . وتحرك صلاح الدين نائب نور الدين في مصر ، يزيد ابات حقه في تولي رعاية ابن سيده . وجرت بينه وبين امراء سوريا المشرقيين على الملك الصالح ، حروب ووقائع ، انتصر فيها صلاح الدين ، ووصل في زحفه المظفر الى حلب ، لحاصرها .

ولم يجد من يحلب من الامراء وسبل لدفع صلاح الدين عنهم ، غير الاتصال بالفرنج ، لتحرك ريمون الثالث ، امير طرابلس ليهاجم حمص ، كما تحرك فرنج انطاكية . وليثبت امراء حلب للفرنج حسن نوايائهم ، واخلاصهم في التعاون معهم ، اطلقوا في عام 1176 م سراح من كانوا في سجن حلب من الفرنج ، ومنهم ارناتل .

وكانت امارة انطاكية قد تولاها وارلها الشرمي ، بوهمند الثالث ، فلم يجد المغامر مكانا له في انطاكية ،

ووصل ارناتل الى المصيصة ، وكان عليه ان يختار المدينة كلها ، ليصل الى المعسكر الامبراطوري ، فترجل من فرسه ، وخلع نعليه ، ولبس قميصا يكشف عن ذراعيه حتى المرفقين ، وأمسك بسيفه من مقدمة النصل ، ليقدم قبضته الى الامبراطور ، وسار وهو على هذه الحالة العزورية ، من الذل والاستخدام فى شوارع المصيصة ، التي اصطف الناس فيها على جانبي الطريق ، ليتفرجوا على هذا العجان الدليل الغادر المتقلب .

ورضى الامبراطور ، ما تم من خضوع ارناتل ، واكتفى بالاعتراف بتبنيه الامارة له والسماح له باقامته حامية بيزنطية في قلعة انطاكية ، كرمز لابات حقه .

## أسر المغامر

وبعد ان رحل الامبراطور عن كيليكيا ، تنفس ارناتل الصعداء ، ونسى ما لقيه من ذلة ومهانة ، وعاد يتتابع حياته الممتدة ، حياة المقام الشريم . وفي يوم من ايام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1160 م ، علم ارناتل ان قطعانًا كبيرة من الماشية ترمى في السهول الواقعة بين هيبناتاب ومرعش ، وان هذه القطعان لا تحرسها قوات اسلامية ، وكانت القطعان في اكثيريتها يملكون ارمن ويونانيون من سكان المناطق التي استرجعها المسلمين من الفرنج حديثا ، ولكن ارناتل لم يكن يهمه من يملك القطعان ، وانما الذي يهمه ان يتحقق مفتشا ، دون ان يتعرض لخطر قتال .

وبينما كان الرعاة آمنين مطمئنين ، انقض عليهم ارناتل وفرسانه ، فاسروهم ، واستأتوا قطعانهم لفرحين بما حققوه من كسب . ولكن فرحتهم لم تطل كثيرا ، اذ ان ابناء الهجوم الغادر ، وصلت الى نائب

وتتابع سيره الى القدس . وهناك تعرف بأرملة اخرى هي ( اتين دوميلن ) ، ارملة ( اونفروا وادو تورون ) ( ابن المهنري كما تسميه الرواية العربية ) . وكانت هذه الارملة قد ورثت امارة شرقى الاردن ، التي يقوم فيها حصن الكرك والشوبك ، فاعجبت هي به ، واعجب هو بمالها وأملاكها ، التي تتحتل افضل مركز جغرافي، يسيطر على طريق القواقل ، المتصلة بين سوريا ومصر والجهاز ، فعقدا زواجهما حوالي عام 1177 م .

لم تكن الظروف مواتية لامال ارناط واطمامه فى المغامرة ، حينما كان زوجا لاميرة انطاكية . اذ كانت الطاكية محصورة بين مملكة نور الدين في الشرق ، وبين الامبراطورية البيزنطية في الشمال . وكانت انطاكية اقرب الواقع الصليبي الى حلب ، ومحضونها الغربية ، فلم يكن في مقدور ارناط ان يندفع وراء مغامراه كما يحلو له ، دون ان يكون معرضا لخطر الانقضاض عليه من الواقع الاسلامية المحددة بارض انطاكية . وقد رأينا كيف ان فرسان حلب كانوا اسرع من ارناط ، فاعتراضوا سبيل عودته بالفائض الى انطاكية واسروه .

كما ان الانسياط الذي كان يفرضه ملوك القدس على الامارات الصليبية الاخرى في المشرق ، كان سببا من اسباب كبح جماع المغامرين من الامراء ، والزاهيم بالمعقول من التصرفات .

ولكن ما لم يكن ممكنا القيام به من المغامرات في انطاكية عام 1160 م ، اصبح ممكنا كل الامكان القيام به في جنوبى شرقى الاردن عام 1180 م ، فالملك بودوان الرابع ، اصبح ملك القدس ، وكان مصايبا بالجذام ، وحالته ميؤوس منها ، وقد ضفت الملكية ، وأصبحت موضع مساومة ومنازعات بين الطامعين في السيطرة على الملك .

وفي المملكة الاسلامية كانت الظروف قد تغيرت هي ايضا ، فقد مات الرجل الحديدى الارادة ، نور الدين محمود ، وأصبحت خلانته موضع نزاع بين الطامعين في ان يخلفوه ، حتى تمكن صلاح الدين بعد كثير من العجد من تثبيت الدمامه ، وفرض سلطاته على المنشقين عليه .

اما من الناحية الجغرافية فان موقع قلعتي الكرك والشوبك ، في قلب الصحراء بعيدا عن مواصم المسلمين ومرافئ تجمع قواهم ، يجعل المغامرات اكبر ربحا ، واقل تعرضا للخطر .

و اذا فقد كان زواج ارناط من اميرة قلاع شرقى الاردن ، يحقق جميع الشروط المناسبة والملائمة لانطلاق مغامراته من جديد .

وأخذ ارناط يبحث بيته وارصاده من الصليبيين ومن بدو الصحراء ، ليرصدوا تحرك القواقل ، ويعلمون بها ليقوم بالاغارة عليها ونهبها وسيبي من فيها ، دون ان يخشى مفاجأة من جيش اسلامي قريب .

وتكررت اعمال ارناط ، وعادت عليه الاعمال بالارباح الوفيرة ، فزاد ذلك في جرائه ، وفي اطماعه ، والسلعون لا يستطيعون الوصول اليه ، كما لا يستطيعون ان يتخلوا عن سلوك طريق الصحراء ليصلوا من سوريا وما وراءها الى مصر والجهاز .

ثم جرت المصالات بين ملك القدس وبين صلاح الدين ، لتحقيق هدنة ، تريح الجانبين من عناء الحروب المتواصلة ، وقد كانت المهدنة ضرورية لصلاح الدين ، ليترغب الى تسوية مشكلات مملكته ، واستكمال وحدتها وكانت المهدنة اكثر ضرورة للصليبيين ، الذين انهكتهم الحروب ، وقللت رقعة اراضيهم ، وأخرجت ما تبقى منها في أيديهم ، كما كانت ضرورة لهم لتسوية خلافاتهم الداخلية ، وخصوصا الخلافات بين افراد البيوتات الحاكمة ومشاكليها العائلية ، والخلاف بين منظمتي الداوية والاستبارية .

وحيثما تحققت المهدنة كان من المفترض ان تشمل مملكة القدس ، باماراتها المختلفة ومنها امارة شرقى الاردن التي يحكمها ارناط . واتصرف كل من الجانبين الى تسوية اموره مطمئنا الى تدسيس المعهد والموافق .

ولكن هذه المهدنة لم ترق لارناط ، الذي اعتاد على تحقيق المكاسب والمقام من طريق المدعوان على القواقل العابرة في الصحراء ، فاضمر في نفسه الغدر ، وعدم التقيد بها . وأخذ يتعين الفرصة ، المناسبة للغدر، فقد تكون المهدنة اكثر كسبا له . وبالفعل كانت فني صيف عام 1181 م ، لم ارناط ان قائلة اسلامية كبيرة جدا ، قدرت الروايات ثمن ما فيها بعشرين ألف دينار تسلك الصحراء مطمئنة الى المهدنة ، في حراسة عدد قليل من الرجال ، فاستعد للاستيلاء عليها .

ولما أصبحت القائلة قرية من قلعته ، نزل من فيها يستربعون من وعثاء السفر ، وباتوا ليتهم هناك ،

تفصي بان يتحرك الصليبيون لنجددة ارناط ، ولاعتراض سبيل صلاح الدين الناد عودته من مصر الى دمشق . ولكن العقلاء ، وعلى راسهم ريموند الثالث امير طرابلس ، الذي كانت تربطه بال المسلمين هدنة ، لم يروا هذا الرأى ، وقدروا ان احتشاد الجيش الصليبي في جنوبى الاردن ، امر بالغ الخطورة ، لانه يترك الاراضى الصليبية في فلسطين ، خالية من القوات ، فتتعرض بذلك لهجمات المسلمين المباغتة .

وفازت نظرية المفاميرين ، اذ لم يكن بودوان فى وضع يمكنه من اتخاذ موقف حازم . فعبا الصليبيون توائهم ، وساروا بها الى الكرك ، ومسكروا حولها يتضترون عودة صلاح الدين ، ليوقعوا به . ولكن صلاح الدين علم بمخطط الفرنج ، فخرج على رأس فرسانه يعبر الصحراة على خير تعبئة ، وجعل اخساه نوري على رأس قوة تعرس القائلة العالدة بالمتاع والمرضى والنساء ، على ان يسيروا موقلين في الصحراء ، ليكونوا بميدان من متناول يد الفرنج .

وفي نفس الوقت ، الذي قرر فيه صلاح الدين مبور الصحراة ، اورز الى ابن أخيه فروخ شاه ، وهو نائبه في دمشق ، بان يقتسم فرصة خلو فلسطين من القوات ، ويضرب هناك بعثة . فخرج فروخ شاه من دمشق على رأس قوة خفيفة العركة ، وأسرى الى منطقة الجليل ، فلم يشعر الفرنج ، الذين كانوا يعلمون آمنين مطمئنين ، الا والجيش الاسلامي ينقض عليهم ، يقتل ويأسر ويسبى ويختن ، ويُخرب ، دون ان تكون للفرنج فرصة للالتجاه الى معقل او حصن . ثم هاد المسلمون الى منطقة السواد الواقعة شرقى بحيرة طبرية ، يوقعون بالفرنج ويقتلون بهم .

وتقول الروايات ان فروخ شاه ، هاد الى دمشق يسوق أمامه قرابة الف اسير وعشرين ألف رأس من الماشية . ولم يعلم الصليبيون لهم في مسكنهم قرب الكرك ، بما احدثته هارة فروخ شاه من خراب ودمار ، في منطقة الجليل والسواد ، فقلقا وادركوا خطأهم باباع اراء ارناط وأصحابه ، فانسحبوا مسرعين الى منطقة الجليل ، ومسكروا قرب ميون سورية ، بانتظار ما سيقوم به المسلمين .

اما صلاح الدين فانه وصل الى دمشق في 22 حزيران (يونيو) 1182 م ، وبعد ان اطمأن الى وصول أخيه نوري والقابلة سالمين الى دمشق ، هاد بقواته الى حدود مملكته مع فلسطين المحتلة ، ومسكر في

فلم يشعروا الا وارناط ورجاله ينقضون عليهم ، ويمعنون فيهم قتلا واسرا ، فنجا منهم من سبق فرسه ، وونت القائلة في ايدي ارناط . ووصل الناجون من رجال القائلة الى دمشق يقصون على صلاح الدين اخبار الغدر الفرنجي ، فائزج صلاح الدين وادرك ان وجود قلاع صليبي على الطريق بين شقي مملكته ، امر بالغ الخطورة ، وانه لا بد من القضاء عليها اذا أريد للمملكة ان تزدهر وتتماسك .

وازوج الصليبيون في القدس كثيرا ، وخصوصا الملك بودوان الرابع ، الذي امع عليه المرض وانهكه ، فقد تعود اسلافه تشريف تعدادهم ، والحفاظ على مهودهم ، كما تعودوا ان يشروا بهم صاحب المسلمين وما يقيمهم ، وأسرع يكتب لارناط يلومه على هذا الغدر الذي يظهر الصليبيون بمظهر المفاميرين الذين لا يتقدرون بهم ولا يمشاق . وطلب اليه ان يبعد ما وقع باليديه من المفاصيل الى المسلمين ، وان يطلق سراح الاسرى . فسخر ارناط من الملك ، وأهلن دفعه الاستجابة للطلب . فعاد الملك وارسل اليه وفدا من رجال الدين ، ومن فرسان الاستبارية، يلحوون عليه في غرورة اعادة الاسرى والمفاصيل ، الى المسلمين ، للابقاء على المهدنة القائلة ، فلم يكن رد ارناط على الوفد بالفشل من رده الاول . وسخر من الملك ومن سلطانه عليه .

واراد صلاح الدين ان تستمر المهدنة قائمة ، فكتب الى بودوان يعرنه بالواقعة ، ويستنكر تصرف ارناط ، ويطلب اليه التدخل لاعادة الاسرى والاموال . فلم يجد بودوان ما يرد به على صلاح الدين غير الامتناع بأنه لا يستطيع فعل شيء مع تابع لا يحترم عهدا ولا هدنة .

وحينما تلقى صلاح الدين هذا الرد ، اعتبر المهدنة غير قائلة ، وبادر العرب من جديد . وهكذا وجد الصليبيون انفسهم مسقين برهنهم وراء المفامر ، لأن هارات المسلمين لم تقتصر على ارض ارناط ..

وفي عام 1182 م ، ذهب صلاح الدين لمصر ، ليتفقد شؤونها ، ولما علم الفرنج بذلك ، عقدوا مجلسا حربيا بحضور بودوان ، لمناقشة الموقف . وقد ارتأى المفاميرون من انصار ارناط ، ان صلاح الدين ، سيعود على رأس قوات ، وانه سيهاجم معاقل ارناط في الكرك والشوبك ، لينتقم منه ، وان الحكمة

للمراتب الإسلامية المعاخرة في البحر الأحمر ، فاوسمت بها ، ونهبت العديد منها . وكان أول ميناء ظهر الفرنج امامه هو ميناء (ميداب) ، تجاه ميناء جدة ، ثم انتقل الفرنج الى الموانئ العجازية يغيرون عليها ، حتى بلغوا ميناء الحديدية قرب بنبع ، ومنه الجهوا الى رايغ شمالي جدة ، ينهبون ويقتلون ويأسرون ، ثم ارسوا مراكبهم في الجوراء قرب رايغ ، ونزلوا الى البر يعيشون فيما حولها ، ويعدون عدتهم للإيصال في داخل الأرض المقدسة والوصول الى مكة ، للإيصال بالحجاج المجتمعين فيها .

وقلق العالم الإسلامي لهذه الجرائم التي لم يكن احد يتوقعها ، وأضطررت نفوس الحكام ، وجاشت نفوس المسلمين بالغضب ، كيف تجرأ شرذمة طارئة على مشرقنا المتسامح ، فتفكر في تدبّس المقدسات وتروع الآمنين اللاذين بيت الله وحرمه .

وكان أسرع الجميع استجابة لنداء الواجب هو الملك العادل ، شقيق صلاح الدين ونائبه في مصر ، نجهز اسطولاً مهد بقيادته الى أمير البحر حسام الدين المؤوث ، وكله بملائحة الفرنج وردهم من مقدسات الإسلام . فخرج المؤوث مسرعاً، يتبع الفرنج، ويستقصي أخبارهم ، فأدركهم وقد نزلوا بالجوراء، فاستولى على مراكبهم الراسية ، ثم نزل ورجاله الى اليابسة ، لقتال الفرنج المابطين على الساحل . ولما رأى الفرنج فرق سفنهم ووقفوا في أيدي المسلمين ، انقطع أملهم في النجاة بها ، فلتجروا الى شباب العجال القريبة من الساحل ، فلحق بهم المؤوث وقاتلهم في شباط (فبراير) 1183 م ، ثالا شديداً حتى انتقام ، واخذ من ثقى منهم حياً أسيراً . فأرسل بعضهم الى من لينحرروا فيها كالاضحي يوم عيد الأضحى ، أيام العجاج ، لتنشم خواطر الناس ، وليعلموا ان قادة المسلمين لا يمكن ان يتهاونوا مع من يدنس مقدسات الإسلام ، فنحرروا هناك يوم العيد ، والناس من حولهم يهلكون ويذبحون .

اما الباقون من الاسرى ، فقد سيقوا الى مصر ، فأمر صلاح الدين بضرب اعناقهم جميعاً لكلاً يذكر احد منهم في المودة مع حملات اخرى على الطريق .

لم يكن صلاح الدين يجعل اهمية الخطر الذي يشكله على الإسلام هامة وعلى مملكته بصورة خاصة، وجود الصليبيين في سوريا ، وخصوصاً وجودهم في شرق الأردن وجنوب فلسطين . ولكن هذا الوجود

منطقة التحوانة ، قرب سمخ ، فلم يجرؤ الصليبيون على دخول المعركة معه . لأنهم كانوا يدركون حقيقة تفوقه عليهم بقواته وبموارده وبانضباط جيشه ، بينما كانت الفوضى والنزاعات الداخلية ، تنخر في جسم الكيان الدخيل .

وبث صلاح الدين سراياه في المنطقة تعیث فيها تحت سمع العيش الصليبي وبصره ، دون أن يجرؤ على التعرض للمسلمين . وبلفت سرايا المسلمين بيسان وجنبين تقتل وتخرق وتعرق ، لعلها تدفع الفرنج الى المعركة ، ولكن الصليبيين ليثوا ساكنين لا يتحرون . وأخيراً أعلم الجنود صلاح الدين أن أزواجه قد نفذت وأن مقامهم قد طال ، فقرر صلاح الدين الانسحاب الى دمشق ، بعد أن تأكد من أن الفرنج لن يجازفوا بدخول العرب .

افتر ارتضيات انتصاراته المحدودة على التوالي العابرة في الصحراء ، لجعله ينكر بأمر لم تخطر لغيره على بال ، لما فيها من خطر ايقاظ نسمة العالم الإسلامي كلها ، ودفع المجاهدين الى التدقق على ميدان المعركة للقضاء على الخطر المهدد لمقدساتهم .

ويقول المؤرخون إن ارتضيات ، قد بلغ تيماء في عام 1181 م ، في احدى اندفافاته في الصحراء ، ويماء تقع في قلب الجزيرة العربية ، وانه كان ينوي التوجه من هناك الى المدينة المنورة لمبافتتها ، والامتداد على قبر النبي عليه السلام ، ولكن هجوماً قاتل به فروخ شاه على حصون ارتضيات في شرق الأردن ، اضطربه الى الارتداد مسرعاً ، مخافة ان يباشره في الصحراء .

وقدر ارتضيات انه اذا تمكّن من الاستيلاء على (ایلا) على خليج العقبة ، فإنه يستطيع ان ينشئ اسطولاً يسيطر على البحر الأحمر ، ويتحكم بموانئ المسلمين فيه ، وبالتالي فإنه يستطيع الوصول الى الاماكن الإسلامية المقدسة في مكة والمدينة ، والابقاء المسلمين وهم في موسم الحج .

وبالفعل نفذ المعاشر مخططه ، فأنشأ قوارب في مسقلان والكرك ، ونقل اجزاءها من مكانة على ظهور الجمال فجمعتها في خليج العقبة ، وتدف بمراكيه في البحر ، وبينما اتجهت قوة صليبية تحاصر ايلا ، اتجهت المراكب الأخرى تعبر خليج العقبة الى البحر الأحمر ، ومن هناك سارت الى الموانئ الإسلامية الآمنة التي لم تكن تتوقع ان ترى مراكب صليبية ، فأخذت في نهبها ، والاعتداء عليها ، كما تعرضت

وفي اليوم التالي سار صلاح الدين ونزل على جبل طبرية ، ولبث هناك ينتظر تعرف الفرنج ليقاتهم ، ولكن الفرنج كانوا مختلفين فيما بينهم حول ما يجب عمله تجاه صلاح الدين . فقد مات الملك بودوان الرابع غير مختلف مقاباً ، وأوصى بالملك الى ابنته اخت له ، تزوجها رجل ضميف الشخصية ، عرف باسم (جي دولوزينيان) فاصبح ملكاً من القدس ، وقد أحدث ارتقاء (جي) العرش اشتباكاً في صفوف الصليبيين ، يضاف الى الفوضى القائمة بينهم .

ولما اجتمع الفرنج في صفورية ، ونزل صلاح الدين على طبرية ، افتتح المتمردون مهاجمة صلاح الدين لفك الحصار الذي ضربه على مدينة طبرية ، وكانت طبرية ملكاً لزوجة ريموند الثالث أمير طرابلس ، وكان ريموند أكثر الصليبيين خبرة بالحرب ، وابعدهم نظراً ، وأكثرهم ادراكاً للواقع الصليبي ، وتقديرها لقوته صلاح الدين ، فكان رايته أن لا يخاطر الفرنج التفسخون بالاشتباك بالمسلمين ، وهو أكثر ما يكونون قسوة ، وتصميماً على سحق المدعوان ، والانتقام من محاولة تدمير مقدساتهم . لذلك امتنع على رأي القائلين بضرورة الاشتباك بصلاح الدين ، وقال لهم ان طبرية ملك لزوجته ، وأن زوجته وأبناؤها موجودون في طبرية ، وأنه اذا أحدث مكروه لطبريا فإن الكروه سيصيبه قبل غيره ، ومع ذلك فإنه يفضل أن يضحي بزوجته وأبنائه وببعض املائه ، على أن يقاوم بمستقبل المالك الصليبيين في الشرق ، فسرعانه المتمردون بهادئه بالخيانة والتواطؤ مع المسلمين ، وتطاولوا عليه ، ولما اقتحموا الملك بضرورة السير الى طبريا لفك الحصار ، وترحيل المسلمين منها ، لأنه ليس من الشameة ولا الرجولة في شيء ترك الأميرة لمصيرها تداعع وحدها من طبرية .

جرت تلك المناوشات في المعسكر الصليبي في صفورية ، قبل أن يتحركوا من مواقعهم . ولما رأى صلاح الدين الفرنج لا يتحركون ، ترك قوته في المرتفعات ، لمواجة الفرنج أن تحرروا ، ونزل مسرعاً مع قوة خفينة العركة ، فهاجم طبرية واستولى عليها سريعاً ، وأسر وقتل وفتن ، ولجمات الأميرة ، فسررب صلاح الدين حصاراً حول القلعة ، ولبث ينتظر رد فعل الصليبيين في صفورية .

ولما علم الفرنج بما حل بطبرية ، ارتفعت أمواط المنطرين ، وأقتحموا الملك بضرورة السير لإنقاذ

كان قبل صلاح الدين ، وكان من الممكن ان يستمر ، دون ان يشعر صلاح الدين بأن افلاتهم ضرورة ملحقة لا يمكن تأجيلها . ولكن مغامرات ارنانط في نقض الهدنة وسلب العجاج والتوازن ، وقطع الطريق بين سوريا ومصر والجبار ، ومحاولاته لتدنيس مقدسات المسلمين ، وترويع أهل الأرض المقدسة ، ومن يؤمها من الحجاج المسلمين ، كل ذلك اقنع صلاح الدين ، انه لا بد من القضاء نهائياً على هذا الخطير المدمر ، في اسرع وقت ، واجتنبه من جذوره ، لكيلا تبقى له في ارضنا باقية . نشعر من سامد الجد ، واقسم على انه سينتقم بنفسه من ارنانط ، وأنه سيقتله بيديه ان ظهر به ، وقد مكنته الله من ذلك .

وبناء على حملات صلاح الدين على قلاع ارنانط ، خلال الامواط التالية ، وحاصره اكثر من مرة في قلعة الكرك وضيق عليه ، فكانت الجيوش الصليبية تتجمع في كل مرة ، وتسيير لتجدة الكرك ، ولكنها كانت ترفض الدخول في المعركة مع المسلمين ، لأنها كانت تدرك أنها ليست كفاه لصلاح الدين وجشه .

— ◆ —

وحينما حل عام 1187 م ( 583 هـ ) ، اعتزم صلاح الدين الدخول في معركة خلافاته مع القرنخ ، نصرف منه لتسوية خلافاته مع الاباه وجيرانه المسلمين ، كما طلب الى نائبيه في حلب وحماه ، بمهادنة الفرنج في امارة انطاكية ، (اما طرابلس فكان أميرها قد دخل منذ زمن بعيد في حمى صلاح الدين وهادنه ) . ولما تحقق الصلح بين المسلمين وبين فرنج انطاكية في ايار (مايو) 1187 م ، ( اوآخر ربيع الاول 583 هـ ) . اخذ السلطان في جمع القوات ، واستدعي تابعيه من الامراء في الجزيرة وديار بكر والموصل ، واستدعي قوات من مصر وحلب وحمص وحماة ، وخرج هو من دمشق الى مشترا (في حوران) ، واقام هناك ينتظر اجتماع الجيوش عليه . ولما تكامل اجتماعهما ، استنصر بها في منتصف ربيع الآخر 583 هـ ، وبعدها تبعته القتال ، وسار بها يوم الجمعة في 17 ربيع الآخر ، حتى نزل جنوب بحيرة طبرية عند قرية الصبرة .

وكان الفرنج قد علموا باجتماع الجيوش على صلاح الدين ، فأسروا يجمع قواتهم ، ومسكروا قرب ميون صفورية ، في الجليل ، ينتظرون التعرف على مرامي خطبة صلاح الدين .

الذي أثارت مفاجأته الحرب ، وغيره من الزعماء والقادة .

ولما انتهى القتال ، جلس السلطان المنصور ، في خيمته فرحاً مسروراً ، بما أفاء الله عليه من نصر ، وجلس من حوله كبار القادة والامراء ، واستدمن فيه الاسرى ، فاحضر الملك ارنات ، وقد هدمها العطش ، فامر صلاح الدين للملك بشربة من ماء مثليع فتناول الكوب وشرب منها ، ثم ناولها لارنات ، وكان بجانبه ، فشرب ارنات واصبح صلاح الدين في الترجمان ليقول لنملك الاسير ، أنت الذي سقى ارنات وليس أنا . وكانت الاعراف تقضي بأن الاسير اذا نال من طعام آسره ، او من شرابه لم يمد بجوز له قته . وقد سبق لصلاح الدين ان اقسم بأنه اذا ظفر بارنات ليقتلنه بيديه ، وقد تسبب ارنات بمقاتلاته وجرائه ، وخياناته للمعبود والمواليق ، بهذه الحرب الطويلة المتواصلة ، ولم يصر صلاح الدين على الاستمرار في الحرب الا ليبلغ ارنات ، ليجعله عبرة لكل فادر مفامر .

ولم يشا صلاح الدين ان يقتتل ارنات بحضور (جي) ، فاخرجهما من مجلسه ، ثم استدمن ارنات ، ومنه على محاولاته تدنيس المقدسات الإسلامية ، وذكره بما كان منه نحو رجال القائلة الذين فدر بهم في وقت الهذنة والسلم ، وسخر منهم ومن دينهم ونبيهم ، حينما نادوه الله ، وذكروه بالصلح القائم بين المسلمين والفرنج . ثم قام اليه صلاح الدين ، وقال له ها انا انتصر لدين محمد ، واستلن سيفه وضربه به على كتفه فحله ، وقام من حضر بالاجهز على ارنات ، ثم حملوه الى باب الخيمة والقوه ، ولما راي (جي) صاحبه قتيلاً جزع ، وخاف مثل مصيره فاستحضره صلاح الدين ، وطيب قلبه وهذا روعه وقال له : ( لم تجئ عادة الملوك ان يقتلوا الملوك ، واما هذا فانه تجاور حده ، فجري ما جري ) .

واثر معركة حطين بدت تتهاوى المدن والقلاع التي كانت للصليبيين ، في ايدي صلاح الدين ، وتتابع من خلفه خطه في العمل على اجتثاث جذور الدخالة ، حتى تمكنا بعد قرابة مائة وعشرين سنتين ، من يوم حطين ، من القاء آخر الصليبيين في البحر . ولسم تستطيع النجدات الكثيرة التي تلقاها الصليبيون من اوروبا من ان تمنع زوال كيانهم ، الذي قام في فحفلة من الدهر ، بالعدوان والقهر والقدر .

الاميرة ، فتحرك المعسكر الصليبي كله ، نحو المسلمين رغم معارضة ريموند واحتجاجاته .

ولما علم المسلمون بتحرك الفرنج ارسلوا يخبرون صلاح الدين ، وكان هذا بالضبط ما نصده هو من مهاجمة طبرية ، وهو ان يستثيرهم ، وان يدفعهم الى قبول الدخول في المعركة معه . فترك قوة من رجاله في طبرية تتبع حصار قلعتها ، واسرع هو وبين معه الى المرتفع ، حيث ترك معسكره ، فوصله مساء الخميس في 22 ربيع الآخر . وبعد قليل وصل الصليبيون ، واقاموا معسكرهم تجاه المسلمين ، ولم يجر قتال في ذلك اليوم .

وفي صبيحة يوم الجمعة 23 ربيع الآخر 583 هـ (تموز 1187 م) ، اشتباك الفريقيان في قتال عنيف في ارض طبرية ، دام طوال النهار ، وكان الحرب شديداً ، ولم يكن حول المعسكر الصليبي ماء يصلون اليه ، وحاولت فوانيم اكثر من مرة ان تشق طريقها الى طبرية لستقي ، ولكن المسلمين كانوا يردونها ، بعد ان ادركوا غaitتها .

وبات الفرنج عطاشا ، والمسلمون من حولهم يطوفون بمعسكرهم ، يرمونهم بالنبال طوال الليل ، حتى لم يتركوا لهم فرصة للراحة .

ويذكر الجابان يوم السبت الى القتال ، والفرنج قد انهكم التعب والعطش والحر ، وجرى عراك رهيب ، وصبر الفريقيان سيراً مجيماً ، ورأى ريموند أن المعركة أصبحت خاسرة ، وأنه لم يعد لهم امل في نصر ، فعمل بنعنه من الفرسان حملة مستقتل يريد النجاة ، فامر قائد الفرسان تقي الدين عمر ، رجاله بان يفسحوا لهم المجال ، فخرجوا من المعركة ، وتابعوا طريقهم الى صور . فاضعف خروج قوات طرابلس ، من هزائم المقاولين ، وحاولت فئة اخرى منهم النجاة ، فلاحقهم المسلمين وأبادوهم .

اما الملك (جي) ومن ثقى معه ، فانهم لم يجدوا لهم مهرباً ، فانحازوا الى تل حظين ، وتحصنوا فيه ، فاختلط بهم المسلمين ، وتجدد القتال على اشد ما يكون هنا حول التل . واستمر حتىتمكن المسلمين من الوصول الى خيمة الملك فأخذوه اسيراً ، واسرع ارنات يلتقي بسلامه مستائراً ، وفعل فيه مثل فعله . وانتهت المعركة مساء السبت باسر الملك واسره ارنات

# دراسة حول نحایة الأدب للنویری

## من موسوعة الأدب واللغة

### هل التعبير الجيد بلغة رصينة هو أداء؟

### عبد الحمیع الندوی أستاذ باحثة المیة الإسلامية

(زنیج البستان)

توصلنا من حضرة الاستاذ عبد الحمیع الندوی بهذه الدراسة الشیقة التي شارک بها في مسابقة المكتب الدالّم ، الا ان لجنة التحكيم ارتأت أنها تعید من موضوع المسابقة - ونظراً لقيمتها الفعلية منها هذا القسم الذي نشره شاڪرین :

بحركة مباركة يمكن ان نسميه بـ «حركة الموسوعات»، وغاية هذه الحركة هو جمع ما يوجد من نتاج العلماء القدماء ، وما وضموه في مختلف العلوم والفنون من كتب خوفاً من غيابها ، على ايدي الفرازة . ذلك ان التيار قتلوا «كثيراً من علماء المسلمين ببغداد وغيرها» ومن قتل ببغداد الشیخ محي الدين بن الجوزي وأولاده . وكذلك انلقووا كثيراً من دور الكتب واحرقوها . وقد أمر هولاكو وقت فتح بغداد بالقاء جميع الكتب التي في دور الخلفاء في نهر دجلة . وبذلك ضاعت على الدين ذخائره ، وعلى العلوم والأداب ثقائلاً ، فنفت العربية الى الابد آلاماً من المؤلفات<sup>(1)</sup> فلما رأى العلماء هذه الكارثة الرهيبة وما جرت من ضياع أكبر العلماء وأجلهم شيئاً « وجدوا أنفسهم - بعد هذه الكارثة الرهيبة - مسؤولين أمام الله عن دينه ، وأمام التاريخ عن نهضة العلم واقالة مشاره » ، وأمام ضمائركم من معارفها وأمام أوطائهم من تدعيمها . فذلمهم شعورهم العميق بهذه المسؤولية وضخامتها إلى الجد في العمل لثلاثي ما ثان ، وبذل الجهد لامادة هذا المرح المنها<sup>(2)</sup> ومن هنا نجد طائفه من العلماء في هذا

ولد النویری في اواخر القرن السابع المجري ، ولد النویری في اواخر القرن السابع المجري ، فيرت القرن الذي شهد تطورات سياسية هامة ، فيرت مجرى التاريخ الإسلامي بسبب نشطة التيار الجامحة التي اعقبتها ويلات ودمار انجلت من حركة علمية ، من نوع جديد ، لم يكن للعالم الإسلامي ، بما يهد من قبل . فما ان يكاد نجر القرن السابع المجري بشرق الا ونرى المقول العربية ، التي لم تزل طوال السنوات الماضية ، تزود المجتمع العربي ، بانتاجها الخصب ، وتتابع تردداتها الفياسقة ، قدتوقفت او تكاد ، وذلك بسبب تغير الاوضاع والظروف التي فلما تسمح لاصحاب الفكر والعلم والمشتغلين بالأدب والفن ، بمزاولة اعمالهم الفنية ، وممارسة انتاجهم العلمي والادبي دون ان يتوجسوا خيفة او وجلاً . وبخاصة بعد ما كان هؤلاء العلماء قد الفروا جواً وظروفاً تتنافى والتي ابتوها بها في هذه الحقبة من الزمن ، فلما تجد انتاجاً علمياً خصباً ، او مادة ادبية نشيطة غزيرة ، او شعراء مدبلاً بليغاً ، من ذلك النوع الذي تطرب له القلوب وتترنح له المشاعر والاحاسيس . ولكن ما تكاد تتشع غياها بهذه الفتنة حتى يبرز رمط من العلماء ، ليقوم

1) من مختصر أبي الفداء ج 4 ص 194 ، نقلًا من كتاب « مصر سلاطين الممالك » لمحمد رزق سليم

المجلد الثالث ص : 17 .

2) نفس المرجع السابق .

العصر قد عكفت على دراسة ما تبقى من هذا التراث الفخم ، واستخلاص موارده ، وجمعه في كتب مطلولة فخمة ضنا به وحفظها .

والغريب في الامر ان هذا الرهط من العلماء وخاصة النويري ، ادخله في مرامه هذا ، امدة حسنة من حياة رهط من الصحابة ، قاما ، خوفا من الضياع والذهب ، باول عمل للاجتمع والتذويب ثم في اللغة العربية وتاريخ المسلمين ، وأعني به جمع القراءان الكريم وتذويته في مصحف مكتوب . فقد نقلوه من الجلود ، والمعظم والصعب واللهاج التي كانت سور القراءان الكريم او آياته قد كتبت عليها زمن النبي صلى الله عليه وسلم او من صدور الصحابة من الحفاظ الدين كانوا يسمون القراء عصر ثد . وكان الباعث الهم وال الاول هو توجس الخيفة من ضيامه او ذهابه مع من ذهب من القراء في الحروب والغزوات ، كما حدث في غزوة اليمامة .

فقد روى المؤرخون ، انه هندا ارسدت بعض القبائل من أهل الجزيرة ابان خلافة سيدنا ابي بكر الصديق ، وارسل القوات الاسلامية لقمع دابرهم ، دارت بينهما وبين المرتدین معارك دامية ، استشهد فيها حوالي 1200 مسلم من بينهم 700 قاريء . ففرغ المسلمون كثيرا لهذه الظاهرة التي تمرست لهم اول مرة في حياتهم . وخفوا اذا ما استمرت الحال عن هذه الوبرة ، ان يحرموا من القراءان الكريم بعوت او شهادة حفاظه . وكان منهم اكثر خوفا سيدنا عمر بن الخطاب ، فسعى الى ابي بكر يحاوره في الامر . وأشار عليه ان يقوم بجمع القراءان الكريم حفظا له وضنا به . الا ان ابا بكر تردد في الامر وترى وقال : « كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يهدى اليها فيه عهدا » . ولكن عمر الع عليه واصر ، فخضع له آخر الامر ورأى الحكمة في جمهه . فطلب الى زيد بن ثابت وكان من ابرز كتاب الولي ، في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فجمعه مما وجده مدونا عند الصحالة ، وما كانوا قد حفظوه في صدورهم ، فجعل مصحفا كاملا وسلمه الى ابي بكر . فلما توفى ابو بكر تسلمه عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء وبعد وفاته في سنة 23هـ ، انتقل المصحف الى كرمته حفصة ام المؤمنين .

وفي زمان سيدنا عثمان بن عفان ، عندما توسيع رقعة الفتوحات وانتشر المسلمون الى اقطار مختلفة وبلدان عديدة ، مع نسخ من القراءان الكريم يمولون عليه ودخلت في حظيرة الاسلام شعوب وقبائل تتغير لفائتها

ولهجاتها لهجة قريش ، التي نزل القراءان الكريم بها . وحدث اختلاف في قرائته ، وبذا في ادراكه معناءه ، اتعلل حذيفة بن عثمان ، واباه بما رأه أثناء سفره الى آرمينيا وآذربایجان في غزوة ، من اختلاف المسلمين في القراءة والتباخر بها والتمسك بها ، حذره من العاقبة الوخيمة التي قد يؤدي اليها هذا الاختلاف وهذا الوضع الشاذ اذا ما تفسى بين المسلمين وقال قوله المعروفة : « ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » . فطن عثمان الى ما في قوله من حكمة واستتصوب رايه . وطلب الى حفصة يقول لها : « ارسلينا اليها بالصحف ننسخها في الصحف ثم نردها اليك » ففعلت ، فاستدعي عثمان رهطا من الصحابة من كتبة الولي والمتضلعين في القراءان الكريم ، مثل زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وغيرهم وامرهم ان ينسخوا القراءان ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم » ، فعملوا وكتبوا اربعة مصاحف بعث بها عثمان الى الامصار . وابقى منه نسختين ، احداهما لاهل المدينة والآخر لنفسه . وسميت هذه الاخيرة « بالامام » . ثم جمع المصاحف والصحف الاخرى وامر بحراثتها ،

ومن نسخ عثمان المرسلة الى البلدان والامصار الاسلامية الكبرى مثل مكة والبصرة والكونية والشام ، استنسخ السنون مصاحف اخرى ، حتى كثرت النسخ ، فاصبحت الى مئات ، الى واقعة صفين بين علي وعاوية حسب قول المسعودي .

تلك هي الاسوة الحسنة التي جعلها النويري نبراسا له يهتدي به خير مثال يقتفيه . فقد جمع القراءان اول مرة بسبب خوف الضياع وذهب اهله . فيبينه وعمل النويري شبه قریب . فانه ايضا قام بجمع تراث الانسلاف خوفا من الضياع على يد الحدثان وخاتمة بعد ما رأى ما آل اليه امن الكتب والكراسات والدراسات العلمية ، اثر اكتساح التيار الانقطاعي الاسلامية والعربي منها بصفة خاصة .

لم جمع القراءان الكريم اثناء لشر تفسي اللهجات المختلفة وتعدد المعانى والمفاهيم القراءانية من اجلها . وتفاديا لوقوع الخلاف والشجار بين المسلمين فيه . فائنا ولو نستبعد قيام النويري بهذا العمل اثناء لشر تفسي اللهجات وتفاديا لوقوع الخلاف ، الا انه يتبادر الى الذهن ان النويري يمكن ان يكون قد نظر في

الذي لولا « هذا التردد » لكان قد أصبح في حديث الماضي ، مثل الكتب القيمة الأخرى ، التي لا نجد لها ذكرًا ، إلا بين طيات كتب التاريخ أو كتب الطبقات . وان وجدت فانها لا تزال زينة الرفوف في المكتبات ، لم يقدر لها أن ترى النور بعد . أو هي مخطوطة نادرة نعرف أو لا نعرف لها مقراً .

نما التوبيري في هذه الفروض ، وترعرع في هذه الفتنة » . واشتعل بوظائف حكومية متعددة ، في بلاط السلطان العاكس ناصر ( محمد بن قلاوون ) الا ان نفسه الطموح لم ترض عن مزاولة هذه الوظائف التي كانت قد جعلت منه اداة للجهاز الحكومي ليس الا . دون ان تسمح له بالاشتغال بما جبل عليه من حب للعلم ، ووله بالعنف على الادب والفن ، وللامام بنصيب اوفر مما جادت به قرائع العلماء والتابغين . ورجل هذا شأنه لا يستقر به مقام ، مهما كان ذا عزة هليا ، ومنصب مرموق ذلك لأنه دائما يحسب مرకبه هذا دون اهليته وما تهوى اليه نفسه ، مهما يكن شيئا في نظر الآخرين . فما كان من التوبيري الا ان ترك وظيفته في بلاط السلطان حيث قال « تم تبدلها وراء ظهري وعزمت على تركها في سري دون جهري وسالت الله تعالى الغيبة عنها ، وتفرفت اليه فيما هو خير منها ، ورفقت في صناعة الادب وتعلقت بأهداها وانتقمت في سلك ادبائها . فرأيت هرمني لا يتم بتلقيها من افواه الفضلاء شفافها وموردي منها لا يصنفو ما لم اجرد العزم سفافها » (4) .

ومن ثم حول التوبيري جهده لطالعة الكتب بنفسه ، لكي يتحقق غرضه من هذا العلم الذي يشتق اليه ، والذي قد فسح في سبيله بوظيفته الحكومية

الموضوع من هذه الناحية ايضا . فمن يدرى لعله رأى انه عند جمعه لهذه المؤلفات يصونها من الفساد من ناحية ، ويصونها ايضا من وقوع الشك والريبة في نصوصها وموادرها من ناحية أخرى ، وخاصة عندما يطول عليها الامد . نحمد الله ربنا نصوصها في سجل ولم يمض على وضعها مهد بعيد ، ويشتمه بيده وهو العالم الخبير « الفقيه الفاضل والمؤرخ البارع » له مشاركة جيدة في ملوك كثيرة » حسب قول التغري كتابه كانت خلية بالتغيير والتبدل او للشك والشبهة في نصوصها خلال التيارات السياسية والاجتماعية التي مر منها المجتمع الاسلامي في تلك المصور . (1)

وبما ان القاهرة ، مدينة المالك ، كانت في مأمن من ويلات هذه الفتنة الطافية ، فلقد ابعت هله الحركة - حركة الموسوهات - من هذه الارض الطيبة المطمئنة . نسجل القائمون بها ، ما تركته لنا جهود العلماء من السلف ، من نتاج خصب ، من علم وادب ، وحكمة ومعرفة ، ودين وموسطة ، وتاريخ وسيرة ، وغيرها من الفتوح . « فالفضل الاعظم في بلاء اداب اللغة العربية في ذلك المصر يرجع الى مصر والشام ، وهذا في حوزة السلاطين المالكين ومن بقى من الملوك الايوبيين . فقد كانت الملجا الوحيدة لبناء هذا اللسان في فرارهم من وجہ المغول عند اكتساحهم خراسان وفارس وال العراق » (2) ومن بين القائمين بهذا العمل الجليل ، شهاب الدين احمد التوبيري الكلبي البكري صاحب « نهاية الارب في فنون الادب » . حتى ان هذا العمل لا يتعدى « ان يكون تردیدا لما ثنا ، وجمما لم تفرق او تغريقا لجتمع » (3) الا أنه ليس من شك بأن هذا « التردد لما ثنا » له الفضل الاعظم في حفظ ما خلفه لنا آباءنا وأجدادنا من هذا التراث الضخم الغير

١) راجع لجمع القراءان وتدوينه :

١ - صحيح البخاري باب جمع القرآن .

ب - الترمذى أبواب التفسير .

ج - انسان للسبيوطى .

د - فتح الباري .

ه - المصاحف لابن ابي داود . والكتب الاخرى باللغة الاردية كتبت حول الموضوع .

٢) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي ريدان - ج 2 صفحة : 111 .

٣) ظهر الاسلام لاحمد امين ج 4 صفحة : 191 .

٤) مقدمة نهاية الارب ج 1 صفحة : 3 .

يحفظ هذا التراث العظيم الذي كان قد أصبح مرفقة للخطر على يد الحدثان . هذا التراث الذي اهمله المجتمع لانشغاله بأموره الخاصة ، التي فرضتها عليه الظروف ، من فيق أسباب المعاش وتغير الاوضاع المألوفة وهذا العمل يتطلب الى جانب العقل الناخي والدوق السليم ، هلما فزيرا ، ثم خطبة مرسومة احکمت أصولها ، وترتيب وتهذيب روعي فيها دقة الاختيار وحسن الانتخاب . فان القينا النظر على كتاب نهاية الارب من هذه الناحية ، وجدناه مستوفيا بهذه الشروط كلها وان خضنا في البحث في مفهوم الكتاب ، وجدناه وزعها على أبواب وفصول واقسام في صورة منتظمة لا يصد اليها من يريد جمع اشباه ونبذات خيفة الافتراض منه او النسبان ، ليرجع اليها اذا شاء الرجوع . فهذا الترتيب الكامل ، لا يمكن ان يأتي مفواه دون أعمال الفكر وتنسيق الخطبة ، وبعد طول الممارسة وتذليل استغرق وقتا غير قصير . ليس هذا فحسب ، بل ان هذه الظاهرة تجلی بوضوح في المقدمات التي يستهل بها الابواب . فهي كلها انت على غرار مقدمات ، تكتب بعد فكر ورواية بالفين ولا ينطلق بها قلم يجمع لصاحب مختارات من هنا وهناك ، في صورة « مذكرات » . اذا كان شانه غير شأن المؤلف او الجامع . فقلما يوجد بها ترتيب محكم ، او تهذيب ملحوظ ، او اختيار منسق ، او خطبة مرسومة ونهج معين مضبوط . ثم ان التویري نفسه قد افصح عما كان ينويه من جمع كتابه هذا حيث يقول « وما اوردت فيه الا ما غالب على ظني ان النقوس تمثل اليه وان الخواطر تشتمل عليه » (2) فهله العبارة تبرهن على ان التویري لم يبذل جهوده الجبارية هذه لاجل نفسه وحدها وانما للنقوس وللخواطر بالجمع لا الفرد اي نقوس القراء الى جانب نفسه طبعا . كما كان ينوي ان يائي بكتاب يكون ذخرا للخلف ، وخرانا لما ورثناه من انتاج اسلامنا من العلماء والفقهاء والادباء النابغين .

فقال « فامتطيت جواد المطالعة وركضت في ميدان المراجعة ، حيث ذلت لي مر Kirby وصفا لي مشربها (1) . وبما انه من الشخصيات التي ثبتت في مصر كان يمر بانحلال ، ويتعاني تدهورا في الانتاج العلمي ، لم تحفظ مطالعته هذه ، وانشغاله بالادب والعلم وما اتبع له الانشغال ، الى ان ينتفع شيئا من نيسن قريحته هو ، ويملي عليه مكونه على المطالعة ، وتلقى مختلف العلوم والفنون . بل حاول ان يجرد من مطالعته كتابا لا يسمى به في الانتاج العلمي اسهاما - كما يبدو لاول وهلة - وانما يمتاز به هو بنفسه ، ويرجع اليه اذا اضطررت نفسه الى المراجعة فيقول ... « آثرت ان اجرد منها كتابا استأنس به او ارجع اليه واعول فيما يعرض لي من المهمات عليه » (1) مقدمة نهاية الارب ) .

وهنا يتبدّل الى الذهن ان التویري انما بدأ عمله لجمع ما طالمه في الكتب في موسوعته ، ليس بارادة تأليف كتاب بالذات بالمعنى المفهوم ، وانما غرضه استيعاب ما طالمه وضبطه في دفتر ، لكن لا ينساه وان انفلت من ذاكرته شيء سهل عليه الرجوع اليه . وكلما لم يأت بهذا الكتاب بعد فكر ودراسة ورواية في الموضوع ، وانما جاء به عدوا كفكرة طارئة ، دون ان يحسب لها حسابا من قبل .

ولكنه يبدو لي ، ان التویري ، بعد ما كان قد اراد ان يضم كتابه هذا وما يخاف انفلاته من ذاكرته ، وبعد ان مضى فيه فعلا شوطا ، غير رايته لما وجد من أهمية فيما يطالمه ، وندرة ما وصلت اليه يداه من النفائس . فمن ثم وطد عزمه على جمع هذه النبذات ، وتسجيل ما يعجب به من المختارات ، لا يستفيد بها هو وحده ، بل لتكون ذات فائدة للآخرين ايضا ومتمنية لهم لكن يمكن لهم الرجوع اليها والالتمام بها عند الحاجة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لكي

(1) مقدمة نهاية الارب ج : 1 صفحة : 3 .

راجع للتویري : 1 - ممالك الابصار في ممالك الامصار لفضل الله العمري .

2 - النجوم الراهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تفري بردي الاتابكي ج 7 و 9 .

3 - حسن المحاضرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ج : 1 .

4 - كشف الظنون للجلبي ج : 2 مادة ( ن ) .

5 - الطالع السعيد لجعفر بن ثعلب الادفوي حرف .

6 - تاريخ ادب اللغة العربية لجرجي زيدان ج : 3 .

7 - الحركة الفكرية في المعاصرتين الابوبي والمملوكي للدكتور عبد اللطيف حمزة .

(2) مقدمة الكتاب صفحة : 26 .

الجمع ، قليل الابتكار » فلم يترك السيوطى بابا لفن لم يطرقه « حتى لقد مدت من تأليفه بثلاثمائة كتاب » (٤) .

كانت تلك هي الظروف ، وهذه الاوضاع التي وضع فيها التويري كتابه الشهير « نهاية الارب في فنون الادب » في ثلاثين مجلداً ضخماً . وعلى ترتيب حسن بديع يضافي احسن ترتيب ممكن . اودعه كل مختار ومنتخب من علوم القدماء، ومن كل فن موضوع، وبقدر ليس بفضيل .

قسم التويري موسوعته الى خمسة ثنوون ، يحتوي كل فن على خمسة أبواب . ضمنها جميع العلوم والفنون التي كانت معروفة الى مصر ، من الكلام حول السماء والآثار العلوية ، والارض والمعالم السفلية ، والانسان وما يتعلق به . من اشتغاله من كلمة الانس ، الى ما يعرض له الموارض في الدنيا ، وما يميل اليه من شعر وأدب ، وما يرثب فيه من حب وهو ونزهاته الى حياة متفرقة فواماها الخمر والشفاء ، والستة والنديمان ، ومجالس الفتاه وغيرها . وما روى منه من حكم وأمثال ، وقصص وأخبار . كما نقل مما وجده حول الحيوانات ، الصامت منها والناطق . وحول النباتات وما يتعلق بها من أصلها و مختلف اسمائها وأوصافها . وما أعجب به في التاريخ من تبدلات ووقائع واحاديث ، من مبدأ خلق ابينا آدم عليه السلام تخلله اخبار يوم القيمة ونفحاته ، وخروج ياجسوج وما جسوج وهو الله ، وزرول ميس عليه السلام آثاره ، الى اخبار ملوك الاصقاع وملوك الامم والطوائف ، ووقائع العرب في الجاهلية ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اخبار الخلفاء الراشدين ، فالدول التي تلتهم ، من اموية ومباسية وغيرها الى ان انتهى هذا الباب بأخبار ولی نعمته ابن المظفر محمد بن قلاوون الصالحي ، سلطان مصر ، وهنا يتنهى الكتاب .

وقد يتساءل المرء لماذا سمي التويري كتابه هذا بـ « نهاية الارب في فنون الادب » مع اتنا نراه يضم اليه علوماً وفنوناً لا تتعلق بالادب في شيء ، وإنما هي علوم وفنون بذاتها لها اصولها وقواعدها . وانه لمن المعجب أن التويري ، مع هزارة علمه ، وعلو كعبه

ومع ان التويري « كان بطبيعته ميلاً الى العلم والأدب ، شغوفاً به مكرفاً عليه ، فقيها فاضلاً ، مؤرخاً بارحاً ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » (١) ولكنه عند تقله هذه الكتاب لم يعتمد على نفسه وعلمه ومعرفته فحسب ، بل اظهر نفسه تابعاً للعلماء السلف معتمداً على علمهم ، والتفاق في كفاهتهم ، ولذا اتفقى آثارهم في هذا المضمار الذي يقول « ولو علمت أن نبه خطأ لتبينت بياني ، وغضبت طرفي ، ولو خبرت طريق المفترض ، لم غطت هنائي وثبتت مطفي » ، ولكن تبعت فيه آثار الفضلاء قبلى ، وسلكت منهمهم فوالت بحالهم حباي » (٢) .

وبما ان التويري اتفق آثارهم ، فطبعى ان يتبرأ من الالفاظ التي قد تبدو في الكتاب ، فيحصل مستوثبتهما هؤلاء العلماء بقوله « فان يكن امترافق فعلى علاهم لا على العار » (٣) ومن هنا يتضح ان التويري لم يرض لنفسه مرتكزاً الا مركز الناقد الامين ، دون ان يستخدم في المسائل رأيه او يعمل علمه او يعرض ما ينفعه على محك ليعرف به جودة البساطة من فشها ، وخاصة في المسائل الدينية والامور المختلفة فيها بين العلماء كما سنرى .

والسبب كما أسلفناه ، هو الانحلال الفكري والاضمحلال الذهني الذي طرأ على العلماء في هذا العصر . تم الفوضى وعدم الاستقرار الذي كان سائداً في المجتمع الاسلامي . فلم يخفهم هنفهم الى الابداع والابتكار الذي يتطلب راحة البال واستقرار الاحوال . ومن ثم اقتصروا على جميع ما وجدوا امامهم من الكتب ، في شئون الفنون والمشوهات . وذلك ما اشار اليه مميد الادب العربي الدكتور طه حسين في احاديثه اذ قال : « يان مصر المماليك يمتاز بأنه عصر دوائر المعارف والموسوعات الأدبية ، الفت فيه الكتب التي جمعت ما كان العرب والمسلمون قد اصدروا من الكتب الكثيرة مثل لسان العرب (ابن منظور قبل التويري) و « مسائل الابصار » لفضل الله المغربي ، و « صبح الامش » (القلقشندي) ، الى أن ينتهي هذا الركب الى السيوطى « الذي » هو اكبر مظهر لهذا العصر اي المصر الملوكى ) فهو مؤلف كثير النايف ، كثير

- 
- 1) النجوم الراحلة في ملوك مصر والقاهرة لتغري بردی ج 9 صفحة : 299 .
  - 2) مقدمة الكتاب .
  - 3) مقدمة الكتاب .
  - 4) ظهر الاسلام لاحمد أمين ، ج : 4 ، صفحة : 21

والتمثال البديع . فهو اذن يتصل بالدوق والحس والشعور ويس ملكة تقدير العمال في النفس . والكتاب في النحو او في الطبيعة او في الرياضة ادب بالمعنى العام لانه كلام يصور ما انتجه العقل الانساني من أنواع المعرفة ، سواء احدث في النفس اثناء قرائته او سماه هذه اللغة الفنية ام لم يحدتها .

على ان الادب ، او الاديب ، ليس من شأنه ، ان يبحث في هذه العلوم من حيث هي ، فيتعمق فيها ، وانما يأخذ منها الشرط الذي يتعلق بالانسان ومحيهه ويبيئه ويتناولها بالقدر الذي يحدث المتمة ويثير الحساسية في نفس القارئ او السامع . فانه ان تعمق فيها ، قد يفقد الحساسية والاتار في كلامه ، فيصبح انتاجه في الادب بالمعنى العام ولذلك اصاب الجاحظ عندما نادى « بان الادب » هو الاخذ من كل فن بطرف ». وهذا الاخذ من كل فن بطرف ، يجب ان يكون بحيث يعبر عن معنى من معانى الحياة بأسلوب جميل . فلا بد لعد الشيء ادب من وكتين : معان تشير الى المفاهيم والالفاظ جميلة اديت بها المعنى ... كذلك لا بد من صياغة وتعبير جميل . وذلك هو مفهوم الادب في مصرنا هذا .

فإن القينا النظر على ما جعله التوبيري في كتابه من نبذات واقتباسات في ضوء هذا التعريف للادب ، نجد أنه يفي به تماماً بل يزيد ، إذ انه لم يتمتع في العلوم والفنون بهذه النقل والاقتباس ، وانما أخذ منها تلك المبنيات واللقطات التي تتمتع بها النفس ويتاثر بها الحس وتتلذذ بها المشاعر ، وكل ذلك في صياغة وتعبير جميل مع الفاظ جميلة . وبذا أقام بشرط « الأخذ من كل فن بطرف » فجاء فيه ، من ناحية ، الكلام الجيد من المنشور والمنظوم ، كما اشرنا اليه في الصفحات السابقة ، ومن ناحية أخرى زاد عليه ، فجاء بعاصم وفنون تعتبر من الادب بالمعنى العام ، مثل الكلام على النحو والصرف والبلاغة والتاريخ والجغرافية والسيرة والعلوم الطبيعية وغيرها . وكذلك فإنه شمل معنى الادب بمفهومه ، المفهوم الخاص منه والعام في وقت واحد .

فإننا اذا لم نأخذ هذا التعريف بعين الاعتبار ، فقد نضطر الى شطب بعض الكتب الهمامة ، وانتاج بعض الفطاحل من القدماء من مداد الادب ، ولو أنها ما زلت نعتبرها من أمهات الكتب الادبية والامثال الرائعة التي خضعت أمامها وما تزال تخضع ، هامات الكبار من العلماء والادباء في كل مصر ومصر . وأعني

في التمييز بين فن وفن ، قد اباح لنفسه ان يطلق اسم الادب على جميع هذه الفنون التي تتغير تغایر كليا ؟ فليس من شك ، بأن الكتاب يحوي فنونا وعلوما لا تمت الى الادب بصلة كما قد يتبادر الى الذهن لأول وهلة . كما أن التوبيري لم يجعل ما بين فن وفن من فرق وتغاير ، ولكنه مع ذلك شملها كلها بالادب .

## الادب ومفهومه

ان الادب ، وان دلت مادته منذ اقدم المتصور العربية الاسلامية على رياضة النفس بالتعليم والتعرين على ما يتحسن من السيرة والاخلاف ، والتأثير بهذه الرياضة والاقتناع بها واكتساب الاخلاق الكريمة واصطناع السيرة الحميدة ، تطور مفهومه في القرن الاول الهجري ، ليشمل التعليم ايضا ، « فالمؤدب كان يراد به الشخص الذي يتخد التعليم صمامه ويكتب به رزقه » ، « والادب » كل ما يلقبه المؤدب (المعلم) الى تلميذه من شعر وقصص واخبار وانساب ما هذا العلوم الدينية التي تتعلق بالقراءان والحديث النبوى الشريف .

فلما استهل القرن الثاني والثالث للمigration ، حيث نشأت علوم اللغة العربية ، من صرف ونحو ولغة وبلاغة وغيرها ، انتعش مفهوم الادب ومراده « فاصبح الادب يدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنتشر ، وما كان يتعلمه ويفسره من الشرح والنقد والاخبار والانساب وعلوم العربية » .

نهل لهذا الكلام الجيد من المنظوم والمنتشر محك نختبر به جودته ؟ نعم ، فالكلام الجيد ، من النظم والنشر ، هو ذلك الذي « يحدث في نفس قارئه وسامعه لله فنية ، سواء أكان هذا الكلام شعراً ونشرأ . وليس كل ما ينظم أو ينشر يحدث في نفس القارئ او السامع لله فنية . ولذلك نضطر الى تقسيم الادب الى معينين مختلفين : أحدهما « الادب بمعناه الخاص » وهو الادب الغني الذي يبعد القارئ او السامع في نفسه لله ومتعمقة لقرائته او سماه ، فليتلاذ به ويطرب . والثاني « الادب بمعناه العام » وهو الانتاج العقلي الذي يصدر في الكلام ويكتب في الكتب . فالقصيدة الرائعة والمقالة البارعة والخطبة المؤثرة والقصة الممتازة ، كل هذا ادب بالمعنى الخامس ، لأننا نقرأ أو نسمعه فنجد فيه لله فنية ، كاللذة التي نجدها حين نسمع غناء الغنـي وتوقيع الموسيقى ، وحين نرى الصورة الجميلة

الإطاء والمقابر والقصب والمرىءاد حتى الفيران والجروزان . ثم مهد الى الطيور الباقات منها والمقللات والنزور ، وما منها الليلية والنهارية وغيرها من مختلف الأقسام والأنواع ، التي قيلت فيها الشعر (2) هذا من ناحية وصف الحيوانات . فإذا فرغ من نقل الاشعار الوصفية ، بدأ ينقل من الاشعار تلك التي فيها ذم للحيوانات ، ورددت على سبيل المهجو « كطرالك في ذم العقيل والعمير والبفال » اتنى فيما باشعار تهجو الحيوان لهزالها وضفافها وعدم سيرها او عدم تحملها المشاق وغيرها من المعابد التي تهجر من اجلها الخيول والبفال والعمير . (3) وجميع هذه الاشعار من شعر جزل دائم .

فان انتقلنا الى الفن الثالث والرابع والخامس (3) نجد هنا كثها توشك ان تكون ادبنا خالصا . « فقد اشتمل الفن الخامس منها - بنوع خاص - على كثير من الامثال وعلى كثير من اشعارهم التي تجري مجرى الامثال وذلك من لدن امرىء القيس الى العصر الذي هاش فيه التویري » (4) وهكذا نجد التویري قد انس في جميع الابواب والفنون بطائلة من الاشعار ، في غاية من الروعة والجمال ، مما تضيّف اليهـا من الصفة الادبية قدرـا يطـيـفـ علىـ الفـنـ الـدـيـ تخـضـ هذهـ المـادـةـ اليـهـ وـتـشـتـمـلـ هـذـهـ النـبـذـةـ عـلـيـهـ . هـذـاـ منـ نـاحـيـةـ ، وـمـنـ نـاحـيـةـ اخـرـىـ انـ التـوـيـرـيـ لمـ يـفـكـرـ فـيـ وـضـعـ كـتـابـهـ هـذـاـ فـيـ الـادـبـ بـالـعـنـ المـخـصـوصـ الـذـيـ حـدـدـهـ النـقـادـ وـالـعـلـماءـ قـبـلـ الـقـرـنـ الثـالـثـ الـمـجـرـيـ . بـلـ وـسـعـ نـطـاقـهـ وـجـلـهـ الـادـبـ بـالـعـنـ الـعـامـ الـذـيـ يـشـمـلـ كـلـ شـيـءـ بـحـيثـ يـاخـدـ مـنـ كـلـ فـنـ بـطـرـفـ وـذـكـ طـلـيـ فـرـادـ التـالـيفـ الـذـيـ كانـ شـانـهـاـ فـيـ مـصـرـ فـيـ ذـكـ الـعـصـرـ .

ومهما يكن من شيء؛ سواء نظرنا إلى الكتاب بمفهوم الأدب قديماً أو بمفهومه الحديث، فإننا لن نجد الكتاب خارجاً من نطاقه الأدبي في أي شيء. وهل كل حال فإنه يتوجب أن يعزّب عن البال أن «النهاية موسوعة» قبل كل شيء، ليس من شأنها أن تقتصر على فن دون فن ثلها رسالة أكثر أهمية وخطورة منه، وهو أن يكون سجلاً حافلاً لكل شيء على وجه الأرض. وبما أن صاحبها حمل على جهه للإذاب، أتى بهذه الأشياء كلها

به (الكامل للمبرد) و (البيان والتبيين للجاحظ) و  
كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة) و (طبقات  
الشعراء) (لمحمد بن سلام الجمحي) وغيرها من  
الإنتاج الأدبي الخصب المتنوع ، فهذه الكتب جمجمها ،  
تشمل الأخبار والأنساب والقصص والسيره والتاريخ  
والأساطير . ومع هذا فإن أحدا لا ينكر أنها ليست من  
الكتب الأدبية ، وهذا الإنتاج ، ليس من الإنتاج الأدبي .  
فاما إذا اذ نردد في اعتبار كتاب « نهاية الارب »  
للنوويiri في مداد الأدب وحيطته ، والحال ان كتاب  
النوويiri يحيط بمفهوم الأدب بالمعنىين !

ونمة ناحية جديدة بالاتباه اليها وهي أن التويري لم يدون كتابه هذا باعتباره كتابا في فن خاص أو علم يبحث في ناحية من فن معلوم معين ، وإنما حاول جمع ما أدته مطالعته من العلوم والفنون ، في كتاب له أجزاء متسللة متباينة ، يجعلها مرجعا لكل هذه الفنون . ثم أن معظم الأبواب والاقسام التي يشملها الكتاب يضمون الأدب بالمعنى المفهوم منه في هذا العصر . أما الأبواب الباقية منه ، فإنها أيضا لا تخلو من نبذات الأدب خلوا تماما . فخذ مثلا « باب السماء » تجد فيه من الأشعار التي قالتها الشعراء حول السماء والنجوم والفقاك وكلها في منتهى الروعة والجمال ، تترنح لها المشافر والاحاسيس وتطرأ لها القلوب . مما يجعل من الباب جزءا من الأدب له قيمة ووزنه من هذه الناحية . وكذلك حين ينتقل لنا صفحات الحيوانات على مختلف انواعها [1] فإنه يأتي في هذا الصدد ، بنخبة مختارة من الأشعار قالتها الشعراء حول هذه الحيوانات ، مثل قول بعض الشعراء على لسان اهراوييصف الاسد يقول :

## مبوس شموس مصلحه مکاير جري على الاقران للقرن تاهر

لتعقبه أقوال من الشعراء الآخرين ، مثل أبي الطيب المتنبي وعبد الجبار بن حمديس وبشر بن حوانة وكشاجم وغيره ، وكلها مما تعدد من أحسن ما يقال في الموضوع . وهكذا في سائر الحيوانات : من كلب ونمر وفهد وحمار وبغال وأبل وغيل . وما تدب منها مثل

١) نهاية الارب ، ج : ١٠ ، صفحة ٦٥ .

نهاية، ج: 11 .

• نفسم المرجع ( 3 )

٤) الحركة الفكرية في المصرىين الابوبي والملوكى صفحة 320 .

الموضوع من اقسام ابواب ، وما لكل قسم في مادة خاصة وكل فعل من علم معين .

ولنأخذ على سبيل المثال مقدمته حول « الفن الاول » في السماء والأثار الملوية والارض والمعالم السفلى » فقد كتب هذه المقدمة بنفسه يشرح فيها ما يحتوي هذا الفن من موضوعات ونصول واقسام يقول :

« قد أوردت في هذا الفن نبذة من وصف السماء، التي هي قبلة الدعاء وباب الرجاء، والتواكب السيارات، ذوات السناء والسناء، والملائكة الذين هم ألو الجنحة، مثنى وثلاث ورباع ، والسحاب التي تجود بريتها ، فتعدل في قسمها بين السهل والبقاء ، والرعد الذي ان دنت بريتها ، والريح الذي ان اجتمعت بريتها ، والبرق الذي شبهه بيان الحاسب والكف الخصيب والثلج الذي خلع على الارض رداء المشيب ، وقوس السحاب الذي تنكب الجو فافرغ عليه مصبات الحل، ورمي الجدب ببنادق البرد فتشابت بالخصب اهل الحل ، والثيران وعبادها وعددها ، والستة وفصولها ، والأعياد والمواسم ومتذديها ، والارض والجبال والبراري والرمال ، والجزائر والبحار والمياه وامدادها ومددها ، والليلي والإيام والشهور والأعوام ، والعيون والأنهار ، وطبائع البلاد وآخلاق من سكنها من العباد ، والمباني والمعامل والقصور والمنازل ... »

... وجملته خمسة اقسام يستدل بها عليه ويتوصل من أبوابها اليه » (3) .

فتلاحظ ان هذه المقدمة تحتوي على جميع الابواب والفصوص والمواد التي سيأتي بها في هذا الفن. وذلك لكي يسهل من القارئ معرفة محتوياته بالقاء نظرة خاطفة على المقدمة . فالكلمات المكتوبة بالخط الكثيف تبدي بان هذا الفن تناول في بحث هذه المواد، في باب منفرد وتفصيل واف .

فلنأخذ « وصف السماء » مثلا . نجد ان التویري بهذه بفضل يتعلّق « في مبدأ خلق السماء » ويرهن مليه بآية قرآنیة تقول « اَنْتَ اَشَدُ خَلْقَ اَمِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رَفِيعٌ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَنْطَشَ لِيَهَا وَأَخْرَجَ ضَحَاهَا »، ثم ذكر بان السماء تذكر وتؤثر

باطار من الادب بحيث لا نعمد الى الحقيقة اذا ما ثلنا ان كتابه موسوعة ادبية .

واننا في قولنا هذا، انما نتبع آثار من سبقنا من العلماء الكبار من اقبوه . فلقد وصفوا كتابه هذا بأنه عمل ادبي ، حول عليه الادباء . فيقول ابن نصر الله العمري صاحب « مالك الابصار في مالك الامصار » المتوفى سنة 748هـ « كان الباirst علية اي تقل الكتب القديمة وجمع الفنون في سجل حاصل ) كما قلنا هو جمع المعارف الإنسانية كلها في إطار من الادب مرة كما في نهاية الارب للنويري ، ومن الجغرافيا كما في كتاب الابصار ، ومن الكتابة الديوانية مرة ثلاثة كما في كتاب صبح الاعشى » (1) .

ويقول جمال الدين يوسف بن تفسري يسردي الآتابكي في كتابه « النجوم الراحلة في اخبار ملوك مصر والقاهرة » الجزء التاسع منه : « ... وكان يكتب في كل يوم ثلاث كراسيس . وتاريخه سماء « منها » من تلك منه بعض شيء في هذا التاريخ وغيره ». وفي عصرنا هذا يقول محمود رزق سليم في كتابه « عصر سلاطين المماليك » « ... ويعتبر اي نهاية الارب ) احد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك ، اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديثا . (2)

تلك كلمات اوردناها من المؤلف ، وعن الاوضاع التي الف فيها كتابه ، كما قلنا شيئاً عن الكتاب نفسه : كل ذلك بشيء من الابيجاز كثير . والان نحاول القاء نظرة في شيء من التفصيل ، على ما اخذته التویري من سمع لوضع كتابه هذا ، الذي أصبح في مصر الحديث ، ولم يزل منذ الزمن القديم ، من أهم المراجع لما كتبه الاولى في شتى الفنون والعلوم . والذي له الفضل الاكبر في حفظ ما تركه لنا اسلافنا من تراث علمي عظيم .

يستهل التویري ابواب والفنون عادة ، بمقيدة يكتبها هو بنفسه احيانا ، او ينقلها من الكتاب الذي يورد منه معلوماته حول هذا الباب او الفن فيذكر في المقدمة ما حواه هذا الباب او الفن من موضوع، وهذا

1) مالك الابصار في مالك الامصار مخطوطه بدار الكتب المصرية تحت رقم 3003 .

2) الجزء التاسع ، صفحة : 299 .

3) نهاية ، ج 1 ، صفحة : 67 .

ستبل مثل ما نبلى وتفنى  
كما نفنى وبؤخد منك نار  
وبعد الاستدلال بالأشعار ، يبدأ الباب الآخر ،  
ويمنهج فيه نفس هذا المنهج حتى يأتي عليه .  
وقد يأتي أحياناً بـ « ذكر الشيء على طريق الدم »  
مثلاً فصله الذي يقول فيه « ذكر شيء مما قبل في  
الشمس على طريق الدم » ، وأورد فيه بعض الأشعار  
للشعراء يجهلون الشمس أو يذكرونها بطريق الدم  
تقول ابن سناه الملك :

لا كانت الشمس ، فكم أصوات  
صفحة خد كالحمام المقيل  
أو « ذكر القمر على طريق الدم » تقول ابن الرومي :  
رب عرض منزه من قبح  
منتهى معرضات المجهاد (الآيات)  
وهكذا يأتي بالأشعار لغوص الشعراء بمحاجون لها  
الشيء المعين أو يعييبيونه ياقواليهم .

ومن المقدمات التي كتبها التوبيري بنفسه على  
هذا النحو ، مقدمته على الأنساب ، حيث بدأها قائلاً  
« يقول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الناس أنا خلقناكم  
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ... »  
ومعروفة أنساب الأمم مما انتشرت به العرب على العجم  
لأنها احتررت على معرفة نفسها ولمسكت بمتين  
حسبها وعرفت جماهير قومها وشعوبها ... الخ (2)

نهذه المقدمة أوضح فيها التوبيري بایجاز ، ما  
يعتني عليه هذا الباب من الموضوعات والمواضد  
والالفصول . ثم سار نفس المنهج الذي سبق ذكره في  
نقل ما ضمن هذا الباب .

وأحياناً يضيف التوبيري في مقدماته إلى الآيات  
القرآنية ، بعض الأحاديث أيضاً التي تطابق الموضوع .  
مثلاً مقدمته على « القسم الثاني من الفن الثاني - في  
الامثال المشهورة » . فبعد أن بين الموضوعات التي  
أوردها في هذا القسم يقول في الباب الأول - ( في  
الامثال ) ضرب الله مزوج الأمثال في كتابه العزيز  
من آى كثيرة فقال تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل  
فاستمعوا له » وتكرر ذكر الأمثال . ثم يورد حديثاً

ابها . فشاهد التذكير قوله مزوج مل « السماء  
منظر بـ » ، وقول الشاعر :

فلو رفع السماء اليه فومبا  
لحقنا بالسماء مع السحاب  
وشاهد الثانيت قوله تبارك وتعالى « اذا السماء  
انفطرت » . وقول الشاعر :  
يا رب ، رب الناس في سمائه .

ثم أتي باسماء مختلفة للسماء اطلقتها العرب  
عليها (1) ثم تحدث من سبب حدوثها . ليبحث في باب  
ثان من هيئتها ، وأسهب فيه أسباباً حول الموضوع  
من الاستدلال بالقرآن الكريم إلى الأحاديث النبوية .  
ثم أتي بما ضربت من الأمثال حول السماء وما أشد  
الشعراء من الأشعار في وصفها والتشبّه بها .  
و معظمهم إسلاميون . وذلك لأن الجاهليين يندر  
عندهم وصف السماء والتشبّه الرائع بها في كلامهم .  
ولقد ساق الأمثلة على التشبّه بالسماء من أقوال  
مختلف الشعراء منهم عبد الله بن المعتز حيث يقول :

كان سماءنا لما تجلست  
خلال نجومها هند الصباح  
رياض بنفسج خطل نداء  
فتحت يننه نور الاقاص  
وفي النجوم قول ظافر العداد :  
كان نجوم الليل لما بلجست  
توقف جمر في خلال رماد

حنى فوق ممتد المجرة شكلها  
لواقع طفو نفق لجة وادي  
ومما قبل في الفلك ، قول ابن العلاء المعربي :  
يا ليت شمري ، وهل ليت بنافعه  
ما ذا وراك ، أو ما انت يا ذلك  
واحسن ما اورد في هذا الصدد قول أبي مبادة  
البحيري :

انأة أيها الفلك المدار  
انهب ما تصرف ام خبار

1) ومنها : الغرباء والخلقاء وبرقع والرقيع وغيرها  
2) نهاية الارب ، ج 2 ، صفحة 276 .

وطريقته في التقليل أنه أحياناً يذكر المرجع أو الكتاب الذي نقل منه المبنية أو العبارة أو المسألة ، وأكثر الأحيان لا يذكره . كما نجده يذكر المرجع بصراحة تامة حيناً، ويشير إليه اشارة خفيفة حيناً آخر . وهذا نقف وقفة تصير ، لذكر نبذة من الفصول التي أخذها من مختلف الكتب ولكنه لم يذكرها على الأطلاق ، لا اشارة ولا صراحة .

قال النويري : « واما ما ورد في ذم الشيب »

قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه :

الشيب نذير الموت

وقال :

« قد ورد في بعض التفاسير في قوله

بارك وتعالى

وجاءكم نذير

قيل هو الشيب

الى قول عبد الملك بن مروان :

شيبني ارتقاء

المنابر وتوقع اللحن .

ورد النويري هذه المقططفات من العقد الغريب

لابن عبد ربّه (الجزء الثاني) ولم يذكر هذا المرجع

على الأطلاق .

وهناك أمثلة كثيرة نقل النويري الفصول

والآيات

من العقد الغريب بجزائه دون أن يذكر المرجع

او يشير إليه .

ومن أمثلة عدم ذكر المرجع ما نقله النويري في

فصل في الوزارة

و أصحاب الملك

في (نهاية الأربع

ج 6 ص 92)

فاكثره متقول من كتاب

قوانين الوزارة

للماوريدي . أما

وصايا أصحاب

السلطان

في نفس

الجزء السابق ،

فإنها ماخوذة من

الادب الكبير

لابن المقفع .

وكذلك نصل

في وصف اعضاء الانسان

ونصل

« ظهور الشيب »

نانهما متقول

للفظ وحرفاً من

« فقه

اللغة للشعالي

. وكذلك الفصول

« في أسماء شعر

الإنسان من فوق تحت »

و « مما قيل في العواجب »

« وما قيل في العيون ووصفها »

و « نصل ترتيب

الصم »

وغيرها من

فصول كثيرة ،

متقوله من كتاب

فقه اللغة للشعالي

دون الاشارة اليه .

وقد قال

« الوزير أبو المغيرة ابن حزم

عندما

مرضت عليه رسالة بديع الزمان في الغلام الذي خطب

إليه وده بعد أن ملأ قال :

يناسب هذا الباب حيث يقول : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الله صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتوحة وعلى البواب ستور مربخة ، وعلى رأس الصراط داع يقول أدخلوا الصراط ولا تعرجو » (١) ثم فسر الكلمات التي وردت في هذا الحديث . وبعد ذلك أخذ في تلقه من الميداني من الأقوال حول الأمثال وبيان ذلك . وكتابه المنقول منه الاقوال هو « مجمع الأمثال » .

والعجب أن النويري مع جلاله قدره وعلو كعبه في العلوم الدينية أيضاً فقد وصفه معاصره بأنه فقيه بارع ، لا يتحاشى الاستدلال بالاحاديث الموضوعة أيضاً . واثنى بعد الدراسة والاستقصاء للحاديث التي أوردها في كتابه بلفت إلى هذه النتيجة وهي أنه إنما ياتي بمثل هذه الاحاديث الموضوعة أو الفضيحة ويستدل بها ، في أماكن ومسائل لا تتصل باى ركن من أركان الاسلام ، وذلت ان العلماء قد اجازوا الاستدلال بالاحاديث الموضوعة والفضيحة ، طالما لم تكن تنافي تتصا قطعياً من القراءان الكريم او مسألة متفقاً عليها بأجماع الامة ، وبخاصة في المسائل التي لا صلة لها بالدين ، مثل الادب ومثله من العلوم الأخرى .

وقد بما أخذ على الامام الفزالي وبعض العلماء الآخرين الاستدلال بالاحاديث الموضوعة والفضيحة في كتبهم . وقد أحبب منهم ، انهم إنما جاءوا بمثل هذه الاحاديث في كتبهم في مواضع وسائل وامور لا تمس بالدين والمعتقدات الاسلامية المتفق عليها بسوه ، ابطالاً او الفاسد . بل جاءوا بمثل هذه الاحاديث في مواضع الذكر والعظمة والمبرة ، لكي يدعموا اقوالهم بقول النبي ولو كان ضعيفاً . فلهم يسر العلماء بأساف الاستدلال بمثل هذه الاحاديث في موضع النسبة والملة والتذكرة ، فهي بمثابة « الحكمة شالة المؤمن » ، فإنما وجدها فهو أحق بالانتفاع منها والاستفادة بها .

— ◆ —

وبعد المقدمات التي يستهل بها النويري الفنون والفصول يبدأ بنقل ما يطيب له من الكتب الهامة . وطريقته فيه انه يطالع الكتاب بدقة وتدبر وتفكير ، ثم يختار العينات والنبذات التي يفضلها على غيرها حسب الخطة التي قد أهدىها من قبل ، ثم ينقلها في كتابه .

« ورد كتابك ينشد سالة ودنا ويرفع خلق  
مهدنا ويطلب ما أفاءه جريراًك علينا وذهبت به جنابتك  
 علينا أيام فضلك نافر ، وبدر لك زاهر لا تجد دسولاً  
 إليك ، غير لحظة تغرق حجاب الدموع ... الخ »  
( نهاية ج 2 ص 87 ) .

نقل التوبيري هذه الرسالة بشمائلها ضمن فعل  
« مما وصف به العذار على طريق الدم » في الفن الثاني  
ـ الباب الأول . ولكنه لم يذكر أو يشير إلى أنه نقلها  
من كتاب « الذخيرة في معasan أهل الجزيرة » لأن  
بسام ، الجزء الأول صفحة 117 (1) .

ثم إن التوبيري أورد الكتاب المشهور الذي كتبه  
سيدينا علي رضي الله عنه إلى مالك بن العارث الاشترا  
عندما ولاد مصر ، والذي يتضمن نصائح وأصولاً غالبة  
الشمن ، ( نهاية ج 6 ص 19 ) نقله من كتاب « نهج  
البلاغة » للسيد الشريف الرضا (الجزء الثاني ص 79)  
دون أن يشير إلى هذا الكتاب

— ◆ —

وهناك فصول وأبواب ، يذكر التوبيري مراجعتها .  
وذكرها في مثل هذه الأبواب ينحصر في طريقتين :

أحداهما : إن يكتفي بذكر اسم المؤلف دون أن  
يدرك كتابه الذي نقل منه العين . ومثاله حين يقول :  
« وروى أبو الفرج عن أحمد بن مبيد الله بن همار قال :  
كنا نحن أبا العباس البرد يوماً، وعند ذلك فت من ولد أبي  
البحتري وهب بن أمرد حسن الوجه » ثم الحكاية التي  
أوردتها في ص 229 من نهاية ج 4 . أورد هذه  
الحكاية نقلًا عن الإفانى ، ولكنه لم يذكر اسم الكتاب  
بل أكتفى بذكر المؤلف .

وقد نقل التوبيري أشياء كثيرة من كتاب الإفانى لأبي  
الفرج الإصفهانى وبخاصة حياة وأخبار الكرام ( نهاية  
ج 3 ص 211 ) وأخبار المغيبين الذين نقلوا الفناء من  
الفارسية إلى العربية ، وأخبار وحياة أشهر المغيبين ،  
وحكايات القيان وأول من هنى من النساء ، وحياة  
أولاد الخلفاء ومن كان منهم . يجيد أو يميل إلى الفناء

وقرض الشعر مثل إبراهيم المهدى وهمية بنت المهدى  
وابو ميسى وابن المختار وعائشة بنت طلحة وغيرهم .  
على أن التوبيري لا ينقل من الإفانى كل ما ورد  
فيه ، بل يقتصر على الذي يطيب له ويصبح منه ، وما  
يطابق خطته من الموضوع . أما باقى المبنيات فإنه  
يحللها من وهي وأدراك و بصيرة وقصد .

ومن أمثله اكتفاء التوبيري على ذكر اسم واسع  
الكتاب دون الكتاب نفسه ، ما نقله عن ابن المقفع  
حيث قال « وقال ابن المقفع » عود نفسك العبر على  
من خالفك من ذوي النصيحة والتوجع لمرارة فوائم  
وهدليم ... الخ »

ثم إن التوبيري لا يهم احياناً بذكر الاسم الكامل  
للمؤلف أو الجامع ، فيكتفي بذكره أما ناقصاً أو باختصار  
كبير يصعب على الباحث معرفة اسمه الكامل ،  
وخاصة إذا كان للاسم المذكور لقب وكنية يعرف بها .

ونلاحظ ، ونحن نبحث في الكتاب ، أن التوبيري ،  
إلى جانب انتصاره على ذكر اسم المصنف ، أو كنيته  
أو لقبه باختصار شديد أو أهمال ذكر اسم المؤلف  
بساتاً أو الكتب التي ينقل منها ، أن هناك شواهد تدل  
على أن التوبيري يعترف بصدر رحب وبصراحة تامة ،  
بان نقل هذا الفصل أو الباب من كتاب يسميه ، ولصنف  
يتبعه نعمتاً وأصحاً . وذلك عند تلخيص الميدانى مثلاً ،  
حيث يقول « ومن أمثال العرب ما نقله من كتاب  
« الأمثال » للميدانى .

وكذلك صرح بنته من كتاب أبي البركات الجوانى  
النسابة ، في الباب الرابع ، في الانساب . ويعرف  
بنقله منه قاتلاً « وقد وقفت على المقدمة التي وضعها  
الشريف أبو البركات الجوانى ، فرفعت له علماً  
ونصبت له إلى المعالي سلماً » . ويبعد أنه قرأ معظم  
الكتب الموجودة مصرلاً في هذا الفن ، ثم بعد ذلك  
اختار كتاب الجوانى ، لأنه « أتقن أصولها وحرر  
قصولها وأورد فيها من الانساب ما ينفع به الليب  
ويستفدى بوجوده الكتاب الاريبي » وأكثر منه مراحة  
قوله « على الشريف الجوانى المدح فيما أوردته  
والحمدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت وعلى مقالاته  
اعتمدت » (2) ثم يداً ينقل منه يقوله « قال السيد

1) الذخيرة في معasan أهل الجزيرة ، لأن بسام - مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 2348 - أدب  
2) نهاية الارب ج 2 صفحة 276 .

يضع لهذا الباب أو الفن خطة مرسومة وأضحة دقيقة .  
يشتبث فيها ترتيب كتابته ، وكيفية نقله من هذا الكتاب ،  
حيث يأتي بكل نبذة في محلها ويثبتها حيث يقتضى  
القام باباتها . فيبدأ نقله مثلاً من كتاب ، ويستمر  
فيه إلى كلام أو بحث خاص يجب نقله ، ثم يترك هذا  
الكتاب ليواصل نقله من كتاب آخر انتخب فصلاً منه  
لنقله في كتابه وفي محل خاص منه . وهكذا بعد ما  
ينتهي من نقله من هذا الكتاب إلى البحث أو الفصل  
الذي يريد ، ينتقل إلى كتاب ثالث ، ليتابع نقله  
منه إلى أن ينتهي الباب من كتابه .

وخير مثال لطريقته هذه ، ما أورده في القسم  
الخامس « في الملك وما يتشرط فيه وما يحتاج إليه  
وما يجب له على الرمية ، وما يجب للرمية عليه » ،  
ويتصل به ذكر الوزراء وقادة الجيوش وأوصاف  
السلاح وولاة المناسب الدينية ، وفيه أربعة عشر  
باباً .

ونمة ظاهرة أخرى ، جديرة بالذكر ، وهي أن  
النويري للفرض المنشود من وضع خطته يتصرف  
أحياناً في النقل أيضاً . وذلك ما نلاحظه عند نقله  
شروط الإمامة من الأحكام السلطانية للماوردي . إذ إن  
الماوردي ذكر شروط الإمامة بسبعة شروط ، أما  
النويري فقد جمعها ثمانية بجعل الذكرية والبلاغ ،  
صفتين متزددين ، بحجة قول الله عز وجل وتقول  
النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم أنه لأجل هذه الخطة المرسومة ، يمد فيغير  
أحياناً ترتيب الكتاب المنقول منه ، عند ما ينقله في  
كتابه ، لكن يأتي حسب ما يشاء منه في خطته .  
ويطابق الأصول التي وضعها لنقله . وخير مثال لهذه  
الظاهرة ما نجده عند نقله من كتاب « أصول الاحساب  
ونصوص الانساب » للجواني النسابة فنراه أورد كل  
شيء في قسم الانساب من هذا الكتاب ، إلا أنه غير  
ترتيب حتى جعله ظمراً لبعض .

فقد سرد الجواني النسب من أبينا آدم عليه  
السلام وانتهى به إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ،  
نسببني هاشم الذي أورده الجواني في أول كتابه ،  
نقله النويري في آخر كتابه هذا الباب . (2)

الشريف تقىي النقىء أبو البركات بن اسماعيل علي بن  
مصرع الحسيني الجواني النسابة وحمة الله : إن جميع  
ما بنت عليه العرب في نسبها أركانها ، وانسنت عليه  
بنائها عشر طبقات » . إلا أن النويري في سير ترتيب  
الجواني ، « وسرد النسب من أصله أى آدم عليه  
السلام » فالجواني بدأه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وبصفته الناقل المغضض ، يحمد النويري إلى  
بعض النبذات من كتاب انتخبه لموضوعه ، فينقلها  
لفظاً وحرفاً دون التصرف فيها بكلمة . ومثال ذلك  
ما أورده من كتاب « أدب الكتاب » لأنّ يكر محمد بن  
يعيى الصولي ( النهاية الجزء السابع صفحة 14 ) في  
فصل « وما قبل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح  
الكتاب الكتاب » حيث يقول « سئل بعض الكتاب عن  
الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة . قال : « اذا  
افتلت أتسامه وطالت الفه ولامه واستقامت  
سطوره ... » فلقد وردت هذه الكلمات معينها في  
كتاب « أدب الكتاب » للصولي ( صفحة 50 ) لفظاً  
وحرفاً .

ومن أمثلته « رسالة التقىء » التي بعث بها  
أبو بكر الصديق إلى علي رضي الله عنه عند توليه  
الخلافة . نقل النويري هذه الرسالة من « رسائل أى  
حيان التوحيد » . ولقد أتى بها لفظاً وحرفاً دون  
أن يعلق عليها بعْرَف ، مع العاسم أن هذه الرسالة  
مشكوك فيها ومطعون عليها . (1)

وانما يعمل النويري كل هذا حسب خطة  
مرسومة محكمة التسبيق يضمها بمد فكر وروية  
وتدبر . فلقد رأى في تأليفه هذا ، أن يضع الأبواب  
والفضول على ترتيب حسن منظم ، حيث يسهل  
تناوله والاستفادة منه . فلم يكن يجمع كل رطب  
ويباس قراه أو وصلت إليه بدأه ، دون أن ينفك فيه  
من ناحية جودته والاستفادة منه والإنارة وتقسيمه  
فنه . حتى لا يدخل شيء في شيء لا يوافقه ، أو في  
في فن يغايره ، كما فعله الجاحظ في معظم كتبه . بل  
كان منهج النويري فيه ، منهجاً يضاهي منهج العصر  
الحديث في توظيف التاليف وتنسيقه . نكان ينتخب  
لنا خاصاً من الفنون ليطالمه ، فيجمع الكتب المتعلقة  
به أولاً ، ثم يطالعها مطالعة دقيقة وافية ، ونمذ ذلك

1) جمع الدكتور إبراهيم الكيلاني هذه الرسائل ونشرها في دمشق عام 1951 .

2) أصول الاحساب صفحة 14 ونهاية ج 2 صفحة 360 .

وفي الكتاب أمثلة كثيرة تدل على أن النويري يغير ترتيب المنصف ، وينقل نصه بترتيب وخطبة وضعاها هو . ومنها أنه ما نقل من كتاب « ذم الموى » لابن الجوزي (1) حوالي مشربین بابا في « باب الحب والموى والمشق والفال وفيرة » الا أنه قدم بابا وأخر آخر ، حسب رغبته وخطبه .

وكان التويري الى جانب اختصاره للابواب والفصول من الكتب يختصر المطولة . فيورد منها ما يحظى انتقاماً واكثر فالدة . فمن الكتب التي اختصرها كتاب « مجمع الامثال » للمبداني بجزئيه .

نقد اودع العيداني كتابه «مجمع الامثال» حوالي ستة آلاف مثل ونinet (2) وطريقته في نقل مثل ، هو انه يأتي بالمثل ، ثم يسود سبب اطلاق هذا المثل وقصته ، والشخصيات المتعلقة بها ، ومحاتف الروايات والالاوين التي يتناولها المؤرخون والادباء حوله . ثم يورد الفوال النحوة والمتصلعين في اللغة حول الكلمة ان كان هناك اختلاف في نطقها ، او تصريفها او نصاحتها ، وكل ما يتعلق من الناحية النحوية والصرفية واللغوية ، وبسبب فيه اسهابا ملحوظا .

اما النويري فانه هادء ينتحب من الامثال ،  
السائرة او كثيرة الاستعمال في الادب او الكتب  
المتداولة ، او الامثال التي وردت بكثرة في الاشعار ،  
او التي خفيفة على اللسان غزيرة في المعنى ، دقة  
في التعبير ، ثم يسرد المعنى الذي يستعمل فيه هذا  
المثل ، ولا يتم بتحقيق الميداني فيما اورده من  
الكلام حول تصريف الكلمة ومحنتها من الناحية  
اللغوية والادبية ، ومخالفت الاقوال في هذا الصدد .  
وان اخذ منها شيئاً ، فذلك التي لا مندودة له منها ،  
لفهم المثل وفهم مدلوله .

فلتر مثلاً «أن العوان لا تعلم الخبرة» فلقد قال الميداني ، وهو يصف مختلف الأقوال حول كلامية «العوان» قال الكسانري : لم تسم في العوان بمصدر

١) كتاب «ذم الهوى» لابن جوزي (أبو الفرج) مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 286 - ادب  
ليمور (في مجلدين) .

٢) مقدمة مجمع الامثال صفحة 5 .

• 3 ) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 16

٤) نهاية ج ٣ صفحة ٩

<sup>15</sup> راجع الاختاني للاصفهاني ، الجزء الاول صفحه

فما بعد ، لا خبار المغتبيين وغيرهم .

اكتفى ببيان معنى المثل وموقع ضربه . فقال :  
« يضرب في معرفة الشيء حقيقة » (2) .

والواقع ان النويري كان يتحاشى ابيان الربط والاباس في كتابه ، والروايات التي لا ينكر من صحتها ، او التي هي منحولة موضوعة، او تقبل الشك والشبهة حتى لا يلقي بنفسه في اطباب مملا وان لا يكون موضع النقد بجمع كل ما وصلت اليه يداه دون اعمال الفكر والروية ، واختبار النبذات على محك علمي ، من شأنه ان يميز الصدق من الكذب والغش والوضع . ثم لياني بالقصص والنبذات ، التي لها علاقة بالادب بصورة مباشرة .

ومن الكتب التي اختصرها النويري على هذا التسخن ، « فقه اللغة للثعالبي » و « الاحكام السلطانية للمواردي » و « قوانين الوزارة للماوردي » ، وكتاب حسن التوصل الى صناعة الترسل ، لمحمد بن سليمان الحلبي الحنفي و « ذم البوى لابن جوزي » و « نصول الاحساب للجوانى » و « كتاب المنهاج للحلimi الجرجاني » وغيرها (3) .

— ◆ —

وفضلاً مما يعم به كتابه « نهاية الارب » من الموضوعات الطريفة ، والمواد المتنة الشديدة ، التي تفيض علماً وادباً وفناً ، مما استقاها من مواردها الاصلية ، فقد أودع كتابه هذا ، من اجمل الاشعار وأداتها ، مما فاضت بها قرائع الشعراء ، حسن السبك وطلاؤته ، وغزارة المعانى وعمقها ، ودقّة البيان وحالوته ورصانة التركيب واحكامه ، مما تتلذذ بها الطالع ، وتلذب لها القلوب وتهتز لها المشاهير . كما تدل على ما اوتى النويري من حظ وافر في حسن الاختيار ، وعلو كعبه في الدوق الشاعري اللطيف ، ومعرفته الواسعة بدواوين الشعراء والكتب ، واستخلاص الدرر الفرد من هذا البحر الراخر . ثم تركيبها في مواقعها بحيث انتظمت في سلك ، تتلالا حسناً وجمالاً . فلا يمل القارئ ، وهو يمضي بادق فن واصبعه في كتابه ، بل ينسى ما كابده من جهد وتعب اثناء قرائته لمثل هذه الفنون الدقيقة ، المسيرة الفهم والادراك هنداً هنداً يبلغ به المطاف الى هذا الجزء

ومعناه فقط . وذلك منه نقله المثل « عند جهينة الغبر اليقين » . فبعد ان اورد الميداني هذا المثل ، نقل قصة طريفة ، رواية عن هشام بن الكلبي ، يذكر فيها بان حسين بن همرو بن معاوية بن كلاب ، ورجل من قبيلة جهينة يسمى الاخنس بن كعب خرجا يريدان قطع الطريق فسلبا رجلاً لقياه في الطريق . فقال الرجل : ان تركمانى وشانى دلتكم على رجل تحت شجرة منه مفترى كثیر فخلبا سبيله . واتيا الرجل وهو من لخم . وكانت شجرة يستظل بها وامامه طعامه وشرابه ، فحياهما واشركمها طعامه . فاكلا وشربا . ثم ان الاخنس ذهب لقضاء بعض حاجاته . فلما عاد رأى حسين قد قتل الشخصي واستولى على ماله . نجلسا يشربان وكل منهما يخفى في نفسه ريبة لصاحبه . وبعد قليل قال الحسين للأخنس هل تعرف زجر العظير ؟ فقال الأخنس ماذا ترى ؟ قال ارى مقابا كاسرا ، وأشار اليه ومد يده الى الجهة التي كان المقاب فيها . نافثتم الأخنس هذه الفرصة وضرب عنقه بفتحة . ثم انطلق هالسا الى بيته فإذا بامرأة حسين تفتقد ، فقال لها ، انه قتله ولكنها لم تصدقه وقالت : « كذبت ما مثلك يقتل مثله اما لو لم يكن العي خلوا ما تكلمت بهذا » . فمضى الأخنس واتى قبيلته وصالحها وكان خاصباً منهم ، ثم عاد الى امرأة حسين وقبيلتها ، وانشد حيث تسمع القبيلة :

وكم من ضيغم ورد هموس  
ابي شبلين مسكنه العريين  
الى ان قال :

سائل عن حسين كل ركب  
ومنذ جهينة الغبر اليقين  
قال الاصمعي وابن الامرائي : هو جهينة بالفام ،  
وكان منه خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر :  
سائل عن ابيها كل ركب  
ومنذ جهينة الغبر اليقين  
قال : نسالوا جهينة فأخبرهم خبر القتيل .  
وقال بعضهم هو جهينة بالحاء المهملة ، يضرب في  
معرفة الشيء حقيقة (1) .  
هذه هي القصة ، ومختلف الاقوال ، اوردها  
الميداني في كتابه حول المثل ، سرداً هنا باختصار .  
الا ان النويري لم يذكر من هذه التفاصيل شيئاً . بل

(1) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 391 .

(2) نهاية ج 3 صفحة 39 .

(3) الكتب الاخيرة الثلاث مخطوطات بدار الكتب المصرية ، لم تطبع بعد .

ابن التوبيري هذا الباب من شعر الانسان . فنخل من لقنه اللقة للتماليس اسماء الشعور ب مختلف اقسامها . فلما فرغ من اسمائها و تفاصيلها وضع نصرا ، جمع فيه ما قاله الشمراء حول الشعر عامة و حول شعور النساء بوجه خاص . واجبن ما اورد في وصف شعر الرجال . قول ابن الرومي :

وانهم وارد يقبل ممتن  
شاه اذا اختال مرسلاً غدره  
اقبل كالببل من بفارقه  
منحدرا لا يلزم منحدره  
حتى تناهى الى مواعظه  
يلشم من كل مواطن عصره  
كانه ماشق دنا شفعتا  
حتى قضى من حبيبه وطره  
.. وقول فتح الدين بن عبد الظاهر :

حل للايا يوم حمامه  
ذوابا يعقب منها الفوال  
فقلت ، والقصد ذواباته  
يا سهري في ذيالي الطوال

وقول آخر :

رأيت على قد العبيب ذواباتة  
تعيني على تلك الذواباتة تهمع  
يقول لي الواشون : مالك باكيما  
نقلت : يعني شعرة قهي تدمع  
ومن احسن ما اتبخه في وصف شعر النساء :  
قول بكر بن النطاط :

يضاها تسحب من قيام فرمها  
وتفيب فيه فهو جهل اسم  
نكانها به نهار ساطع  
وكانه ليل عليهما مظلما

وقول آخر :

نشرت على ذوابا من شعرها  
حذر الكواشح والمدو المحنق  
نكانى وكأنها وكانت  
صبعان بالا تحت ليل مطبق

ومن قول الشنقي :

نشرت ثلاث ذوابا من شعرها  
لئن ليلة ، ثارت ليالي اربعها

من الكتاب الذي قسمته التوبيري الاشعار ، المتعلقة بهذا الفن ، ومهمما كان دقيقا او صعبا . ويجد به متنة وبهجية فلما تضاهيها متنة وبهجة . كانه وصل ارضا ناماها سهنة نمرة ، بعد طوال الشقة ، تضاهها في ارض ومرة المسالك .

ومنهج التوبيري في نقل الاشعار هو ، انه يأتي بباب او فصل من قسم خاص مثلا ، فينتقل في هذا الباب او الفصل ما طاب له ان ينقل فيه من الكلام حول الموضوع الذي يبحث فيه الباب ، لكتاب الادباء النازرين والعلماء ، فلما ينتهي من نقله يحاول ان يطبق على ما كتبه من اقوال الشمراء وكلامهم ، فيخوض في دواوين الشعراء والكتب الادبية الاخرى لكي يتقطط منها جميع الاشعار التي تطابق ما اورده من التشر في الفصل السابق يشتتها في محلها اللائق ، لكن لا يوجد القاريء في نفسه كلاما ويتبعا من الاقتصار على موضوع صعب جاف ، وحتى يجمع كل ما قاله الكبار من الادباء من ثغر ونظم حول الموضوع . وبذا يضيف الى ما اورده في كتابه صبغة ادبية ، تميزه من سائر الكتب الادبية . ولكن يسجل مقابل الشمراء في هذه الموضوعات بتربيب خاص ، يمكن الاستفادة منها والرجوع اليها في مكان واحد دون الخوض في الدواوين المختلفة ومجموعات كلام الشعراء ، دون ضياع الوقت وتحمل المشقة للبحث والتنقيب . وطريقته فيه انه يحاول جده ان يبدأ بنقل الاشعار من الجاهنية الاسلاميين الى المؤلفين والمحدثين ، ولو يختلف هذا الترتيب في بعض الاجراء من الكتاب ، لعدم تمكنه من الاستمرار على هذه الطريقة ، اما لفترة الاشعار عند القديمة في هذا الفن او الموضوع ، واما ، ان كانت لديهم ، فهي ليست من العبودة بحيث يشتتها التوبيري في كتابه ، مثل التشبيهات الرائعة التي نشرت في عصر المؤلفين ، او الاشعار في صفة الرياحين والبساتين والقصور او تصوير المثلث الخلابة ، مما لا نظير لها في الشعر الجاهلي . ثم ان التوبيري لا يزيد من عدد الایيات مخالفة الاطالة ، بل يقتصر عادة على بيتين او ثلاثة ايات ، ومنها ايضا على البيت القصيد في معظم الاوقات .

ولنقف برؤهه منه « الباب الثاني من القسم الاول من الفن الثاني » لنرى منهج التوبيري في نقل الاشعار . وذلك لأن هذا الباب خير مثال لطريقته فيه . وهذا الباب يبحث في « اعضاء الانسان » وتشبيهها .

لكل جزء من حستها بـ دع  
تودع قلبى وداع الكمسه  
ومن اجمل ما قيل في الحواجـب قول الزاهـي :  
وأفيـد مجدـول القـواـم جـيـنـه  
سـنا القـمر الـبـدرـي فـي الفـصـن الرـطـبـ  
تنـكـب قـوسـ العـاجـبـينـ فـسـمـهـ  
لـواـحـظـهـ العـرـضـيـ ، وـبـرـ جـاسـهـ قـلـبـيـ  
وـماـ قـيـلـ فـيـ العـيـنـ بـلـغـظـ التـذـكـيرـ قـولـ عـبدـ اللهـ  
ابـنـ المـعـتـرـ :  
عـالـيمـ بـمـاـ تـحـتـ الصـدـورـ مـنـ الـهـوـيـ  
سـرـيعـ بـكـرـ الـحـلـظـ وـالـقـلـبـ جـازـعـ  
وـبـجـرـحـ اـحـشـائـيـ يـعـيـنـ مـرـيـضـةـ  
كـمـاـ لـانـ مـنـ السـيفـ وـالـسـيفـ قـاطـعـ  
وـلـقـدـ اـجـادـ جـرـيرـ لـنـ وـصـفـ مـبـينـ مـرـيـضـةـ اـذـ قـالـ:  
اـنـ الـمـبـونـ التـيـ فـيـ طـرـفـهـاـ حـسـورـ  
قـتـلـنـاـ لـمـ يـعـيـبـنـ قـتـلـانـاـ  
. يـصـرـ عـنـ ذـاـ اللـابـ حـتـىـ لـاـ حـرـاكـ بـهـ  
وـهـنـ اـضـفـ خـلـقـ اللـهـ اـرـكـانـاـ (2)  
وـكـذـلـكـ اـنـ بـنـخـبـةـ مـتـازـةـ مـنـ الاـشـعـارـ حـوـلـ  
الـخـمـرـ وـالـمـشـىـ وـالـيـدـانـ وـفـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الـامـضـاءـ .  
فـابـدـعـ فـيـهـ وـاجـادـ الـاخـتـيـارـ .  
ولـقـدـ اـبـدـعـ اـبـنـ الرـوـمـيـ هـنـدـ مـاـ جـمـعـ اـكـثـرـ الـمـرـاـبـاـ  
وـالـاوـصـافـ التـيـ تـسـتـحـسـنـ مـنـ الـمـحـبـوبـ حـيـثـ قـالـ :  
مـخـفـةـ مـثـلـةـ تـرـاهـاـ  
كـانـ لـمـ يـعـدـ نـصـفـهـاـ فـسـلـادـ  
اـذـ الـاـفـيـابـ جـدـدـ حـسـنـ شـيـهـ  
مـنـ اـشـيـاءـ جـدـدـهـاـ الـقـيـاءـ  
لـهـ رـيقـ تـشـفـ لـهـ النـابـيـاـ  
وـبـرـوـيـ هـنـهـ - لـاـ مـنـهـ - الـظـمـاءـ  
وـانـفـاسـ كـانـفـاسـ الـغـرامـيـ  
قـبـيلـ الـصـبـعـ ، بـلـشـاـ السـماءـ  
تـنـفـسـ نـشـرـهـ سـحـراـ فـجـاءـاتـ  
بـهـ سـحـرـيةـ الـمـسـرـىـ رـخـاءـ  
وـقـدـ اـمـتـمـدـ التـوـبـيـ فـيـ اـنـتـخـابـ اـشـعـابـهـ عـلـىـ  
دـوـاـوـينـ الشـعـراءـ اـولـاـ ، لـمـ «ـ كـاتـبـ الـمـتـحـلـ »ـ لـلـشـعـالـيـ ،  
فـالـقـدـ اـفـرـدـ لـابـنـ مـدـريـهـ ، فـعـيـونـ اـخـيـارـ لـابـنـ قـيـسـةـ ،

وفي الكتاب أبيات أخرى قيلت في شعر النساء ،  
الا انني اخترت احسن ما وجدته تعبراً ووصفاً .

فاما فرغ من نقل الاشعار حول الشعر ، انس  
بغض آخر ، بين فيه بمناسبة الشعور ، « ما قيل  
في الشباب والشيب من مدح وذم » اورد في هذا  
الفصل من النثر ما كتب حول الموضوع . اردفه  
باشعار تدم الشيب والشباب واخرى تمدحه وترحب  
بمقدهه . ثم ذكر نظرة المرأة الى الشيب وعوارضه  
ثم بدأ باعضاً الانسان من نثر ونظم . فاجمل ما قيل  
في وجه المذكر قول الوجيهين :

1) نهاية الارب ج 2 صفحة 20 .  
 2) راحم لهذا الموضوع نهاية الارب ج 2 من صفحة 21 لها بعد .

« وزهر الأدب » للمحسرى التبروانى و « ديوان المعانى » لابن هلال المسکري و كتاب « نفح الطيب » وغيرها من المصنفين والأدباء .

المتاز . ومن جميع التواجى ، من ناحية جودة الالفاظ وحسن سبكها ورومة نظمها ومن ناحية المعنى وأداء الفرض والمطلب الذي أورده لأجله . وهذا خير دليل على سعة علم النويرى يفتون القريض والشعر وأسراوه ، ودقة نظره فى خبايا هذا الفن واستخراجه . ومدى اطلاعه على المصادر الشعرية والمعاجع . وعلى هذا الوله الادبي ، الذي حفره على ان يتعمق نفسه ويبدل كل جهوده ، فى جمع هذه الاشتات المبعثرة فى الكتب والدواوين المختلفة الكثيرة ، حتى قدمها الينا فى صورة باقة جميلة تربينا انواع واشكال من الزهور والورود .

وهكذا يتضح لنا من دراسة كتاب « نهاية الارب في فنون الادب » ، وما سلكه النويرى من منهج تأليف مؤسوسه هذه ، التي لها اكبر نضل فى حفظ قدر ملحوظ من تعالنا القديم ، مما تركه لنا اسلامنا خلال القرون الست التي مضت على التاريخ الاسلامي العاشر . فمنهج النويرى فيه ، لا يiliar عليه ، يقوم على فكرة وروية واضحين . وقد تم التأليف بطريقة يمكن الاستفادة منه استفادة تامة . مادما عدم ذكره الرابع ، مما يكبد الباحث والدارس لمراجعه ، مشقة المثور عليها فى مختلف الكتب ، فتقسيم الكتاب على فنون ، وهذه الفنون على ابواب وفصوص ، وكل فصل شمن علم خاص او نبذة مبسطة ، اذا لم يكن مدونا بهذه الصورة . ككتب الجاحظ التي هي الاخرى موسوعة بمجموعها . ولكن المرء يتعذر أمام هذه المجموعة غير المرتبة ترتيبا لائتا ، فلا يبلغ منها الا بعد طول المثنة وكثير مناه . ثم يمتاز كتاب النهاية بعدم اخلط موضوع فى موضوع آخر ، كالذى تجده فى كتاب « الكامل للمبرد » او لسان العرب لابن منظور . فائهم يتكلمون عن موضوع ويسمون فيه اسهابا حتى يخيّل الى القارئ ، انهم نسوا الموضوع الحقيقي ، ولكنهم يرجعون الى الموضوع الحقيقي بقولهم « رجع القول الى ..... ». أما النويرى فانه لا يبعد الى موضوع كان ما لم ينته من الموضوع الاول الذى كان يتكلّم حوله . ولقد بالغ النويرى فى نزاهة كتابه من هذا النوع من « الخلط بالبحث » الى حد ، انه اثناء نقله من الكتب ، اذا وجد شيئا هارضا ، على الموضوع الاصلى الذى يتناوله ، يحده بتمامه ، ويواصل نقله من الجزء الذى يحصل الكلام فيه بالكلام الحقيقي . ولابل هذا نراه يحدف صفحات كثيرة متتابعة من الكتب المنقول منها ، او تجده ينتقل من جزء الى جزء

واللاحظنا ، عند تصفح الاشعار التي اوردتها النويرى ، انه هند نقله الاشعار من الجامعين وكتبهم ، يقتصر على ما اورده الجامع ، واحيانا يضيف عليه شيئا او بيثن . وطورا نراه يترك ما اورده المصنف بذلك ان النويرى اديب يحظى بقدر اوفر من حسن الدوق الشعري والادبي وله ملحة حسنة فى الاختيار ، فهو مندما يرى ان الجامع لم يحسن الانتخاب من كلام الشعراء حسب الموضوع او المناسبة ، يقوم هو بنفسه فى البحث فى الدواوين ومجموعات كلام الشعراء ، من كلام يناسب الموضوع والمناسبة ، ثم ينتخب احسنها ويشتبه فى محله . وخير مثال لهذا ما نقله من الاشعار فى تمثيل الامثال ، التي اقتبسها من كتاب المشتعل للشاعرى من الباب العاشر « فى الامثال والحكم والأداب ». نراه انه لم يقتصر على ما اورده الشاعرى فى هذا الصدد ، وإنما اختار بنفسه واساف عليه . فالشاعرى مثلما لم يتمسك بترتيب مصر الشعرا الشعرا وزمانيهم ، فخلط فيما بينهم ، حيث اورد شعر الجاهلى ، اعقبه بمولد ، لم مخصوصى بسلامى ، وهكذا فى سائر كتابه . أما النويرى فانه اهتم اهتماما بالغا فى ذكر الاشعار حسب ترتيب مصر الشعراء . فابتدا بالجاهليين ثم المبassisين فالمحدثين والمولدin ، الى ان بلغ الى مصره .

نادى القينا نظرة على ما اورده النويرى ، من الاشعار المشتبه فى كتابه يتضح لنا بانها تشمل نخبة قيمة ممتازة من روائع الشعر فى شتى اصناف المعانى والمواضيع ، يتعدى وجوده فى كتاب واحد . وهذه الصبغة تضفى على نهاية الارب صبغة تجعله - حقا - موسوفة شعرية ، تشمل كلام الاوائل والجدد فى مختلف المعانى والمواضيع والمواد ، بترتيب حسن وبنظام منسق مقبول . فالباحث يستطيع ان يستخرج من هذه الكتاب شهر بيت قالته العرب وفي اي معنى شاء ، دون جهد او مشقة بالفقة ، وشعراء جميع المصور التاريخية المختلفة . وذلك ميزة ينفرد بها هذا الكتاب . وفضلا من هذا فان هذه الاشعار تشير الى ان النويرى كانت له يد طولى فى الانتخاب اشعار وذلك يفضل هذا الدوق . الرقيق والحس الشameri اللطيف الذى يتمتع به . فاننا نراه لم يات بشعر مهلل متفنك ، وإنما جاء بنخبة كلها من الطراز

« رفيق » في قصة تزويج معاوية بزيد<sup>(2)</sup> . ولقد أخذ هذه القصة من « الإمامة والسياسة » لابن قتيبة إلا أن ابن قتيبة ذكر اسمه بـ « رفيق » . وذلك هو الصحيح ، كما ورد في جميع النسخ المروجدة ، المطبوعة في مختلف المطابع . وكذلك اورد اسم محبوبة بزيد بانها « زينب بنت اسحق » إلا أن اسمها الصحيح هو « زينب بنت اسحاق »<sup>(3)</sup> .

وهناك غلطة عجيبة وقع فيها التوبيري لم ادر كيف . ومن اين وهو استعمال كلمة « السبا » بدل كلمة « الجسا » بمعنى « ان يمس على الانسان فتح عينيه » . اذ ان كلمة « السجا » لا توجد بالقواميس وليس لها اي مدلول او معنى<sup>(4)</sup> . وزيد لي بأن هذه الالغاز وقعت من الناشر اذ أن التوبيري مع غزاره علمه ووفرة اطلاعه ، يستبعد ان يقع في مثل هذه الالغاز . والغريب الاساسى الذي يؤاخذه الباحث عليه ، هو انه لا يذكر المرجع مادة ، وخامسة في العلوم الادبية ، وعدم ذكره له يجعل الباحث في حيرة من امره . حيث يتضيئ الوقت في البحث . فكتيرا ما تستغرق نبذة وجيبة للبحث عن مصدرها سامات واياما في بعض الاوقات ، مثل ما حدث لي عند البحث عن العين الذي اتخذه من الذخيرة لابن باسم . فقد استغرق من هذا الاقتباس مني حوالي ثمانية أيام . ثم انه عندما يتضيئ شيئا الى ما ينقله من كتاب آخر لا يشير اليه ، مما يوهم الباحث انه ايضا من اصل الكتاب ، والحال انه من هنده . كما حصل هندي جعل شروط الإمامة لثمانية شروط ، بدل سبعة شروط كما اوردها الماوردي .

ومهما يكن ، ثلث من شك ، بأن منهج التوبيري في كتابه هذا ، متوجه ي Showcase احسن مناهج عصرنا الحديث ، الذي تقدمت فيه صناعة التأليف اي تقدم . ولمنهجه الواضح المفید ، ولما يحوى من الموضوعات الفريدة والعلوم النافعة المتنورة . « يعتبر احد الكتب الجامحة الهامة ، ذات المواد العامة وهو فمدة بين الكتب كذلك . افتقد عليه كثير من المؤذخين والادباء قدیماً وحديثاً »<sup>(5)</sup> .

آخر من الكتب ، ليوابلل موضوعه الاصل بدون عارض ، او « الخطأ بالبحث » . ولا يختلف هذه الظاهرة واسحة ، عند تقله « اخبار المغبيين والمنقبات » من الاغاني التي يسمى صاحبها احيانا في سرد اخبار لا تتعلق بالشخصية التي يتكون عنها وانما هي موارض اما التوبيري » فإنه يحدف هذه الرواية والعنوان . ويقتصر عن الموضوع الذي يتناوله بالكلام .

ونجد حاول التوبيري اثناء تقله ، تسديد الخطأ الذي وقع فيه بعض المصنفين . فروى الشعالي متلا . بآن الشعر القائل :

وما ينهض الباري بغير جناحه

ولا يحمل العاشين الا الحوامل

اذا انت لم تعرض على الجبل . وانفنا

اصبت خليما او اصابك جاهيل

قال « انه لم يبد الا برص »<sup>(1)</sup> الا ان التوبيري ضبطه لاؤس بن حجر . ولقد تصفحت ديوان هبید البرص بنفسى ، فلم اجد فيه هذا الشعر ، وما قاله التوبيري فيه هو الصحيح .

لم ان التوبيري لا ينفع في المسائل المختلفة فيها . مثل مسألة سماع الفتاء ، او مزاولة الاذكيار والادعية ، وخاصيتها التي يعتقد بها الطائفة الصوفية . فإنه في مثل هذه المسائل يقتصر على تقل آراء الجانبيين دون ان يبدى رأيه ، فيرجح هذا ويسفة ذلك ، او يميل الى هذه النظرية ، ويتفاوض من ذلك . بدل يترك القارئ حررا يتصرف فيه - بعد معرفة ماي الجنبيين - كيف شاء وبأية طريقة يفضلاها عن غيرها .

والآن جانب هذه المزایا التي تمتاز بها موسوعة نهاية الارب ، هناك االلغاز لم يسلم التوبيري من اقترانها . ولكنها االلغاز بسيطة ، لا يربو بها . مقارنة بعلمه العظيم هذا فقد ذكر التوبيري مثل اسم « سموئيل بن العاديا » بين الشمراء المخدلين ، والحقيقة انه من شمراء العاهلة دون اختلاف . والغريب في الامر ان مصححي الكتاب ايضا لم يتبعوا الى هذا الخطأ الفاحش ، فطبع الكتاب حاملا هندا الخطأ . لم ان التوبيري ذكر ائم خصوصي معاوية بـ

1) المتعجل للشعالي صفحه 171 .

2) نهاية ج 6 صفحه 183 .

3) راجع الإمامة والسياسة ، لابن قتيبة .

4) راجع لهذه الكلمة : اقرب التوارد لسميد الغوري الشرتوني اللبناني وتابع المروس : محمد مرتفع

الحسيني الوبيري ( لفصل العجم من باب الهرة ) . والثبات الآخرى .

5) العذر للطلاب المتألثين : ملحوظ رزق سليم ج 3 صفحه 125 .

# تحقیقات

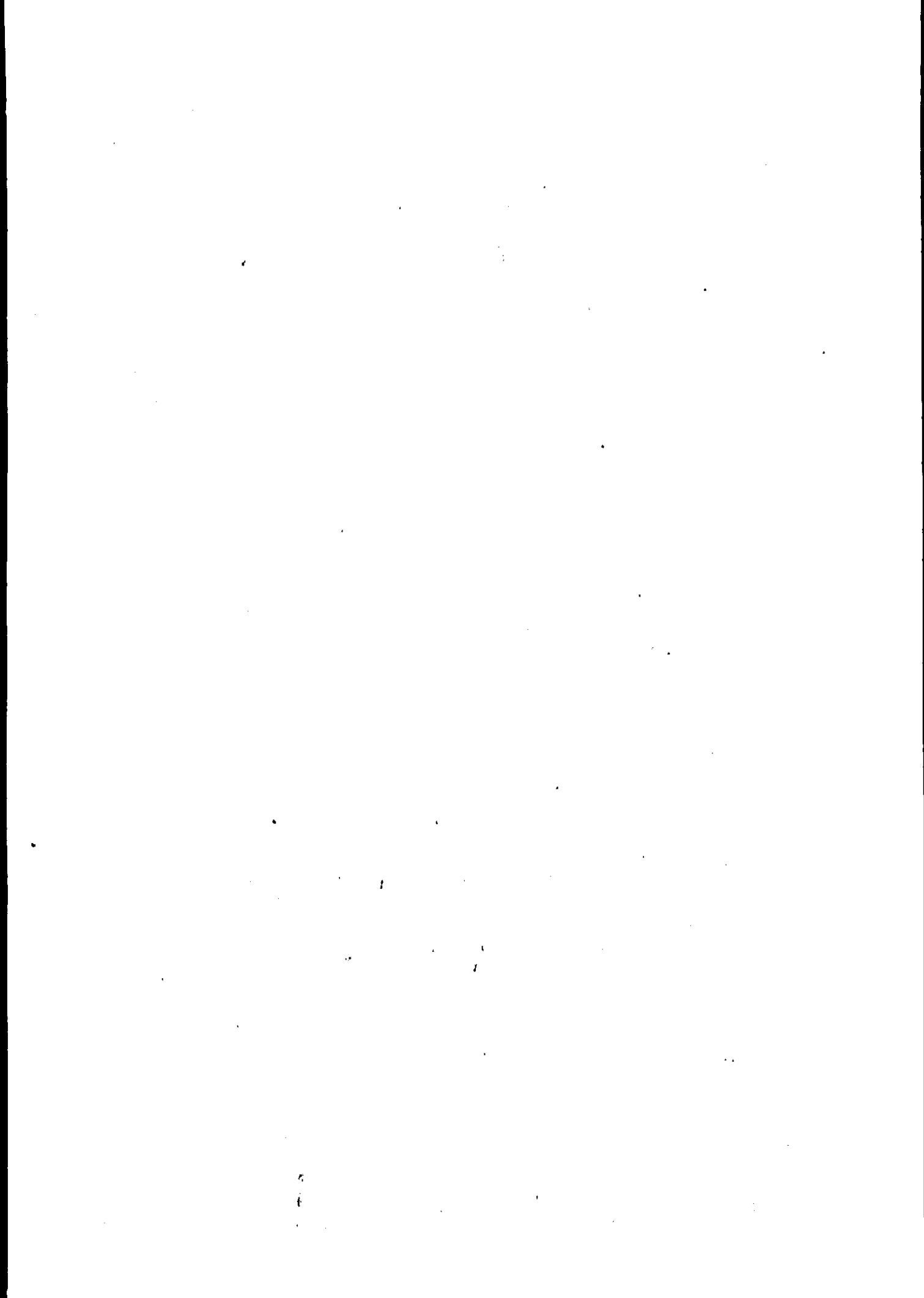
• الكشف عن معجم لغوي ملتوى في بغداد  
للأستاذ عبد الهادي التازري

• متغير الانماط ( لأحمد بن مارس )  
حققه وقدم له : الاستاذ هلال ناجي

• ابن خالويه اللغوي ونسبة كتاب « الحجة » اليه  
للأستاذ عبد العال سالم مكرم

• نسبة « الحجة » الى ابن خالويه لا تصح ..  
للأستاذ العابد الفاسي

• حول تحقيق كتاب ابن الجوزي : « تقويم اللسان »  
للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني



# الكشف عن مجمع لغوي مفقود في بغداد

## الأستاذ عبد الرازيق التازبي سفير الملكة المفترضة في العراق

فتحقه على مخطوطتين : الأولى تعود للقرن السادس المجري ، والثانية كتبها جده الملامه السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق الحسني البغدادي أمير الخطاطين في مصر في واكين القرن الرابع عشر المجري ، والكتاب المذكور ، ذكره ياقوت في مجمع الديباء ٤/٨٤ والبابري في نزهة الالباء من ٣٢١ ، كما ذكره ابن فارس في مدد ملقاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من مجمع ( الجمل ) .

رتب ابن فارس مجمع ( متخير الالفاظ ) على أبواب المعاني في مائة واربعة مشر بابا ، وميزاته الأساسية أنه قد حفل بالالفاظ المفردة المنتقة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم ، كما حفل بالامثال المنتقاء ، والاقوال الجارية مجرىها ، مؤكدا أن أول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناب السهل من الخطاب ، واجتناب الورم منه ، والانسان يائسه والتلوّح من وحشيه ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر ، و Shawadeh من ميون الشعر العربي لفظاً ومعنى .

وقد بدل الأستاذ صدر ناجي في تحقيق هذا المجمع جهداً شهماً حتى ناهرت مصادره ومراجعه الأربعينية كتاب ، من بينها عدد غير قليل من المخطوطات .

ويعتبر عمله هذا أول محاولة يقوم بها باحث م pari في نشر مجمع عربي قديم .

حركة التأليف المعجمي عند العرب مررت مبر القرون بمراحل متعددة ، أو لها : مرحلة كتب المفاتيح أو الفريب المصنف ، ومنها جمعت مفردات الباب الواحد وضمت إلى بعضها ، ومن نماذجها كتاب المطر والسحاب لابن دريد البصري والغريب المصنف لابن عبد ، والشخص لابن سيده الاندلسي .

وثالثها : مرحلة معاجم الالفاظ ، ومنها رتب المفردات بالنسبة لعروتها لا إلى معانيها ، وأولها معجم العين للخليل بن أحمد البصري ، وتلاه التهذيب والمحيط والمحكم والتليين والمجمل والجمهرة والصحاح والمباب والبيان والقاموس المحيط وساج المروض .

وثالثها : مرحلة معاجم المعاني ، وقد رتب فيها الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، وأبرز نماذجها كتاب الالفاظ لابن السكري ، وجواهر الالفاظ لقدماء بن جمفر ، والالفاظ الكتابية للهمدانى ، وفقه اللغة للشعابي .

وكنت بعض المراجع القديمة تذكر كتاباً مهماً من هذه الكتب ، وهو مجمع ( متخير الالفاظ ) تصنيف العالم اللغوي الجليل أحمد فارس الرازي المتوفى سنة ٣٩٥ هجرية ، ولكنه كان يعد في المعاجم التي عدا عليها الزمن وفقدت مع ما فقد من آثار السلف .

ومؤخراً عشر الباحث العراقي الشت الاستاذ صدر ناجي على المجمع المذكور فمن مخطوطات أسرته ،

فيما استمر الف عام ، وفاه للغربية وأحياء لبعض  
تراث الأسرة ، وهكذا ماحببت - التخbir - قرابة عام ،  
كان فيه سميري كل ليلة ونبي كل دجنة ، وكان منه  
صاحبًا ومحدثًا واليفا ، أصوب منه ما حرف محرف  
وصحف مصحف فلا يسام ولا يضجر ، واقطع الليل  
أخرج بيته لشامر أو قاله لناشر فلا يحول ولا يتغير ،  
وكم غابت من دنیاى وانا اهرب نصا على مصدر ، حتى  
اذا ضجعت للغور تالية النجم ، واخذ الليل في طي  
الربط ، وتبين الخيط من الخيط ، ودنى الى دنیاى  
مؤذن ينادي : ان حى على الفلاح .. قد فاتت الصلاة ،  
فانساح من مقعدي اذ يتسلل النهار من الليل ، واذ  
ينشق النور عن الظلمة ، وعلى مثل هذا كان تلقائنا  
وافتراقنا قرابة عام .

بمثل هذا الاسلوب الشاعري المتندق قدم المحقق  
المدقق لهذا المعجم الغريب .

ومجمل القول ان نشر هذا المعجم سيكون اضافة  
قيمة للمكتبة اللغوية .

وفي تقديري ان هذا المعجم بالذات لا فني عنه  
لكل كاتب وشامر ، وعسى ان نراه في عالم المطبوعات  
قريبا .

والكتاب بعد للطبع حاليا ، وقد قدم له العدبق  
المحقق بمقدمة موسعة ، تحدث في ختامها بلغة شعرية  
مؤثرة عن نوافعه في تحقيق هذا المعجم فقال ما نصه :  
« حقت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشررت  
في تحقيق أخرى ، لكنني لم اشعر أبدا أن كتابا غير  
المتخير أصبح جزءا من كياني ولوذا في جنائي  
وبعضا من بياني ، ذلك أن روابط متدة الجذور موغلة  
عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا يوشالع روحية غير  
منتظورة ، من هذه الروابط ، ان مخطوطاته الام الفريدة  
حفظها للغربية عم ابي السيد احمد بن عبد الوهاب  
رحمه الله ، وان مخطوطاته الثانية كانت  
بخطل جد ابى المرحوم عبد السوهاب  
ابن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسنى البغدادى  
امير الخطاطين فى مصره ، وبينى وبين المخطوطيين  
نسب وشبيحة ، وبينى وبينهما رحم وأصرة وقربى .  
ثم ان من هذه الروابط ما هرف من عنابة اسرتنا  
بمعاجم اللغة جيلا بعد جيل » ثم عرض لنفائس  
مخطوطات اسرتهم اللغوية حتى قال : « ان هذه العنابة  
كانت تدفعنى دفعا وتحفزنى حفزا ، لأنى اصل حجل  
النسخ والحفظ فى اسرتنا بجعل التحقيق والنشر ،  
فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بعد

# مِنْ كِلَافَاتِ الْأَظْهَارِ

تصنيف

أَحْمَدُ بْنُ فَيْرَاسٍ

المنفى سنة ٢٩٥ هـ

مُقْتَدِي رَفِيقِهِ

هَارُولْ نَاجِي

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

• 4 •

مقدمة المصنف:

ولد ابن مارس ومات في القرن الرابع الهجري وهو قرن ت Misc الـوطـن الـاسـلامـي  
فيه الى امارات ودوليات يغير بعضها على بعض ويسمى بعضها للاملاحة بيمض .  
ففي نهاية الربيع الاول من هذا القرن أصبح المغرب والمرية بيد الفاطميين ومصر  
والشام بيد ابن طنج الاخشيد وديار بكر وديار ربيعة ومصر والموصل بيد الحمدانيين  
والبصرة وواسط والاهواز بيد البريديين واليمامة والبحرين في يد الترامطة ومارس  
والري وأصحابه وهمدان في يد بنى بويه وكرمان في يد محمد بن الياس وطبرستان  
وجرجان في يد الدليم وخراسان في يد نصر الساماني ولم يبق للخليلية المباصي سوى  
بنجداد وأعمالها فاصبح رمزا دينيا لا سلطانا دنيويا ولا سيما بعد أن دخل البويميون  
بغداد سنة 334 هـ .

وشعاع الخلع والسل والقتل الذي تعرض له خلقاء العباسين في هذا القرن .  
خلع التاجر وسمل ، وخلع المتنى لله وسمل وخلع المستكلى لله وسمل وجرت في تلك  
الايام حروب ولعن ونبت دار الخلامة وفي عام 334 هـ سيطر نبو بويه سيطرة ثانية  
ومسار الخلية المطبيع لله لا امر له ولا نهي ولا خلامة تعرف ولا وزارة تذكر . هذا غير  
الخلفاء الذين تتلوا كأبناء المعتز وسواه .

ويصف البيروني بعبارة صادقة ومؤثرة نقدان العباسين لسلطانهم الدينـ ويـ وسيطرة بنـ بيـهـ علىـ الدـوـلـةـ والـمـلـكـ يـتـولـهـ :

« وان الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتنى وأول أيام المستكفي من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في ايدي الدولة العباسية انما هو امر ديني امتدادي لا ملك دينياً ينادي بالخلافة من ولد العباس الا انما هو رئيس الاسلام لا ملك ». .

وهكذا خرج الامر من يد العباسين وصار في يد الدهلاء من بنى بويه حتى  
سنة ( 451 ) هـ .

ويصف المدرس بغدادي في هذا القرن يقول : « أما المدينة مخرب والجامع فيها يعمد في الجمع ثم يتغللها بعد ذلك الخراب .. وهي في كل يوم إلى وراء أخضى أنها تعود كسامرا مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان » .

### الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تركت الاحوال الاقتصادية في هذا العصر ترديا بالغا وشامت المصادرات ، وكانت المصادرة اكبر خطر تعرضت له الملكة الخامسة في القرن الرابع المجري وكانت تصيب المثربين ولا سيما الموظفين منهم وكان التجار والأغنياء من الأهلين مرضنة للمصادرة أحيانا وقد حفظ مسكويه لنا مائة بالمصادرات بين سنة 296 هـ - 381 هـ وفي نترة التغلب البوبي هبط مستوى المعيشة لسكان العراق .

وتاسى الملاحون بصورة خاصة من كثرة الشرائب ومن جشع الموظفين ومدم ضبطهم ومن خراب نظام الري الشيء الكثير .

وتضاعفت الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الدولة في هذه النترة وتنسى الغرباء احسن الوظائف وأصبح مستوى الأهلين في عداد الطبقات المتوسطة والمتقدمة، وانخفض دخل الخليفة والوزير والموظفي المدنيين عامة في النترة البوبيه في حين ارتفع دخل رجال الجيش . وتعرض العراق للتراث فلاء ومجامعات ، ويمكن القول على وجه الإجمال بأن التغلب البوبي كان حدا فاصلا بين نترتين إذ انه اثر على الاقتصاد الزراعي ومرقل نمو المؤسسات التجارية والمصرفية .

وفي هذا القرن اشتد الصراع المذهبى وأدى الى مصادمات دموية هلك فيها كثيرون ويذكر ياتوت في مجمع البلدان ان بلدانا كثيرة خربت ودمرت بسبب هذا الصراع البغيض .

### الحالة العلمية والأدبية :

ان السوء الذي انتهت اليه الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الملكة الإسلامية خلال هذا القرن لم يصاحب سوء مماثل في الحالة العلمية والأدبية وكان العكس هو الصحيح . على هذا القرن بلغت الحركة العلمية والأدبية اوجها واتس شارها . ولعل مرد ذلك ان الترقي السياسي اتاح ظهور مراكز علمية وثقافية متعددة صارت تتلخص وتتبارى في اجتذاب العلماء والأدباء ، وبطبيعة ذلك تتلخص خير جنت منه الحركة الأدبية والعلمية خيرا كثيرا وشامت العناية بالكتب وجمعها لدى الامراء والوزراء والعلماء والأدباء شيئا كثيرا ونشأت الخزانات الكبرى التي يجدنا منها المؤرخون وفي هذا القرن ظهرت الكتب الجامحة في شتى العلوم والأداب والفنون . كان بعض سلاطين بني بوبيه أدباء شعراء امثال هنـز الدولة وعـند الدولة ونـاج الدولة

وكانوا يُثروون استئذان واستكتاب العلماء والأدباء مكان من وزرائهم وكتابهم : ابن العميد والصاحب بن هباد والمهبي وسابور بن أردشير .

وقد هاجرت الدولة البوينية التي أمد سلطاتها لشمال العراق ومارس وخراسان . الدولة السامانية في تركستان وبرزت بخارى وبنيساپور كمركيز من ثمانين استقطبا العلماء والأدباء والشعراء وأشتهر من أمرائها منصور بن نوح الذي استوزر البلعي الذي ترجم تاريخ الطبرى إلى المارسية .

وابنه نوح بن منصور هو الذي شد نظر شاعره الذي قي لنظم الشاهنامة منظم الذي قي بيت من الشاهنامة كانت هي الأساس الأكيد لشاهنامة الفردوسى في عصر الفزنويين وكانت لنوح المذكور مكتبة خلقة انتلخ منها ابن سينا ، ومنهم منصور الساماني الذي له أبو بكر الرازي كتاب — المنصوري — في الطب .

وفي طبرستان ظهرت الدولة الزيارية وكان من أمرائها قسم المعالي ثابوس بن وشمير ، الأديب الشاعر والفلسوف الرياضي وصاحب رسالة الإسطرلاب . وكان في خوارزم أمير محب للعلم والأدب هو أبو العباس المأمون بن مامون خوارزمشاه ، كان من رجال مجلس ابن سينا الفلسفي والبروني المؤرخ الرياضي وأبو نصر الرياضي والفلسوف أبو سهل المسبحي ، والطبيب أبو الحسن الخمار وسواهم .

وقد استطاع السلطان محمود الفزنوي سلطان الدولة الفزنوية حم بضمهم إلى بلاده وابرزم البروني . وحين استطاع السلطان المذكور استطاع الدوليات والإمارات التي تضاعفه جدت في مملكته نهضة أدبية نشيطة شجعها السلطان الفزنوي بعطياته مني الشعر الغنائي برز منوجري والعنكري والفرخي ورابعة التصدارية . وفي الشعر الملحمي برز الفردوسى في شاهنامته التي بلغت الستين بيت .

وترجم أبو المعالي نصر الله كتاب « كلية ودمنة » إلى المارسية مؤسح المتاليد الفنية للنشر الفني عند المرس .

وكانت دولة الحمدانيين في هذا القرن تلعة من قلاع الثقاقة والأدب وكان بلاطم حاشدا بمعالقة الشعراء أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي ثراس الحمداني وسواهما ، بل إنهم اجتذبوا حتى كبار الفنانين مثل أبي عبد الله الحسن بن علي بن مثلك الخطاط الشهير وشقيق الوزير محمد بن علي بن مثلك ، توفروا له جواهريا ملائما وانتفعوا بهم وأبدعوا ما شاء .

روى ياتوت في معجم الأدباء ( 32/9 ) ما نصه : « كان أبو عبد الله منتقطعا إلى بني حمدان سنتين كثيرة يتغومون بأمره أحسن القيام وكان ينزل في دار ثوراء حسنة ، وليها لرئش تشكلها ومجلس دست وله شئ للنسخة وحوض فيه محابر وأسلام ، يقوم ويتمش في الدار اذا شاء مدره ، ثم يعود لمجلس في بعض تلك المجالس

وينسخ ما يخف عليه ، ثم ينبع ويطوف جوانب البستان ، ثم يجلس في مجلس آخر  
وينسخ اورانا اخر على هذا ، ماجتمع في خزانهم من خطه ما لا يحصى » .  
وفي مصر كانت الدولة الفاطمية دولة علم وادب ، وقد اشتهر من خلائطها العزيز  
بالله والحاكم باسم الله بخزانة كتبهما الشهيرة .  
وبالختصار نلي هذا القرن لمعت في سماء الاداب والعلوم والفنون اسرار  
الاسماء التي حلظها لنا التاريخ عبر مسيرة الطويلة .

\* \* \*

### مصادر المفصل :

- (1) تجارب الأمم - مسكوبيه .
- (2) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع المجري - الدوري .
- (3) الوزراء - الصابي - نشره أمدروز - بيروت 1904
- (4) الوراق - اخبار الراضي والمتقي له - الصولي
- (5) صلة الطبرى - عربى الترطبى .
- (6) الآثار الباقية - البيرونى
- (7) مروج الذهب - المسعودى
- (8) المخري - ابن طباطبا
- (9) ظهر الاسلام - احمد أمين
- (10) الخصارة الاسلامية في القرن الرابع المجري - آدم متر
- (11) احسن التقاسيم الى معرفة الاتالم - المقدسى - نشره دي خوبه 1877 م
- (12) الادب الفارسي في العصر الفزنوي - الدكتور علي الشابي - تونس
- (13) معجم الادباء - ياتوت .

### من هو ابن فارس؟

هو ابو الحسين احمد بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي . هكذا  
نسبته أغلب المصادر ، وشذ من ذلك ابن الاثير في الكامل وابن الجوزي في المنتظم ،  
وكان ابوه مكتبيا شاعريا لغوياما روى عنه ابو الحسين في متابيع اللغة وفي الصاحبى  
وفي مخابر الاناظ وفى اللامات . والرازي نسبة الى الري ، مدينة فى بلاد الدليم والزارى  
زائدة فيها كما زادوها فى الروزى عند النسبة الى مرو الشاهجان ، ويستطع راسه  
قرية اسمها كرسف جياناباذ ، وضبطها ياتوت فى معجم الادباء - كرسنة - وهى  
قرية من رستان الزهراء .

ذكروا ان رجلا اتاه سائله عن وطنه ، فقال : كرسف ، فتمثل ابن مارس :

بلاد بها شدت على نائمي .. واول ارض من جلدي ترابها (1)

لم تذكر لنا المصادر سنة ولادته ولكن يمكن القول على وجه التقرير انها تدور حول عام 312 هـ وسنڌنا في هذا الاستنتاج ما ورد في معجم الادباء 221/12 نقلًا عن كتاب أمالى ابن مارس ، وفي آخره : « قال ابن مارس : حدثني ابن الحسن على بن ابراهيم بن سلمة العطان رحمه الله يتزوين في مسجدهم يوم الاحد منتصف رجب سنة اثنين وتلذين وثلاثين وثلاثمائة » .

ماذا كان ابن مارس قد روى من القطنان سنة 332 هـ وافتراضنا ان ذلك كان في اول شبابه اي في العشرين من عمره ، صع ما ذهبنا اليه من ان ابن مارس من مواليد سنة 312 هـ او نحوها . وتنذر المصادر ان ابن مارس رحل الى تزوين للأخذ من القطنان وابراهيم بن ملي ورحل الى زنجان واخذ من احمد بن الحسن بن الخطيب ورحل الى ميانج في بلاد الشام واخذ من احمد بن طاهر بن النجم كما رحل الى بغداد في طلب الحديث ، واستوطن الموصل فترة وزار مكة في حجه واستوطن هذان ونبأا شعر بالوحدة والضياع ونسopian ما كان يعلم .

ثم حمل منها الى الري ليتلمذ عليه مجد الدولة أبو طالب بن نخر الدولة مسكنها واكتسب مالا وتوفى بالمحمية وهي محلة في الري ودفن مقابل شهيد التاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . وفي تاريخ وفاته خلاف كبير وأصح الأقوال انه توفى سنة 390 هـ رحمه الله .

وقد زعم بعضهم انه من اصل اجمي (2) ، وهو وهم لا دليل عليه ، غير ما قبل من انه كان يتكلّم بلسان القزوينة . والواقع ان ايران في التراث الاسلامية الاولى كانت ترعرع بالقبائل العربية التي رحلت اياً للتتوح واستوطنتها ، وليس في سلسلة نسب ابن مارس ، اسم غير عربي ، ماذا اضفتنا لذلك ان تكلمه بلسان القزوينة امر طبعي تعلّمه ظروف المعاورة للسكان الاصليين ، اتفصح ان لا دليل يدعم زعم الزاهمين انه غير عربي بل المكس هو الصحيح ، ذلك ان أبي مارس كان شديد المحبة للعرب

(1) انظر البيت في بلالات النساء : لاحمد بن ابي طاهر البغدادي من 199 ، وروايته فيه . — بلاد بها حل الشباب تلائمي — وهو منسوب فيه لجريدة طائفة وقبله :

أحب بلاد الله ما بين منعج الى وسلمى ان يصوّب سحايبها والبيتان في أمالى الغالى 83/1 ونسبهما نيهما لرقاع بن تيس الاسدي ورويوا في اللسان مادة ( تتم ) 336/14 منسوبين لرقاع الاسدي ، وهما في اللسان في مادة ( نوط ) ، ورواية البيت فيه : بلاد بها نيطت .. وفي المصنون من غير هزو ص 206 وهو كذلك من دون هزو في الكامل 406 ، 676 وفي معجم البلدان مادة ( منعج ) وزهر الاداب 682 .. وقد نسبا لامرأة من مليه في سمط الملالى 272 ومحاضرات الراقيب 2/676 .

(2) منهم بروكلمان انظر 265/2 ومحمد بن ثنب 247/1 دائرة المعارف الاسلامية .

والعربية في مصر استحدثت فيه دعاوى الشعوبين، يكشف من ذلك كتابه - الصاحبي في نته اللغة وهو تعمق يميله الانقضاض عليهم على الأغلب.

وبالجملات فإن انتسابه للعرب اقرب للصواب في رأينا من أخباره انه قال (3) : دخلت بغداد طالباً للحديث ، محضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليس معنى تارورة ، نرايت ثابتاً عليه سمة جمال ماستاذته في كتب الحديث من تارورته ، فقال: من أتبسط إلى الإخوان بالاستذان ، فقد استحق الحرمان .

وهي رواية تدل على عراقة الخلق البغدادي في الترحيب بالغريب ورفع الكلفة منه .

ومن أخباره : انه كان يناظر في النته ماذا وجدها أو نحوباً كان يأمر أصحابه بسؤالهم أيه ، ويناظره في مسائل من جنس العلم الذي يتماطأه مان وجده بارها جدلاً جره في المجادلة إلى اللغة ، يبتليه بها ، وكان يبحث النتهاء دائماً على معرفة اللغة ويلقي عليهم مسائل ، ذكرها في كتابه - ثابتاً متنه العرب - وبخجلهم بذلك ، ليكون خجلهم داعياً إلى حلظة اللغة ويقول : من تصر علمه من اللغة وغلوط

غلط (4)

وكان شامي المذهب ، ثم صار مالكيا في سنواته الأخيرة وقال (5) : دخلتني الحمية لهذا البلد ، يعني الري ، كيف لا يكون فيه رجال على مذهب هذا الرجل المتبول التول على جميع الألسنة .

وفي نزهة الآباء انه قال حين غير مذهبة (6) : دخلتني الحمية لهذا الإمام المقبول التول على جميع الألسنة ، ان يخلو مثل هذا البلد - يعني الري - عن مذهب ، فمررت مشهد الانقضاض عليه ، حتى يكمل لهذا البلد تخره ، فان الري اجمع البلاد للمقالات والاختلافات في المذهب على تضادها وكفرتها .

ورواية الخبر في بقية الوعاة (7) انه قال : - اخذتهي الحمية لهذا الإمام ان يخلو مثل هذا البلد عن مذهبة .

ونراه في الصاحبي يسخر من بعض نتهاء الشاميةة فيقول : (8) : « ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراه من نته الشامي بالرببة العليا في التباس نقلت له ما حقيقة التباس ومعنىه ؟ ومن اي شيء هو ؟ فقال : ليس على هذا ، وإنما على

(3) معجم الأدباء 89/4 .  
(4) انباء الرواية على انباء النهاة 94/1 .

(5) معجم الأدباء 83/4 - 84 .

(6) نزهة الآباء 321 .

(7) البشارة 352/1 .

(8) الصاحبي 66 .

اتامة الدليل على صحته ، نقل الاَنْ فِي رِجُلٍ يَرُومُ اتامة الدليل على صحة شبيه ما لا يعرف معناه : ولا يدرى ما هو ؟ ويعود بالله من سوء الاختيار ! »

وَفِي الْمَوْضِعِ ذَاهِنًا يَنْقُلُ نَصَابَ ابْنِ دَاوُدَ فِي تَنْتَهِ الْأَئمَّةِ الشَّافِعِيِّ وَتَزْيِيْهِ لِلْأَئمَّةِ مَالِكَ بْنِ أَنْسَنَ .

وهو في موضع آخر من — الصاحبي — برد على منكري قول الإمام مالك في الجائحة بيقول (9) : « قال أَحْمَدُ بْنُ هَارِسٍ : وَاعْتَرَضَ قَوْمٌ بِهَذَا الْذِي ذَكَرْنَا عَلَى أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ مَالِكِ بْنِ أَنْسٍ فِي تَوْلَهُ فِي الْجَائِحَةِ . لَأَنَّ مَالِكًا يَذَهِّبُ إِلَى أَنَّ الْجَائِحَةَ إِذَا كَانَتْ دُونَ الْثَّلَاثِ لَمْ يَوْضُعْ لَانَّهَا قَلِيلٌ بِمِنْزَلَةِ مَا تَنَاهَى الْعَرَافِيُّ مِنَ الطَّيْرِ وَغَيْرِهَا وَمَا تَلْتَعِبُهُ الرِّيحُ ، فَإِذَا بَلَغَتِ الْجَائِحَةُ الْثَّلَاثَ — وَمَا زَادَ — نَمْهِي كَثِيرَةٌ ، وَلِزَمْ وَضِعْمَهَا لِلْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ نِيهَا . قَالَ الْمَعْتَرَضُ عَلَى أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ مَالِكٍ — رَضِيَّهُ — : نَقْدُ دَلْعُ هَذَا النَّفْسِ الْمَعْنَى الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ لَأَنَّ تَوْلَهُ — جَلَ ثَنَاؤُهُ — ( قَمَ الْلَّبِلُ الْأَقْلِيلُ ) تَدْ جَمِلُ النَّصْفِ قَلِيلًا فَإِذَا كَانَ نَصْفُ الشَّيْءِ قَلِيلًا مِنْهُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كَثِيرًا مَا نَوْقُ النَّصْفِ نَالِجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّ مَالِكًا اتَّهَا ذَهَبَ فِي جَمْلِهِ الْثَّلَاثَ كَثِيرًا إِلَى حَدِيثِ حَدَّثَنَا عَلَى بْنِ أَبِرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ هَشَّامِ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِيهِ عَيْنَةِ مِنَ الْزَّهْرِيِّ مِنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « أَيُّ رَسُولُ اللَّهِ ! أَنْ لَمْ يَكُنْ لِمَا لَيْسَ بِرَبِّنِي إِلَّا إِبْنِتِي . أَمَّا تَصْدِقُ بِثَلَاثِي مَالِي ؟ قَالَ : لَا . قَاتَ : مَا لِشَطَرِ ؟ قَالَ : لَا . قَاتَ : مَا لِثَلَاثَ ؟ قَالَ الْثَّلَاثَ — وَالْثَّلَاثَ كَثِيرٌ — أَنْكَ أَنْ تَرْتَكَ وَرَثْتَكَ أَفْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرْتَكُمْ يَتَكَبَّرُونَ النَّاسُ . نَبِيُّوكُلُّ رَسُولُ اللَّهِ — مَلِعْمٌ — أَخْذُ مَالِكٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ — مَلِعْمٌ — أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِ كِتَابِ اللَّهِ — جَلَ ثَنَاؤُهُ ». .

وبمثل هذا الكلام المعلم المدلل رد ابن هارس على منكري قول مالك في الجائحة ، فإذا عرفنا أنه أَنَّه ( الصاحبي ) في الشطر الآخر من حياته ادركنا صحة ما نقل من أنه كان شافعيا ثم صار مالكيا وفي هذا بيقول (10) : « وَكَانَ مِنْ رُؤْسَاءِ أَهْلِ السَّنَةِ الْمَجُودِينَ عَلَى مَذَهَبِ الْحَدِيثِ ». .

غير أن بعض مؤرخي الشيعة الإمامية ذهبوا إلى أنه تسرّ بالشافعية والمالكية وأنه كان شافعيا (11) .

ودارس آثار ابن هارس يلاحظ بوضوح الحب العميق الذي كان يكنه أبوالحسين لأمير المؤمنين — علي بن أبي طالب — ، مهاتر الإمام تدور على لسانه في الصاحبي وفي المتأخر وربما في غيرهما مما ضاع من آثاره .

(9) الصاحبي 137 - 138

(10) أنباء الرواية 95/1

(11) انظر تنبيح المقال 76 وأعيان الشيعة من 216 - 217

جاء في المختير : « وذكر ابن عباس عليا - عليهما السلام - فقال : سطة في المشيرة وصبر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم بالتنزيل ، ولته في التأويل ، وصبر اذا دعيت نزال » .

وقال في الصاحبي (12) : « مصاروا بعدهما ذكرناه الى ان يسأل امام من الائمة وهو يخطب على منبره عن فريضة نيلني ويحسب بثلاث كلمات ، وذلك قوله امير المؤمنين علي - صلوات الله عليه - حين سئل عن ابنتين وابوين وامرأة : « صار ثمنها تسعما » مسمية المثيرة ، والى ان يتول هو - صلوات الله عليه - على منبره ، والماهرون والانصار متوازرون : « سلوني مو الله ما من آية الا وانا اعلم ابليل نزلت ام ينهر ام في سهل ام في جبل » ، وحتى قال - صلوات الله عليه - وأشار الس ابنيه : « يا قوم استبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون » .

وجاء في الصاحبي (13) : « وروى السدي عن عبد خير علي - رضه - انه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله - صلعم - ناقسم الا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن ، قال : مجلس في بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من قلبه ، وكان عند آل جعفر . فانتظر الى قول القائل : « جمعه من قلبه » . وحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد الرحمن السلمي انه قال : ما رأيت احدا اثرا من علي - صلوات الله عليه - ، صلينا خلقه ناسوا برزخا ، ثم رجع لترأثم ما داد الى مكانه » . قال ابو مبيد : البرزخ ما بين كل شبين ، ومنه تبل للبيت : « هو في برزخ » ، لانه بين الدنيا والآخرة . فاراد ابو عبد الرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي استطع ملي - صلعم - منه ذلك الحرف الى الموضع الذي كان انته اليه .

من هذه الاتوال المعبرة عن حب ابن مارس لآل البيت الكرام ، ومن تعينه مؤدبها وأستاذها للأمير البويهي ، والبويهيون شيعة آل البيت استنبع الطوسي والماتقاني والعاملي امر تشيع ابن مارس في الفترة الاخيرة من حياته .

وانا لا استبعد هذا ، ذلك ان ابن مارس صار مالكيا بعد ان كان شائعا حمية لرجل - علي حد قوله - فلم تستبعد تشيعه انتقاما بلكرة مع ملاحظة سرعة تنقله من مذهب الى مذهب ومع اكباره لشخصية الامام علي ومؤثره .

\* \* \*

---

(12) الصاحبي من 78 - 79 .  
(13) الصاحبي من 200 - 201 .

## مصادر الفصل :

- (1) معجم الادباء — ياقوت 4/80 .
- (2) المزهر — السبوطي 1/414 .
- (3) بغية الوهابة — السبوطي 1/352 .
- (4) مرآة الجنان — البانسي 2/442 .
- (5) ونیات الامیان — ابن خلکان 1/100 .
- (6) شذرات الذهب — ابن الصاد 2/132 .
- (7) نزهة الاباء — الانباري 320 .
- (8) انباء الرواية — القنطري 1/92 .
- (9) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 42 ج 2 — نيسان 1967 من 236 — 244 .
- (10) الديباج المذهب — ابن فردون من 35 .
- (11) ملتح السعادة 1/109 .
- (12) معجم المطبوعات العربية — سركيس 199 .
- (13) بیتیة الدهر — الشعابی 3/400 .
- (14) مقدمة تمام تصمیح الكلام — الدكتور مصطفی جواد .
- (15) المنتظم — ابن الجوزي 7/103 .
- (16) الكامل — ابن الانباري 8/711 .
- (17) البداية والنهاية — ابن كثير 11/535 .
- (18) النجوم الزاهرة — ابن نفری بردي 4/212 .
- (19) معجم البلدان — ياقوت 4/212 .
- (20) الآثار البایة — البيرونی 338 .
- (21) دمیة التصر — الباخرزی 297 .
- (22) مقدمة معجم المتأییین — عبد السلام هارون .
- (23) لهرست ابن النديم من 80 .
- (24) الفلکة والملوکون — الدلجمی — 141 .
- (25) العبر في خبر من خبر — الذهبی — 3/58 .
- (26) الاعلام الزركلی 1/184 .
- (27) معجم المؤلفین — كماله 2/40 .
- (28) تاريخ آداب اللغة العربية — جرجی زیدان 2/357 .
- (29) دائرة المعارف الإسلامية — محمد بن شنب 1/247 .
- (30) روحیات الجنات — الخواصی 64 .
- (31) طبقات المفسرین — السبوطي من 4 .

- (32) ميون التواريخ — ابن شباكر الكتبن مخطوط 12 : 1/258 — 1/261 .
- (33) الوالى بالوفيات — الصندي — مخطوط — 111/6 .
- (34) المختصر في أخبار البشر — أبو النداء 2/142 .
- (35) سيد النبلاء — الذهبي — مخطوط — 22/11 و 23 .
- (36) مقدمة الصاحبى فى بنته اللغة طبعة مصر 1910 وطبعة بيروت 1963 .
- (37) منهج المقال — ميرزا محمد الاسترابادى من 40 — ملهران 1302 هـ .
- (38) المبرست — الطوسي من 36 .
- (39) منتهى المقال — ابو علي الحائري من 39 .
- (40) تنتيج المقال — مبد الله الماتقانى 1/76 .
- (41) اعيان الشيعة — العاملى 9/215 — 228 .
- (42) مخطوطات الموصل — داود جلبي من 67 .
- (43) طبقات النحاة واللغويين — ابن قاضى شهبة — مخطوط — 189 و 190 .
- (44) تلخيص ابن مكتوم — مخطوط — 15 — 16 .
- (45) ايضاح المكنون — البغدادي 1/421 .
- (46) دائرة المعارف — البستاني 3/419 .
- (47) تاريخ الادب العربى — بروكلمان — ترجمة عبد الحليم النجار 2/265 .
- (48) كشف الظنون — حاجى خليلة : 33 ، 90 ، 89 ، 173 ، 690 ، 722 .
- (49) سلم الوصول من 113 .
- (50) مقدمة الاتباع والمزاوجة — طبعة كمال مسطفى .

### شيوخه :

- 1 — والده ( نارس بن زكريا ) (ت 369 هـ) : روى عنه ابن نارس كتاب اصلاح المنطق لابن السكبت كما ذكر في الماييس . وروى عنه كذلك في الصاحبى وروى عنه في متغير الانلاظ في مواضع مدة وفي اللامات . وقد ذكر ضمن شيوخه في بقية الوعاء 1/352 وفي نزهة الالباء 321 وكان المذكور تقبلاً لغويًا شائعياً .
- 2 — علي بن ابراهيم بن سلمة القطان ( 254 — 345 هـ ) : روى عنه ابن نارس في متغير الانلاظ كثيراً كما روى عنه في الماييس وفي الصاحبى في مواضع عديدة . وذكر ضمن شيوخه في بقية الوعاء 1/352 وطبقات المسررين من 4 وسمجم الادباء 4/82 .
- وانظر ترجمة القطان في العبر للذهبى 2/367 ونهاية النهاية لابن الجوزى 516/1 وسمجم الادباء 12/218 .

- 3 — على بن عبد المزير المكي ( ت 286 او 287 هـ ) : روى عنه ابن مارس في المقايس كثيرا كما روى عنه كتابي أبي عبد القاسم بن سلام - فريب الحديث ومصنف الغريب . وذكر ضمن شيوخه في طبقات المسررين من 4 ومعجم الادباء 83/4 . وللمكي ترجمة في العبر للذهبي 77/1 وغاية النهاية 549/1 ونزهة الاباء 216 .
- 4 — احمد بن طاهر بن النجم الميانجي : روى عنه ابن مارس في المقايس وقد ذكر ضمن شيوخه في نزهة الاباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 . وللميانجي ترجمة في العبر للذهبي 320/2 .
- 5 — احمد بن الحسن بن الخطيب : ذكر ضمن شيوخه في نزهة الاباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 وطبقات المسررين 4 .
- 6 — ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن سلامة بن مخر : ذكر ضمن شيوخ ابن مارس في انباء الرواة 95/1 .
- 7 — سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني ( ت 360 هـ ) : ذكر ضمن شيوخ ابن مارس في معجم الادباء 83/4 وطبقات المسررين 4 . وللطبراني ترجمة في العبر 315/2 وغاية النهاية 311/1 والنجوم الزاهرة 59/4 .
- 8 — احمد بن محمد بن اسحاق الدینوري : روى عنه ابن مارس في المقايس وانظر ترجمته في العبر للذهبي 332/2 .
- 9 — ومن شيوخه علي بن احمد الساوي .
- 10 — ومن شيوخه ابو بكر محمد بن احمد الاصفهاني .
- 11 — ومن سمع منهم ابن مارس : ابو احمد ابن ابي الثيار ( معجم الادباء 90/4 ) ومبد الرحمن بن حمدان ( الصاحبي 29 ) . واحمد بن محمد بن بندار ( الصاحبي 43 ) . وعلي بن محمد بن مهرورية ( الصاحبي 47 ) . وابو الحسن احمد بن محمد مولى بشي هاشم ، وقد حدثه بتزوين ( الصاحبي 52 ) . وابو عبد الله احمد بن محمد بن داود القمي ( الصاحبي 83 ) . وابو بكر احمد بن علي بن اسماعيل الناند ( الصاحبي 129 ) . وابو الحسن المعروف بابن التركية ( الصاحبي 155 ) .

### تلاميذه :

أبرز تلاميذه الذين تذكرهم المصادر :

- 1 — الصاحب بن مباد ( المتوفى سنة 385 ) انظر ترجمته في الاعلام 312/1 وفي معجم المؤلفين 274/2 .

وهو القائل — شيخنا أبو الحسين من رزق حسن التصنيف وأمن نيه من التصحيف .

- 2 — بديع الزمان المدائني (المتوفى سنة 398) انظر ترجمته في الاعلام 1/112 وفي معجم المؤلفين 1/209.
- 3 — أبو طالب مجد الدولة بن مفر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بوبيه الديلمي .
- 4 — علي بن القاسم المترىء — وقد قرأ عليه كتابه (أوجز السير لغير البشر) ويفهم من هذا الكتاب أن ابن مارس سكن في الموصل زمناً وقرأ عليه المترىء فيما كتابه هذا .
- 5 و 6 — وتد روی منه لميما ذكر ابن مرحون في الديباج المذهب — أبو ذر والثائي أبو زرمه وهو نقیہ مالکی واسمه عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القارئ .
- 7 — أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالفضبان .
- 8 — أبو محمد نوح بن احمد الاديب اللوباساني .
- 9 — أبو الفتح سليم بن ايوب الرازي (ت 447هـ) — طبقات الشافعية الكبرى 4/388 .
- 10 — أبو زرمه روح بن محمد بن احمد بن محمد بن اسحاق الرازي (ت 423هـ) — طبقات الشافعية 4/379 .

#### صلاته بتلاميذه :

وليس بين أيدينا ما يساعد على تتبع هذه الصلة تصديلاً باستثناء صلة بالصاحب وبالمدائني .

اما الصاحب بن مباد نقد كان منحرماً عن أبي الحسين بن مارس ، لانتسابه الى خدمة ابن العميد ، وتمضي به ، فانفذ اليه من مدائني كتاب الحجر من تالينه ، فقال الصاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه ، وامر له بصلة (14) . ثم لما انتقل ابن مارس الى الري ليقرأ عليه مجد الدولة ذكرت المصادر ان الصاحب تعلم على ابن مارس وأنه كان يكرمه ويقول : شيخنا أبو الحسين من رزق حسن التصنيف ، وأمن نيه من التصحيف (15) .

\* \* \*

(14) بقية الدهر 3/204 ، وانظر الخير في معجم الادباء 4/87 وانباء الرواة 1/93 .

(15) انظر : معجم الادباء 4/83 وبقية الوما 1/352 وتنزه الاباء 321 .

واما بديع الزمان المهداني لميدو انه كان يكن ودا صادقا لاستاذه ومرئانا  
لجميله . متد ذكر المهداني في مجلس أبي الحسين بن مارس لمقال ما معناه (16) :  
ان البديع قد نسي حق تعليمنا اياه ومتنا وشمخ بانه عنا ، فالحمد لله على نساد  
الزمان وتغير نوع الانسان ، يبلغ ذلك البديع ، مكتب الى ابى الحسين ،  
« نعم اطل بقلم الشیخ الاسم ، انه الحما المنسون ، وان ظننت الظنـون  
والناس لادم ، وان كان العهد قد تقادم وارتکبت الافـدـاد واختلط المـيـلـاد ، والشـیـخ  
يقول : مسد الزمان ، اهلـاـ يقول : متـىـ كان صالحـاـ ؟ اـنـىـ الدـوـلـةـ الـبـاسـيـةـ وـتـدـ رـأـيـناـ  
آخرـهاـ وـسـمعـناـ اـولـهاـ ، اـمـ المـدـةـ المـرـوـانـيـةـ وـفـيـ اـخـيـارـهاـ :

لا تكسر الشول باغيارها .

والسيد يحمد في الملاي  
والرحيم يركز في الكلى  
ومبيت حجر في الفلا

ام البيعة المائية وعلى يقول : لبيت العشرة منكم برأس من بني نراس . ام الايام الاموية والنمير الى الحجاز والمبون الى الامجاز ، ام الامارة المدوية وصاحبها يقول : وهل بعد البزول الا النزول ، ام الخلابة القيمية وصاحبها يقول : طوبى لمن مات في ثانية الاسلام ؟ ام على عهد الرسالة ويوم النتح قيل : اسكنى يا ملائكة مقد ذهبت اليمانة ؟ ام في الجاهلية ، ولبيد يقول : ويتبت في خلق كجلد الاجرب ام قبل ذلك واخوه ماد يقول :

بِلَادِ بَهَا كَا وَكَنْجِبَهَا اذَ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ

أَمْ قَبْلَ ذَلِكَ وَيَرُوِي لَادِمٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
تَغَيَّرَتِ الْبَلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا مُوجَهُ الْأَرْضِ مُفْسِدٌ تَبَيَّح

أَمْ تُبْلِي فَلَكَ وَالْمَلَائِكَةَ تَتَوَلُّ لِبَارِئَهَا : (أَتَجْعَلُ نَيْمَاهَا مِنْ يَسْدَدُ نَيْمَاهَا وَيُسْكُنُ الدَّمَاءِ) ..  
وَمَا نَسَدَ النَّاسُ وَاتَّهَا أَطْرَادُ التَّيَاسِ ، وَلَا أَظْلَمْتَ الْأَيَامِ ، أَنَّهَا امْتَدَ الْاَظْلَامُ ، وَهُلْ  
يَسْدَ الشَّيْءَ إِلَّا مِنْ صَلَاحٍ ، وَيَسِّرْ الْمَرْءَ إِلَّا هُنْ مُبَاحٌ ، وَلَعْنَرِي أَنْ كَانَ كِرْمُ الْمَهْدَى  
كِتَابًا يَرْدَ ، وَجَوَابًا يَصْدَرَ ، أَنَّهُ لِتَرْيِيبِ الْمَثَالِ ، وَاتَّهَا عَلَى تَوْبِيَخِهِ لِتَقْتِيرِهِ إِلَى لِقَائِهِ ،  
شَفَقٌ عَلَى بَقَائِهِ ، مُنْتَسِبٌ إِلَيْهِ ، وَلَاهُ ، شَاكِرٌ لِلْإِلَاهِ » .

وان له على كل نعمة خولنها الله مثرا ، وعلى كل كلمة علمنيها منارا . ولو  
عزمت لكتابي موتها من قلبه لافتنت خدعته به ، ولرددت اليه سلوكه ، ولضل  
ناساه . ولكن ، خشيتك أن يقول : هذه يضامتنا ردت علينا ، وهذه أいでه الله المعنى ،

<sup>16</sup> انظر بقية الدهر 270/4 والبيان من رسائل بدیع الزمان من 415 ونهاية الأربع 262/7.

والملوقة في الترئس ، والمریاع ، ومامضمة الجلد وناله الیاع ، وما فهمته المشط :  
ووالله ما هي عندي رضي ولكنها جل ما املك

واثنان كلما يجتمعان الغراسانية والانسانية ، واثنا وان لم اكن حراساني الطيبة ،  
مانني حراساني المدينة ، والمره من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والانسان من حيث  
يثبت ، لا من حيث يثبت ، مان انساك الى خراسان ولادة هذان ارتفع القلم وسط  
التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ، ولا جنة ولا نار ، مليحتملي الشیخ على  
هذا ، اليش صاحبنا يقول :

ان تيقنت انني هذانى  
لا تلمى على رکاكة مثلى

\* \* \*

وكتب بدیع الزمان يستعمله : « انى خدمت مولاي ، والخدمة رق بغير  
اشهاد ، وناصحته ، والمناصحة للود اوثق عباد ، ونادمه ، والمنادمة رضا عنوان ،  
وطامته » ، والمطامة نسب دان ، وسافرت معه ، والسر والاخوة رشيعا لبيان ،  
وتبت بين يديه ، والقيام والصلوة شريكا هناء ، واثنتب عليه ، والثاء مند الله بسكن ،  
واخلصت له ، والاخلاص مشكور بكل لسان » .

والذی نخلص اليه من كل ما تقدم ان بدیع الزمان المذاقی كان برا باستاذه  
متمسكا بحبل ولاته ، ذاكرا وشاكرا نفله .

#### الأخلاقه وطباعه :

وكان كريما جودا ، فربما وهب السائل ثيابه وترش بيته ، وكان له صاحب  
يتال له : ابو العباس احمد بن محمد الراري المعروف بالغضبان ، وسبب تسميته  
 بذلك انه كان يخدم ابن نارس ويتصرف في بعض اموره .

قال : مكنت ربما دخلت ماجد فرش البيت او بعضه قد وبه ، فما به ملىء  
ذلك ، وأضجر منه ، ليصحح من ذلك ، ولا يزول من مادته ، مكنت متى دخلت عليه  
ووجدت شيئا من البيت قد ذهب ، علمت انه قد وبه ، فما بيس ، وتنظر الكاتبة في  
وجهي ، فليسطنني ويقول : ما شأن الغضبان ؟ حتى لصق بي هذا اللقب منه ، وانما  
كان يizarحي (17) .

وكان علينا . جاء في الديجاج المذهب (18) انه افتى بمنع من يلعن حانوتا قبالة دار رجل .  
وكان ابن نارس متواضعا شديد التواضع يكشف من طبعته هذه قوله في آخر  
( تمام نصيحة الكلام ) « هذا آخر ما اردت اثباته في هذا الباب ولم اعن ان ابا العباس

(17) نزعة الالباء من 321 - 322 .

(18) الديجاج المذهب ص 37 .

نصر منه لكن الشيحة آثروا الاختصار وحثا اتول ان جميع ما ذكرته من علم ابرى  
العباس جزاء الله عنا خيرا » (19) .

وتتفتح هذه الفحصلة الطيبة بيه حين يقول في الصاحبي (20) : « والذى  
جسنه فى مؤلفنا هذا متفرق فى امساك مؤلفات العلماء المتقدمين - رضى الله عنهم  
وجزاهم عنا الفضل الجزاء - وانما لنا فيه اختصار مبسط أو بسط مختصراً أو  
شرح مشكل أو جمع متفرق » .

ومن خلائقه روح السخرية والتدرىج التي تبدو في شعره أوضح ما تبدو ، كما  
يشتت منها ما رواه بديع الزمان الهمذانى حين قال (21) : سمعت ابا الحسين احمد بن  
مارس يقول : النفع مند الاطباء كتابة من الضرط والفسو ! والقطع عند المنجمين كتابة  
من الموت ! والنصيحة عند العمال كتابة من السعاية ! والوطه عند النتهاء كتابة من  
الجماع ! وعليب النفس مند الظرفاء كتابة عن السكر ! والعلق عند اللاطة كتابة من  
المواجهة ! والزوار عند الكرام كتابة من السؤال ! وما امام الله عند الصوفية كتابة عن  
الصدقة !

تلك المائة موجزة بخلائق هذا الرجل ويابرز صفاته .

\* \* \*

### شاعريته :

إلى جانب قدرات ابن مارس التأدية المتنوعة المجالات ، فقد كان شاعراً أصيلاً  
وأنه لن المؤسف أن التاريخ لم يحفظ لنا سوى نماذج قليلة من شعره شأنه شأن  
الكثيرين من فلب جانب من جوانب شهرتهم على شاعريتهم الأصيلة . وتغلب  
النماذج القليلة التي وصلت اليانا من شعره روح السخرية من متناثرات زمانه فهو في  
هذا يدعو لها بالستيا واحتواه تلهم ، ولم لا يدمو لهذه البلدة وقد نسى بها ما  
كان يعلم وفرق في دينه ! ! ان السخرية المرة تكاد تطغى منها حيث يقول :

ستى هذان الغيث لست بقليل سوى ذا وفي الاحتلاء نار فشرم  
ومالي لا أمشي الدمام بلدة اندت بها نسيان ما كنت اعلم  
نسبيت الذي احسنته غير انسني مدين وما في جسد بيتس درمم

\* \* \*

(19) تمام تصحيح الكلام من 25.

(20) الصاحبي 31.

(21) المنتفى : الجرجاني من 120.

على ان سخريته هذه تتجلى في هزئه من قيم مجتمعه الذي يوقر الفن لفناء  
ومالك الدرهم لدرهمه ف يقول :

يا ليت لي السف دينار موجهة  
وان حظي منها ملمس الملابس  
قالوا : مما لك منها ثلت يخدمني  
لها ومن أجلها الحمقى من الناس  
وانطلقا من قاعدة توثير الدينار والدرهم نراه يتقول :

اذا كنت في حاجة مرسلا  
وأنت بها كل مفترض  
مارسل حكيمه ولا توجه  
وذاك الحكيم هو الدرهم  
ونراه في موضع آخر يلح على هذه المكرة شرعاً وأيضاً ويعرفها عرضاً  
جديداً اذ يقول :

قد قال فيما مفسى حكيم  
ما المرء الا بامغريه  
قلت قول امرئ ليسب  
ما المرء الا بدرهميه  
من لم يكن معه درهمه  
لم تلتفت عرشه اليه  
وكان من ذلنه حبيراً  
وتأسيساً على ما تقدم نقد واجه ابن مارس مأساته وجهاً لوجه .. فالعلم والادب  
لا يجلبان غير الفقر فليطلب الانسان اي مورد من موارد الرزق الا العلم والادب وليس  
ببعها مورد رزق :

ومصاحب لي اثاني يستشير وقد  
قلت اطلب اي شيء شئت واسع ورد  
لقد كان شعوره بالغرابة والشياع .. ضياع الادباء والعلماء في مصره جميلاً  
وجدياً وموشحاً بالكتابة ولذلك قرأت له قوله :

وقالوا كيد حالك ثلت خير  
نقضي حاجة وتحتوت حاج  
اذا ازدهمت هموم الصدر قلنا  
مس يوماً يكون لها المراج  
نديمي هرتني وانيس نسي  
دنادر لي ومشوشى السراج  
ويسلمه هذا الشعور الاسيان بالضياع الى رضا بما يكتبه العذر :

لبس لباس الرضا بالضياع  
وخل الامرور لمن يملك  
تقدير انت وجاري القضا

ویتوول ایضا:

مشيناها خطى كتبت ملينا  
وما غلظت رقاب الاسد حتى  
ومن كتب مليه خطى مشاهما  
يائسها تولت ما عندهما

ويمثل هذه الروح القائمة بالقضاء المستسلمة الى حكمه يتوجه الى ربه بصلة خاسمة وتوبة من الاممأق تبلي وناته اذ يتول :

يا رب ان ذنبي قد احبطت بهما  
انا الموحد لكنني المتر بهما

卷二

ان ابن مارس الذي تضى حياته ثارنا كتابا قد عجب للذين يرددون حز المصير  
ويريد الشفاء من طلب العلم منراه يعبر عن ذلك يقوله :

اذا كنت تاذى بحر المصيف  
ويمس الخريف وبرد الشتاء  
ماخذك للعلم قل لي متى ؟  
وليميك حسن زمان الرئيس

\* \* \*

وهو حكم تحريره المرة قليل الثقة بالثبات منه او بحدوثه تاليًا :

**اسم مقالة نامحة** جمع النصيحة والمقدمة  
**ایاک واحذف ان یعنی** سنت من الثبات على ثقہ

\* \* \*

وی قول متأثرا شاعر سنه:

عذبت عليه حين ساء صنيعه  
فلمَا خبرت الناس خبر مجرب  
ولم ار خيرا منه مدت اليه  
وأليت لا أمبث طوع يديه

卷一百一十五

وبقى بعد هذا أبيات من الغزل المتكلك هي من غزل العلماء الذين لم يعانيا تجربة الحب من أعمامهم فبقي غزلهم سطحياً استمع إلى قوله :

دوہلے:

## مسرت بنا هیفاء مقدودة ترنو بطرف نافن ناتسر

وقتیں:

ونظل بعد هذا تصدية عينية قالها في معاني كلمة ( العين ) في اللغة رأينا من العدير أباتها ها هنا استكمالا للبحث نهي التموج لاستعمال الشعر في تقييد مسائل اللغة ، حال ابن نارس :

يا دار سعدى بذات الشحال من اضم  
العين سحاب ينشأ من قيل التلة .

العين هاهنا : عين الانسان وغيره .

**تدني مشقة منا معتلة  
العين هاهنا : ما ينبع منه الماء .**

اذا تمزّزا شيخ به طرق سرت بقوتها في الساق والعين العين هنا : عين الركبة ، والطرق : ضعف الركبتين .

والزق ملان من ماء السرور فلا تخسى توله ما ليه من العين  
العين ها هنا : لتب يكون في المزاده ، وتوله الماء : ان يتسرّب .

وغلب مذالنا هنا ملاكـدر . فـ هيـشـنا من رـتـيبـ السـوـهـ والمـعـينـ .  
الـعـيـنـ هـاـ هـاـ : الرـتـيبـ .

**يُتَسَمَ الْوَدُّ لِمَا بَيْنَهَا تَسْمَى  
الْعَيْنُ مَا هُنَا : الْمَيْنُ فِي الْمِيزَانِ .**

**ولائض المال يغنىسا بهافسره**  
العنين هنا : المال الناضج .

والجمل الجبى تغنى موائده حفاظه من كتاب الجيم والمعين

\* \* \*

وحدث هلال بن المظفر الريحاى تال : قدم عبد الصمد بن بابك الشاعر الى الري ، في أيام الصاحب متوقع أبو الحسين أحمد بن فارس أن يزوره ابن بابك ، ويقضى حق ملته وملته ، متوقع ابن بابك ، أن يزوره ابن فارس ، ويقضى حق متقدمه ، فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه ، نكتب ابن فارس الى القاسم بن حسولة :

وأدنى بدليلا من نسواك ايا بابك  
بابير مطلوب نهلا كتابك  
غداة ارتنا المرتلالات ذهابك  
لديك ولا مست يميني سخابك  
من الوجنات الغانيمات نتابك  
لنفك : سلي من ثيابي ثيابك  
ثيابي سقى الغر الغوادي شبابك  
الم يأن سعدي ان تكوني متابك ؟  
نهلا وقد حالوا زجرت كلابك  
وجرت على بختي جفاء ابن بابك

تعديت في وصلي نعمدي عتابك  
تيقنت ان لم أحظ والشتم جامع  
ذهبت بتلب هيل بمدك صبره  
وما استطررت عيني سحابة ريبة  
ولا نقيت والصعب يصعبو لمثلها  
ولأ قلت يوما عن تللى وسامة  
واننت التي شبيت قبل اوائله  
تجبنت ما اولى وهايئت ما كسى  
وقد ثبختي من كلابك عصبة  
تجانيت من مستحسن البر جملة

فلمما وقف ابو القاسم الحسولي على الآبيات ، أرسلها الى ابن بابك ، وكان مريضا ، نكتب جوابها بديها : وصلت الرقة - اطال الله بقاء الاستاذ - ونهايتها ، وانا اشكوا اليه الشيف ابا الحسين مائه صيرني نصلا لا وصلا ، وزجا لا نصلا ، ووضعني موضع الحلاوى من الموائد ، وتمت من اواخر الفسائد ، وسحب اسمي منها سحب الذيل ، وأوقته موقع الذنب المحذوف من الخيل ، وجعل مكاني مكان التقل من الباب ، وندذلك من الحساب ، وقد اجبت من ابياته بآبيات ، اعلم ان نهيا شعما لعلتين علتي ، وعلتها ، وهي :

سلام على آثاركن الدوارس  
ال يكن ترجع النسيم الحالس  
تردد لحظ بين أجنان نامس  
ترمزع في نفع من الليل دامس  
تصدع عن قرن بن الشمس وارس  
ورود المطى الظائمات الكوانس  
اهلى على منفى من الكرخ آنس

ايا اثلاث الشعب من مرج يابس  
لقد شاتنى والليل في شملة الحيس  
ولمحه برق مستفسره كانه  
بيت كانه مسدة يمني  
الا جبدا صبح اذا ابيض القنه  
ركبت من الخلصاء ارقب سيلها  
نها طارق الزوراء قل لغيمها

ملست على بعد المزار بآيس  
لئن بين افراط المها والمحابس  
وبابك دهليز الس أرض نارس  
كما صرت تفلا في قواني ابن مارس

وقل لرياسن التلص تهدى نسمتها  
الا لبيت شعري هل ابین لیلة  
وهل ارين السري ذهليز بابك  
ويصبح ردم السد تللا عليهما

معرض أبو القاسم الحسولي المقطوعتين على الصاحب ، وعمره الحال فقال :  
الباديء أظلم ، والتادم يزار ، وحسن العهد من الإيمان .

### مساند الفصل :

- (1) معجم الأدباء — ياتوت 4/81 — 98 .
- (2) بقية الدهر — الشعالي 400 — 407 .
- (3) ولیان الامیان — ابن خلكان 100 — 101 .
- (4) بقية الوعمة — السیوطی 352 — 353 .
- (5) المنتظم — ابن الجوزي 7/103 .
- (6) انباء الرواة — التنطی 93 — 95 .
- (7) النلاكة والفلکون — الدلنجی 141 — 142 .
- (8) النجوم الزاهرة — ابن شفی بردی 4/213 .
- (9) الكامل — ابن الاشیر 8/711 .
- (10) الآثار الباقية — البيروني ص 338 .
- (11) التذكرة السعدية — العبدی — مخطوط —
- (12) شذرات الذهب — ابن العماد 3/133 — مصورة الاستاذ عبد الله الجبوری  
من نسخة كوبيرلي بالاستانة .
- (13) امیان الشیعة — العاملی 9/226 .
- (14) نزهة الالباء — الانباری 322 .
- (15) دائرة معارف — البستانی 3/419 .

### المساره :

ضرب ابن نارس باسم وأفر في حركة التأليف في مصره ، وفي الوان متعددة من  
فنون المعرفة . وقد حلقت لنا أسماء تأليمه الكثار . وهذه التأليف ثلاثة أصناف :  
المطبوع ، والمخطوط ، والمقتود . ول فيما يلي ثبتنا بهذه التأليف طبقاً لأصنافها :

### أولاً : آثاره المطبوعة :

1 — أبيات الاستشهاد : نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الثانية من نوادر

المخطوطات — مطبعة السعادة — القاهرة 1951 وقد حنته على نسخة تريدة  
محفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم 445 ادب .

— 2 — الاباع والمزاوجة : ذكره السيوطي ضمن تاليف ابن مارس في بغية الوعمة 352/1 رقم  
الترجمة 680 كما ذكره مرة ثانية في كتابه المزهر (1) 414 وقال انه اختصره وزاد عليه  
ما نسبت المصنف في تاليف سماه « الالاماع في الاباع » . وكتاب الاباع والمزاوجة يبحث  
فيما ورد من كلام العرب مزدوجا ، وقد نشر اولا بتحقيق المستشرق رودولف برونو في  
جيسن بالمانيا سنة 1906 على نسخة خطية مؤرخة في 626 هـ . ثم اعاد نشره  
كحال مصطفى في القاهرة سنة 1947 بمطبعة السعادة محققا على نسختين نسخة  
برونو المذكورة ونسخة خطية محفوظة في دار الكتب المصرية ومؤرخة في 711 هـ وهي  
من كتب العلامة الشنطيطي .

— 3 — تمام تصريح الكلام : ورد في معجم الادباء 4/82 باسم ( التصريح ) وفي هدية العارفين  
1/68 باسم ( تمام النصريح في اللغة ) وفي تاريخ الادب العربي لبروكلمان 2/268 ورد  
باسم ( تمام تصريح الكلام ) . وذكر بروكلمان انه في مكتبة كرنوكو نسخة منه من  
مخطوط في النجف كتبه ياقوت الحموي في مروروذ يوم 7 من ربى الثاني 616 هـ من  
نسخة بخط المؤلف سنة 393 هـ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الانكليزي ا .. ج . آربيري في لندن سنة 1951  
بطريقة التصوير عن مخطوطة جستر بني في دبلن مع مقدمة بالانكليزية . ومن ملاحظة  
النسخة المchorة وجدت انها هي بالذات النسخة التجنيدية التي تحدث عنها بروكلمان  
ويبدو انها تسررت الى دبلن مع غيرها من نفائس ترانانا . ويلاحظ ان النسخة المذكورة  
هي من مجموع يضم تصريح ثعلب ثم تمام التصريح لابن مارس ثم متعلقات من كتاب  
لحن العالمة للمسجستانى وكلها بخط ياتوت الرومي الحموي . و ( تمام تصريح الكلام )  
اعاد نشره الدكتور مصطفى جواد في بغداد سنة 1969 ضمن كتاب رسائل في النحو  
واللغة — سلسلة كتب التراث 11 الصادرة من وزارة الثقافة والاعلام العراقية  
— طبعة الجمهورية ، الا انه لم يشر الى الطبعة الاولى لكتاب خلاما للامانة العلمية .

— 4 — خلق الانسان : ذكره ياتوت في معجم الادباء 4/84 كما ذكره السيوطي في بغية الوعمة  
352/1 وطبعات المسررين 4 وورد ذكره ايضا في كشف الظنون عمود 722 وهدية  
العارفين 1/68 ومصباح السعادة 110/1 وذكره بروكلمان 2/267 باسم مقالة في  
اسماء اعضاء الانسان نشره للمرة الاولى الدكتور داود الجلبي في مجلة ( لغة العرب )  
— 9 — بغداد 1931 ( من 110 — 116 ) ثم اعاد نشرها الدكتور نبيل بدبدوب في  
الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق —  
نisan 1967 ص 235 — 245 ولم يشر الدكتور نبيل الى النشرة الاولى خلاما  
للأمانة العلمية .

- 5 — ذكره في الشعر : ذكره السيوطي في بغية الوعاء 1/352 كما ذكره في كشف الظنون 827 وهدية العارفين 1/68 وملتاح السعادة 1/109 وبروكلمان 2/266 وقد نشر هذا الكتاب وهو رسالة في أربع منحات في ذيل كتاب الكشف عن مساوئه شعر المتنبي للصاحب بن عباد — مطبعة المحمد — القاهرة 1349 هـ .
- 6 — سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ورد ذكره في معجم الأدباء 4/84 وطبقات المسررين 4 ونسخة المخطوطة تحمل عنوانين مختلفتين لنسخة الاسكوربالي والظاهرة تحمل اسم ( مختصر سيرة رسول الله ) ونسخة برلين عنوانها ( مختصر في نسب النبي ومولده ومنشأه ومبنته ) وعنوان نسخة الماتيكان ( راعي الدرر ورافق الزهر في أخبار خير البشر ) وفي هاببورغ ( أخضر سيرة سيد البشر ) وفي بايزيد بالاستانة ( مختصر سيرة رسول الله ) .
- وقد طبع هذا الكتاب في الجزائر أول مرة سنة 1301 هـ تحت عنوان ( لو جز السير لخير البشر ) . ثم طبع ثانية في بومباي سنة 1311 هـ ومنه نسختان بمكتبة الاوقاف العامة في بغداد .
- 7 — الصاحب في منه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها : ذكر باسم ( منه اللغة ) في نزهة الالباء 321 وبغية الوعاء 1/352 وهدية العارفين 1/68 وكشف الظنون 1288 وذكر باسم ( الصاحب ) في معجم الأدباء 4/84 وكشف الظنون 1068 وهدية العارفين 1/68 وسي بذلك لأنه صنفه برسم خزانة الصاحب بن عباد ، وذكر باسم ( منه اللغات ) في طبقات المسررين 4 وملتاح السعادة 1/109 ، والكتاب واحد وإن اختلفت التسميات ، وقد صرخ ابن مارس بذلك في مقدمة كتابه أذ قال : هذا الكتاب — الصاحب في منه اللغة العربية .. وإنما منونته بهذا الاسم لأنني لما ادعته خزانة الصاحب الجليل كانى الكلمة الخ .... وقد صدر للمرة الأولى بعنوانة محب الدين الخطيب عن المكتبة السلالية بالقاهرة سنة 1910 عن نسخة الشنتيبل . ثم نشره ثانية بحقها تعينا علميا على مخطوطتي بايزيد وأياصونيا الدكتور مصطفى الشوسي في بيروت — 1963 ضمن سلسلة المكتبة اللغوية العربية مطبعاً . بدران — بيروت ..
- وقد حصل خلط طباعي في مقدمة بحث الدكتور دبدوب أوهم بأن الشهادات والحلبي هو كتاب منه اللغة نوجب التقبيل وهذه نقله مصطفى جواد في مقدمته لكتابه تصريح الكلام ، دون أن يتتبه لشناعة الفلط .
- 8 — نظيره العرب : ذكره بهذا الاسم الأنباري في نزهة الالباء 321 والقطبي في آنباء الرواة 1/94 والسيوطى في المزهر 1/622 وسماء ابن خلكان في الوئيقات ( مسائل في اللغة وتعاييرها المقتداء ) 1/100 وسماء الباجي في مرآة الجنان 2/442 ( مسائل في اللغة يتعلّق المقتداء ) ونورهم السيوطي في بغية الوعاء 1/352 مظنه كتابين الأول مناوي نظيره العرب والثاني مسائل في اللغة يغالى بها المقتداء . وسماء الدلجمي في

( الفلاكة والملكون ) ( مسائل في اللغة يعايا بها الفتهاء ) من 141 ومثله في الديباج المذهب من 36 . وسمى ( مناوي لغة العرب ) في هدية العارفين 68/1 ومنتاح السعادة 110/1 .

وقد نشره على نسخة مربدة محفوظة بدار الكتب الرضوية بميدان خراسان الصديق الدكتور حسين علي محفوظ وذلك في مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1958 كما نشر مستقلاً من المجلة تحت قائمتها جديراً بالتقدير .

— 9 — اللامات : ذكره بروكلمان 267 وان منه نسخة مخطوطة بالظاهرية في دمشق وقد نشره المستشرق برجمستراسى في مجلة ( إسلاميكا ) 77/1 - 99 الصادرة سنة 1924 - 1925 وبشرف على هذه المجلة المستشرق نشر .

— 10 — متغير الانفاظ — وقد ذكره ابن مارس في آخر الجزء الثاني من ( المجل ) المخطوط المحفوظ في المكتبة العثمانية الحلية تحت رقم 839 ونص كلامه :

« وهذا آخر مجل اللغة ناحتظه وتذير ترتيب أبوابه وأعلم انني توخيت الاختصار كما أرحب وآثرت الإيجاز كما سالت واقتصرت على ما مع عندي سعياً ومن كتاب صحيح النسب مشهور ولو لا توخي ما لم اشك فيه من كلام العرب لوجدت مقالاً . ولكنني مدت للأصول التي أسميتها في كتابي مجتمعتها فيه بأوجز قول وأتربيه ورجوت أن يكون هذا المختصر كالميا في بابه مستعيناً في معينة صحيح كلام العرب وما يتناوله الناس من غريب القرآن والحديث وكثير من غريب الشعر عن غيره وكل ما شذ من كتابنا هذا من محاسن كلام العرب واللغاظ التي يستعن بها في الأشعار والمكابيات فقد ذكرناه في الكتاب الذي سميته ( متغير الانفاظ ) والله أسأل أن يومتنا واياك لكل صالحة ويعيننا واياك من السوء كله » .

وقد ورد ذكر المتغير في معجم الأدباء 84/4 وفي نزهة الألباء 321 كما ذكره الجرجاني في كتابه كنایات الأدباء باسم مختار الانفاظ ص 145 وسنفرد لهذا الكتاب فصلاً مستقلاً .

— 11 — مجل اللغة : ورد ذكره في معجم الأدباء 321 والبداية والنهاية 296/11 و 335/11 وطبقات المسررين 4 وبيفية الوعمة 352/1 وونبات الاميان 100/1 والفلادة والملكون 141 وشذرات الذهب 3/132 والنجوم الزاهرة 4/212 والكامل لابن الأثير 8/258 والديباج المذهب 36 وكشف الظنون 1604 وهدية العارفين 69/1 ومنتاح السعادة 1/104 وقد ذكر بروكلمان 2/265 مخطوطاته المتداولة في مكتبات العالم ويمكن ان نضيف اليها مخطوطة المخطف المراتي وهي من انسس مخطوطاته ، ومخطوطة سماراء ، ومخطوطة حلب التي اشرنا اليها . وقد نشر الجزء الاول من هذا المعجم القيم لأول مرة في القاهرة وأوله كتاب المهرة وآخره باب الدال واللام ، وقد طبع على نفقه محمد ساسي المغربي سنة 1332 هـ - 1914 م

بطبعة السعادة ومدد مسحاته 319 مسحة . ثم أعيد طبع الجزء الاول بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد سنة 1947 بطبعة السعادة ايضا بمصر ومدته 319 مسحة ايضا . وآخره باب الدال واللام ولم تنشر اجزاؤه الباقيه حتى اليوم واند علمنا ان بعض المراقبين قد نهد الى تحقيته لمسن ان يكمل هذا الجهد بالنجاح فينقض من هذا السر النقيض فبار القرون وتوجه الدكتور ليصل دبوب حين ظن ان المجمل بكامله مطبوع .

— 12 — مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله . ذكرها ابن مارس في كتابه الصاحبي من 162 اذ قال ما نصه . « وكلا كلمة موضوعة لما ذكرناها على صورتها في التثليل وقد ذكرنا وجده كلا في كتاب امرؤنا » . وذكرها بروكلمان 2/ 267 . وقد نشرها عبد المزير الميسي الراجوكوتي ضمن كتاب ثلاث رسائل وأولها مقالة كلا لابن مارس والثانية ما تلحن فيه المقام للكسانى والثالثة رسالة الشیخ ابن هربی الى الامام الفخر الرازی ، وقد طبعت في القاهرة سنة 1344 هـ ثم أعيد طبعها في القاهرة سنة 1387 هـ .

— 13 — متأليض اللثة : ذكره باقتوت في معجم الادباء 84/4 والسيوطى في طبقات المسررين 4 وذكر في هدية المارفرين 69/1 وقد نشر هذا المعجم الجليل في ستة اجزاء الاستاذ عبد السلام محمد هارون في القاهرة 1366 - 1371 هـ - دار احياء الكتب العربية - ميسى البابى الحلبي وشركاه معتمدا مخطوطة مرو ومحفوظة القاهرة . ومن الكتابين مخطوطتين في لندن .

— 14 — التبريز - نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الخامسة سلسلة نوادر المخطوطات - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1373 هـ - 1954م وقد اعتمد في نشرها نسخة فريدة في الغرفة التيمورية بالقاهرة .

— 15 — رسالته الى أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب : وهي رسالة نديمة تعتبر نموذجا طيبا لثره الثنى وقد تضمنت دعائما من الحماسات المحدثة ومن محاسن شعراء مصر، أثبت منها الشاعلى نصلا مهما في البيتية ( 401/3 ) رأينا اثباته في هذا الموضوع لانه من جيد آثاره المطبومة . قال ابن مارس :

الهك الله الرشاد واصحبك المسداد ، وجنبك الخلاف ، وحبب اليك الانصار .  
وسبب دعائي بهذا لك انكارك على ابي الحسن محمد بن علي العجلى تالييه كتابا في  
الحماسة ، واظطاك ذلك ، ولمله لو عمل حتى يصيب الغرض الذي يريد ، ويرد  
المطلب الذي يوجه ، لاستدرك من جيد الشعر ونتبه ومخترقه ورضيه كثيرا مما  
المؤلف الأول ، لماذا الانتكاري ؟ ولمه هذا الاعتراض ؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادة  
المتقدم ؟ ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الاول للآخر شيئا ، وتدفع قول الآخر . كم  
ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا ازمان ، ولكن زمان منها رجال ؟ وهل المعلوم بعد  
الاموال المحفوظة الا خطرات الاوهام ونتائج المتعول ؟ ومن نصر الاداب على  
زمان معلوم ، ووقتها على وقت محدود ؟ ولمه لا ينظر الاخير مثل ما نظر الاول حتى